

كتاب
الجواهر الثمين
في محاسن الملايين

تأليف
محمد كبريت الحسيني المدني
المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ

تدقيق
محمد عسّه محمد عسّه اسماعيل الشافعي

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب

العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة

أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة

كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات

ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©

All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

تلفون وفاكس : ٣٦٤٢٩٨ - ٣٦٦١٢٥ - ٦٠٢١٢٢ (١ ٩٦١ ٠٠)

صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohatory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة المصنف

هو محمد بن عبد الله بن محمد مولده ووفاته بالمدينة .
هو من أحفاد شرف الدين بن يحيى الحمزي الحسيني المولوي المشهور بمحمد كبريت .

أديب قام برحلة إلى الروم [تركيا] سنة ١٠٣٩ هـ، ألف فيها: رحلة الشتاء والصيف (ط) وزار دمشق والقاهرة ومن كتبه:

- الجواهر الثمينة في محاسن المدينة . وهو كتابنا هذا .
- [حاطب ليل] كبير جدًا .
- نصر من الله وفتح قريب ط . فيه تراجم بعض فضلاء المدينة .
- والزنبيل اختصر به الكشكول للعالمي .
- والعقود الفاخرة في أخبار الدنيا والآخرة .
- بسط المقال في القيل والقال .
- توفي رحمه الله سنة ١٠٧٠ هـ .

انظر/ ترجمته في:

خلاصة الأثر (٢٨/٤)

إيضاح المكنون (١٨٢/١)

الأعلام للزركلي (٢٤٠/١٦)

كتبه السيد/ محمد علي بيضون صاحب دار الكتب العلمية .

وصف المخطوط

للمحقق

بفضل الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد
عثرنا لهذا الكتاب الجليل على مخطوطتين إحداهما في دار الكتب المصرية والثانية في
معهد المخطوطات وثم ضبط نص الكتاب منهما:

وصف النسخة المرموز لها بـ «أ»:

وهي نسخة المعهد المصورة من رضا رمبور ورقمها (٣٦١٩) ورقم الفيلم ٣٠٣٣
عدد أوراقها [١١٣] خطها واضح.

وصف النسخة المرموز لها بـ «ب»:

وهي نسخة خطها واضح ومقروء رقمها ٧٣٧٠

ولا يسعني في النهاية إلا أن أقدم الشكر لمشايخي:

الشيخ: جاد الرب رمضان . رحمه الله .، الشيخ الحسين الشيخ والشيخ محمد
أنيس عبادة رحمه الله، والدكتور كمال عبد العظيم العناني . والشكر للسيد محمد علي
بيضون صاحب دار الكتب العلمية بيروت حفظه الله .

طالب العلم / محمد حسن محمد حسن أ، محمد فارس

[illegible]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَرَمَى رِبِكُمْ خَيْرٌ مَّا يَحْمِلُونَ
 طهره الذي حبب اليه الله به وجعلها من فضل البقاع الاية فحق من جوارحه لا ينبغي
 ان يبينه في عصر جمع بين شرف المكان المكين احمد علي ان خصنا بملائة بابه
 والوقوف على لقاء محمد من علم ان الكل من عنده وان من شئ الا يسبح بحمده وفي
 اذالم اجتمع بجنابه امر على بابه فاسلم واشكره على نعمة الجواره وجار الدار الحق بدار
 الجواره والجار محبور على جيرانه جوار الكرم سامح من فبنيته في المقام ان سيدنا
 محمد اهدى ورسوله وجيبه وخليفه المبعوث بأشرف الاديان وأكمل الملوك
 النبي المرسى الكريم المفضل المأدب في الازل بل محمد قد اصطفينا في القاب الدورا
 فالعظم قد كرم عندنا واخضرت ادم في دونه تحت لوائك يوم الارض تبدل
 لك الشفاعة والى الخوض وكل من الانبياء يستغيث لنفسه ويسأل في فاهمه
 منفعه له ونادى للشفاعة بيا من علم في الشفاعة المعروفة الشفاعة يا من يغنيش
 به المكروب اذا مضت به الخيرة الشفاعة يا من قال له جبريل عليه السلام
 مما انت وربك فدنا وتذكر في الصلاة والالام على من ابرز من جدر الغيب
 شمس صافي عبارة الزاخر ما اطلع من فوق المثنى في افق اشاراته النافعه
 اللهم اننا نسو صبرك صيب صلواتك وطيب تسليمك لهدى السيد الذي
 زينت سما مجزاة بكواكب خطا بك الناقب ونشرت منا شير بيئاته في
 افق الميثاق والفتاب ولوا زريه الدين نشر واشمل اعدايه ونظروا قواعده
 صلوة تكون لنا صلة وباب عمل العوايد عابده اللهم صل على علي وعلى
 لقوات الانبياء والمرسلين والواصيين والنايحين لهم باصان اليه يوم
 الدين امن امنا بعد فلي كانت للدينه السقط رأسه ورياضها الوريفة
 منبت غراس بلادها نيطت على تمايمي واول ارض من جلدس ترابها
 فلا برحت ترهوا على الافق بالبهاء ولا زال يهتج في الرياض سحابها
 وكيف لا وهمها بطل الوحي منازل النبوة ومساقط الكرم ومعارض الفتوة

من
 نسخ

دساره

صورة الصفحة الأولى من النسخة « ب »

ومثارة النفوس والخواطر والرياض الحسن بل الروضة الفضا بكركها للولادة
 بلدة ما رايتهما قط لا . قلت هذا ارضي وسقط راسي .
 بلدت اشكوها من غير . اني لا ازال في جلا .
 بلد لولاي مع المعاصرة و . ويومهم يزيد في ايناسي .
 بلد من ارضهم رطة بقم . وسأكل ما بين ورد واتي .
 بلد من اهل من دون اهل وناسي .
 بلد بلع للصطوب بها من لام . وثنا معطر الانفاس .
 بلد من سولي التام جميعا . طوق جيدي المنيق تاج راسي .
 بلد لا تحيل الايام صدي . واعتقادك في طيب ارضي .
 بلد ضلي كرم من بحر بناديه . وجمع الرفاق طلبة .
 بلد من الانام القذالقة . من سلام نام بغير قياسي .
 ولقد جاء في الاثر عن خير البشر من الايمان وف المحبة نشر الحاسن والتشبيب
 بذكر الاماكن . اعد كرم من الفضا يا معذبي . وان اضرموه بالاضالع والصدرة
 ولا تنس سكان العقيق وان هم شعل على وجني اجروه في مدة البع . خطبائي
 ولاح في فيما لي ان اذكر بعض محاسنها . والقرض لذكر بعض ما كتبها . واشتبك
 بالحق والمعيق . والنقا والفريق . شمر طور ايمان اذا لاقت فاني . وان اقيت
 سعديا فعدتاني . وقد بد لي ان يكون هذا الجمع البديع وضة للفتح جمعة مبنيا
 على مقالتين وخاتمة ومناه المسؤل حسن الخاتمة فاذا تجلت شؤمه
 وان جلت عروسه . سميت . **الحواشي الثمين** في محاسن
للديب . محاسن نقدي للمادحين بوصفها . فيحسن فيها منهم النثر والخطب
 اذ انعمت نواف القبول من حضرة السيد الرسول شوقوت محاسن هذه الرسالة بالمرسل
 وارتنف من زهر منشور المطلق قط البسات . فالاول باحث اشتملت على
 اخبار دار الصطفي وهو في الحقيقة جيب القلوب على الاطلاق وابانت عن انوار

واذا اردت من العلوم اجل
فعليت بالقرآن والارباب
هذا الذي ان اردت بانه
وهدي ذلك لملحق وخلاف

اذا لم تكن من السنين مترجما
عن الفضل في الانسان بمعجزة
وما تنفع الاباء حين بعد
ولم تستفد علماء يميز ولا فضلا

وفي الجهل قبل الموزون لاهله
فاجسامهم قبل القبور تروى
وان امرهم يحيى بالعلم بين
وليس له حق النور نشور
قال بعضهم اطلب العلم فلان يذم
لك الزمان خير من ان يذم
بما اخذه بعضهم فقال
تجنب ان تذم من اللباني
وحاول ان يذم لك الرمان
والحق اذ الملك ذاتا
اصت العز ام حطر الهوان
قدم الدهر للانسان خير
من الان ان ذم به الاوان

اذا رأت حكما الجالس
خلاف حكمه حسن ولا بشر
فهو الحكيم الذي نفسه فلك
والسوس سبع في جراح والقمر
فكن له حادما والزمه
حتى تبين لك الابواب والصور

العلم في الرطل الحكيم زيادة
ونقصه في الاحق الطباشير
مثل انهار يزيد ابصارها
نور ونجم اعين للنفاش

اذا م يزد علم الغنى قلبه
وسيم زعد لا وحلاقه حسنا
فبشره ان الله اولاه حرمه
تغنيه حرمانا وتوسد حنا

من مطلع سهل ابن درقا، العرش من عناق العرش ابن من نكت المعلق من
 الصور وابن من بحر المال إلى بحر الفكر ابن مطلع صباح العباد من مطلع صباح
 الأبعاد من أفق بؤتها فيه شمس قد كان أفق كل شمس واقفاً، ^{تعاكس} مشمس
 .. دون رسم العباد حديوث .. مانع من دنا سمع خبايا ..
 لا تخافوا فلو دثرت اليرها .. احرقنني أشعة الانوار ..

وبالجملة فامزيد التقرب إلى ابن داود برجل الجبراد والتعجب على الجور يا حشار
 التماذ وكيف تعرض على دوح القدس وحيا واجلب إلى صنعاء العيني وشيا ..
 أم كيف خلط ربع النمل وأقابر بين البدر والسر من الربها، من الربها ..
 وأن الأغنياء من لنبيها، وحيث وقفت الأمانى لدون نكس المارث لفره ما يك
 الطالب ^{شعر مفرح}

.. وقلت لا صحابي هي الشمس صواها .. قريب من في تنا ولها بعد ..
 فلكن خدعة لحزان مولاه لا تمزالت عتبة العلية كعبه فضل يقول عليها ..
 وسد السنية مدينة علم بها علم عليها ولا يرتج وقد العلماء كفة تادير ..
 والسنة الرجاء من أفاق النساء تادير بسلام فواج السواة انفس من هاج الا
 زهاد وفواج اورافنا اعطى من ارمج الاسمى يشقوعا بدعا يفرغ ابواب
 الاجابة باء نامل الرجاء وشيا يملأ بطيب ارجس ابر لا رجاء بل لا يجمل را بى فخر ..
 ولا يرى الوصمة في سواة الكفر على العطاء قد طبع والطبع لا يطبع في انتقاله ..
 سلى بيا من ياميه اقل .. هذا مجال لست من رجاله .. هو ملانا واحد العلماء ..
 جدا العطاء من عباس العلوم فخر المنطوق والفهوم .. اباس القصة ركا
 واقوده واويس الرمان عفة ودماده جمع للكتب المغاخر والاعقاب ..
 العواخر المحقق دعي كم ترك الدل للاخر سلعة وانطق به والنظر اليه عجد
 ملأ السامع والافواه والمقل الكرمه من فاض شرف ما حكامه الشريعة
 مصر المحرم وما والا لها واستوفى المستحق بها من فمة الرمان ديونه

فلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ [آل عمران: ١٥٧] الحمد لله^(١) الذي حبب إلينا المدينة، وجعلها من أفضل البقاع الأمانة فنحن من جوار هذا النبي الأمين. من حصن جمع بين شرقي المكان والمكين. أحمدته على أن خصنا بملازمة بابه، والوقوف على أعتابه حمد من عرف أن الكل من عنده. ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ [الإسراء: ٤٤] واني إذا لم أجتمع [بجناية]^(٢) أمر على أبوابه فأسلم وأشكره على نعمة الجوار. وجار الدار أحق بدار الجار. والجار محسوب على جيرانه جار الكريم مسامح من ذنبه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا وسندنا محمداً عبده ورسوله وحببيه [وخليله] المبعوث بأشرف الأديان وأكمل الملل النبي المرسل. الكريم [المفضل]^(٣) المنادي من الأزل يا محمد. قد [اصطفيناك]^(٤) من الكتاب الأول فما

(١) الباء فيه قيل: إنها زائدة فلا تحتاج إلى ما تتعلق به، أو للاستعانة أو للمصاحبة متعلقة بمحذوف اسم فاعل خبر مبتدأ محذوف أو فعل أي: أولف أو أبداً أو حال من فاعل الفعل المحذوف أي ابتدء متبركاً ومستعيناً بالله أو مصدر مبتدأ خبره محذوف أي ابتدائي باسم الله ثابت. والله: علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد، وأكثر أهل العلم على أنه اسم الله الأعظم. والرحمن الرحيم: اسمان بنيا للمبالغة من رحم بتنزيله منزلة اللازم أو يجعله لازماً ونقله إلى فعل بالضم. انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي (٢٩٢/٤، ٣٤٤) نهاية المحتاج للشمس الرملي (١٦/١ - ٢٠).

(٢) افتتح المصنف - رحمه الله - بعد التيمن بالبسملة بحمد الله تعالى أداءً لحق شيء مما يجب عليه من شكر نعمائه التي تأليف هذا الكتاب أثر من آثارها واقتداءً بالكتاب العزيز، وعملاً بخبر: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع» وفي رواية «بالحمد لله» وفي رواية «بالحمد»، وفي رواية «كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزم» أخرجه أبو داود وغيره وحسنه ابن الصلاح وغيره. ومعنى ذي بال: أي حال يهتم به. وفي رواية للإمام أحمد: «ما لا يفتتح بذكر الله فهو أتر وأقطع».

انظر نهاية المحتاج للشمس الرملي (٢٤/١).

(٣) ثبت في ب [يجنى].

(٤) سقط من «ب».

(٥) ثبت في «ب» [اصفيناك].

أعظم قدرك عندنا وأفضل - آدم من دونه تحت لوائك يوم الأرض تبدل، لك الشفاعة واللوى^(١) والحوض وكل من الأنبياء [يستغيث]^(٢) لنفسه ويسأل فما أسعد من توسل به ونادى الشفاعة أيا من من الشفاعة المعول والشفاعة يا من يستغيث به [المكروب إذا ضاقت به الحيل]^(٣) الشفاعة يا من قال له جبريل عليه السلام [ها أنت وربك]^(٤) فدنا وتدلّى والصلاة والسلام على من أبرز من [خدر الغيب شمس]^(٥) معاني عباراته الزاخرة، واطلع من أفق المثنائي أقمار [لطائف إشاراته]^(٦) الفاخرة. اللهم انا نستوهبك [طيب]^(٧) صلواتك وطيب تسليماتك بهذا السيد الذي زينت سماء معجزاته بكواكب خطابك الناقب ونشرت مناشير بنيانه من آفاق المشارق والمغارب ولمؤازريه الذين [نثروا]^(٨) شمل أعدائه، ونظموا قواعده، صلاة تكون لنا صلةً وبأجمل العوائد عائدة. اللهم صلي وسلم عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين وآله [وأصحابه]^(٩) والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين [آمين]^(١٠).

أما بعد: ^(١١)

فلما كانت المدينة الشريفة مسقط رأسي ورياضها الوريقة منبت غراسي بلاد بها ينطق على [تماه]^(١٢). وأول أرض مس جلدي ترابها فلا برحت تزهو على الأفق بابها [ولا يهمل]^(١٣) في...^(١٤) الرياض سحابها. وكيف لا فهي مهبط الوحي ومنازل النبوة ومساقط الكرم ومغارس الفتوة ومنارة النفوس والجواهر والرياض [الحسنة]^(١٥) بل الروضة الغناء [بأدريتها]^(١٦) المواطن:

بلدة ما رأيته قط إلا قلت هذي أرضي ومسقط رأسي

- | | |
|---|---|
| (٨) ثبت في أ [نثروا]. | (١) في أ [يسأل]. |
| (٩) ثبت في ب [وصحبه]. | (٢) حديث الشفاعة: متفق عليه: أخرجه البخاري في التوحيد (٤٠٣/١٣ - ٤٠٤) |
| (١٠) سقط من «ب». | الحديث (٧٤١٠) - ومسلم في الإيمان (١٩٣/٣٢٢) |
| (١١) تسمى فصل الخطاب. انظر/ السبع كتب مفيدة لعلوي السقاف (ص/٦٢). | (١٨٠/١ - ١٨١) - الحديث (١٩٣/٣٢٢) |
| (١٢) ثبت في أ [تماتمي]. | وابن ماجه في الزهد (١٤٤٢/٢ - ١٤٤٣) |
| (١٣) قال في القاموس: همى الماء والدمع يهمل همياً وهمياً وهمياناً والعين صبت دمعها. انظر/ القاموس المحيط للفيروزآبادي (٤/٤٠٤). | - الحديث (٤٣/٢) والإمام أحمد في مسنده (١٤٢/٣ - ١٤٣) - الحديث (١٢١٦٠) - (١٣٥٦٩). |
| (١٤) ثبت في «أ» [ولا زال يهمني من]. | (٣) غير مقروء في «أ». |
| (١٥) ثبت في ب [الحسني]. | (٤) سقط من «ب». |
| (١٦) ثبت في أ [باكرتها]. | (٥) سقط من «ب». |
| | (٦) في أ [لطائف المنارة]. |
| | (٧) ثبت في أ، ب [صبب]. |

لست أشكر [بها]^(١) من العيش إلا
[يدنولي]^(٢) مع السماحة وما
[فتهادي]^(٣) في حرزطة مقيم
يا خليلي من دون كل خليل
بلغ المصطفى بها من سلام
فهو سؤلي من الأنام جميعًا
لا [تخيل]^(٤) الأيام صدق ولائي
فعلى كل من يحل بناديه
من آله الأنام ألف وألف

ولقد جاء [في]^(٥) الأثر عن سيد البشر «حب الوطن من الإيمان»^(٦):

أنني لا أزال في جلّاسي
وهو متهم يزيد من إيناسي
ومسائي ما بين ورد وآسي
وأنيسي من دون أهلي وناسي
وثناء معطر الأنفاس
طوق جيدي أمنيّتي تاج راسي
واعتقادي من طيب أصل غراسي
وجمع الرقاق والجلّاس
من سلام تام بغير قياس

عقبه بقوله: ولا يخفي أن معنى الحديث
حب الوطن من علامة الإيمان وهي لا
تكون إلا إذا كان الحب مختصًا
بالمؤمن، فإذا وجد فيه وفي غيره لا
يصلح أن يكون علامة. قوله: [ومعناه
صحيح] نظرًا إلى قوله تعالى حكاية عن
المؤمنين ﴿وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله
وقد أخرجنا من ديارنا﴾، فصحت
معارضته بقوله تعالى: ﴿ولو أنا كتبنا
عليهم أن اقتلوا﴾ - الآية. الأظهر في
معنى الحديث إن صح مبناه أن يحمل
على أن المراد بالوطن الجنة فإنها
المسكن الأول لأبينا آدم على خلاف فيه
أنه خلق فيها أو أدخل بعدما تكمل وأتم،
أو المراد به مكة فإنها أم القرى وقبلة
العالم، أو الرجوع إلى الله تعالى على
طريقة الصوفية فإنه المبدأ والمعاد كما
يشير إليه قوله تعالى: ﴿وأن إلى ربك
المنتهى﴾ أو المراد به الوطن المتعارف
ولكن بشرط أن يكون سبب حبه صلة
أرحامه، أو إحسانه إلى أهل بلده من
فقراءه وأيتامه، ثم التحقيق أنه لا يلزم من =

- (١) سقط من «ب»
- (٢) ثبت في ب هكذا [بدأ وإلى].
- (٣) ثبت في ب [فتهاري].
- (٤) ثبت في ب [تخيل].
- (٥) سقط من «ب».
- (٦) قال الحافظ العجلوني: قال الصاغانى:
موضوع. انظر/ كشف الخفاء للعجلوني
(٤١٣/١).
- قال الحافظ السخاوي: لم أقف عليه
ومعناه صحيح. انظر/ المقاصد الحسنة
(ص/١٩٥).
- قال الحافظ العجلوني: ورد القاري قوله
[ومعناه صحيح] بأنه مجيب قال: إذ لا
تلازم بين حب الوطن وبين الإيمان. قال
ورد أيضًا بقوله تعالى: ﴿ولو أنا كتبنا
عليهم﴾ - الآية، فإنها دلّت على حبهم
وطنهم، مع عدم تلبسهم بالإيمان، أن
ضمير عليهم للمنافقين، لكن انتصر له
بعضهم بأنه ليس في كلامه أنه لا يحب
الوطن إلا مؤمن وإنما فيه أن حب الوطن
لا ينافي الإيمان. أه.
- قال الحافظ العجلوني: كذا نقله القاري ثم

ومن المحبة نشر المحاسن
أعد ذكر من حل الغضايا معدني
والتشبيب بذكر الأماكن
وأنا [ضربوا]^(١) بالأضالع والصدر
على وجنتي أجدره في مدة [الهجر]^(٢)
لا تنس سكان العقيق وإن هم

خطر ببالي. ولاح في خيالي. أن أذكر بعض محاسنها وأعرض [لذكر بعض
أماكنها واشتب باللوى والعقيق]^(٣) والنقا والفريق طور. . . أيمان إذا لاقيت ذا يمين.
وإن لقيت معدياً فعدناني وقد بدا لي أن يكون هذا المجموع البديع وصفه المنيع جمعه
مبتئاً على مقاليتين وخاتمة ومن الله تعالى المستول حسن الخاتمة. فإذا تجلت شموسه
وانجلت عروسه سميته الجواهر الثمينة. من محاسن [أهل]^(٤) المدينة وبالله التوفيق
محاسن تهدي المادحين لوضعها فيحسن فيها منهم النثر والنظم وإذا نفحته نوافح القبول
من حضرة السيد الرسول وعوذت محاسن هذه الرسالة بالمرسلات وارتشف من زهر
منثورها المطلول قطر النات فالأولى بها حيث اشتملت على [أخبار]^(٥) ديار المصطفى
وهو في الحقيقة حبيب القلوب على الإطلاق وانبأت عن آثار أزهارها مآثر النبوة
والصفاء ولا غرو أن تتأرجح بهذه الأنفاس المدينة أرجاء الأفاق:

كرر حديثك مخطئاً ومصيباً
فلقد رجعت إلى القلوب بروح ما
إن كان عهدك بالديار قريباً
حدثت أرواحنا وقلوباً

الحجاب فقالت له عائشة كيف تركت
مكة؟ قال: اخضرت جنباتها، وابيضت
بطحاؤها واغدت إذخرها وانتشر سلمها -
الحديث، وفيه فقال رسول الله - صلى
الله عليه وآله وسلم - حسبك يا أصيل لا
تحزني. وفي رواية «فقال له النبي - صلى
الله عليه وآله وسلم - ويها يا أصيل تدع
القلوب تقرر». انظر/ كشف الخفاء
للعجلوني (١/٤١٣ - ٤١٤) المقاصد
الحسنة للسخاوي (ص/١٩٥).

(١) ثبت في أ [أضرموه].

(٢) ثبت في ب [البحر].

(٣) سقط من «ب».

(٤) سقط من «ب».

(٥) سقط من «ب».

=
كون الشيء علامة له اختصاصه به مطلقاً بل
يكفي غالباً، ألا ترى إلى حديث حسن
العهد من الإيمان وحب العرب من
الإيمان مع أنهما يوجدان في أهل
الكفران. اهـ. قال الحافظ السخاوي:
ومما يدل لكون المراد به مكة ما روى
ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: لما
خرج النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -
من مكة فبلغ الحجة اشتاق إلى مكة
فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ
لَرَادَّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قال: إلى مكة. قال:
وللخطابي في غريب الحديث عن
الزهري قال: قدم أصيل بالتصغير
الغفاري على رسول الله - صلى الله عليه
وآله وسلم - من مكة قبل أن يضرب

أن تلاحظها عيون العناية الرحمانية . وتشملها سوابق الرعاية الصمدانية [فتندرج]^(١) في خزائن الملك المؤيد بالسعد فلا برج قائد اهتمامه المسدد بالتوفيق إلى أقوم طريق فلا زال رفيقه من رحيله ومقامه أو كما قال :

ملك كان الشمس ضوء جبينه متهلل [الإمساء]^(٢) والإصباح
وإذا حلت [ببابة]^(٣) ورواقه فأنزل بسعد وارتحل بنجاح
أو كما قال :

ملك إذا عاينت نور جبينه فارقتة والنور فوق جبينه
ولو التثمت^(٤) يمينه وبرزت من أبوابه لغم الأنام يميني
أعظم من تفخر الأساطين بتقيل أعتابه وتباهى السلاطين بخدمة أبوابه . أكرم من أنام الأنام في ظل عدله . وأحيا ميت الإعدام بوافر إحسانه وفضله . مظهر [آيات]^(٥) الأنطاف الربانية . مصدر أنوار العنايات الرحمانية . مطرح الأزهار الملكوتية . مسطوح الأنظار اللاهوتية باسط بساط العدل والانصاف . هادم أساس الجور والإعتساف . ناصر الشريعة القويمه [مالك]^(٦) [المسالك]^(٧) المستقيمة ظل الله تعالى الوريث الممتد على القوي والضعيف صاحب القرآن السعيد وإسكندر الزمان المديد ، الذي أجاز الآثام من جور الأيام وأسبل على الأمة سوابغ الكرم والنعمة الأقاليم بأقلامه ، وأمنت الأيام من أيامه ، ناشر ألوية العدالة والأمان الممثل بنص «إن الله يأمر بالعدل والإحسان» [النحل : ٩٠] .

نادى به الملك حتى قيل ذا ملك دنا به العدل حتى قيل ذا بشر
سقى به الله دنيانا فأخصبها والعدل يفعل ما لا يفعل المطر

هو مولانا السلطان الأعظم . والخاقان المكرم ، صاحب البند^(٨) والعلم والسياف والقلم . سلطان البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان [بن السلطان]^(٩) الملك المظفر المعان . مولانا السلطان مراد خان بن السلطان أحمد خان بن

(١) ثبت في «أ» [فشد عرج] .
(٢) غير مقروءة في «أ» .
(٣) غير مقروءة في «أ» .
(٤) أي شددت . انظر / القاموس المحيط (٤) / المحيط للفيروزآبادي (١/ ٢٧٩) .
(٥) سقط من «ب» .
(٦) غير مقروءة في «أ» .
(٧) غير مقروءة في «أ» .
(٨) البند : العلم الكبير . انظر / القاموس المحيط للفيروزآبادي (١/ ٢٧٩) .
(٩) سقط من «ب» .
(١٠) سقط من «أ» .

السلطان محمد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان بن السلطان محمد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان محمد خان بن السلطان بايزيد خان بن [بلدرم]^(١) السلطان مراد الغازي بن السلطان أورخان بن السلطان عثمان خان عليهم الرحمة والرضوان من الرحيم الرحمن.

أولئك الناس إن عدوا وإن ذكروا
لو خلد الدهر ذا عز لعزته
ومن سواهم فلغو غير معدود
كانوا أحق بتعمير وتخليد

اللهم أيد الإسلام وأعل كلمة الإيمان بدوام دولة هذا الملك الذي [أقيمت]^(٢) بدولته شعار الدين وأخمدت بصولته نار الملحدين وعمرت بأيامه البسيطة وجعلت ملائكة النصر برايته محيطة اللهم اجعل فروع دولته من أيامه الزاهية الزاهرة يانعة وبهجتها فوق مطالع البدور الباهية الباهرة طالعة وزد من شأنه عظمة وعلوًا واجعل الجوزاء دون منازل مقداره [عزة]^(٣) وسموًا ما دامت حبول عزمه من ميادين الظفر سابقة ورياض [هممه]^(٤) بعيون كرمه ناضرة باسقة وهمته العليا في البأس والندى ومن الفضل لم تبرح مدى الدهر فائقة فإن براعة استهلاله زاد الله تعالى من جلاله برعت أولاً ببديع نظامه، ولم تتخلص من الحقيقة إلى مديح غيره ولا تكلمت إلا بحسن ختامه وحيث كانت الشريا أقرب تناولاً من ذلك المرام كما يقضي بصدق هذه الدعوى [عز]^(٥) شرف المقام.

[فيا دارها]^(٦) بالخيف ان [مزارها]^(٧) قريب ولكن دون ذلك أهوال

وكان يقال تمنى العلا سهل وإدراكه صعب ومن تجاوز حده تعرض بجميعة للعطب وكان يقال: أين الماء من السماء وأين موقع السيل من مطلع سهيل أين ورقاء العرش من عنق العرش. أين من فلك المعاني فلك الصورة. وأين من بحر اللآليء بحر الفكر وأين مطلع صباح البصائر من مطلع صباح الأبصار هذا أفق يتعاقب فيه شمس وقمر وذاك أفق كله شمس وأقمار ودون رسم الديار حد بسيف. مانع من دنا لسجف خباء. [لا تخافوا]^(٨) فلو دنوت إليها أحرقتني أشعة الاحتواء، وبالجملة فما مزية التقرب

-
- | | |
|----------------------|---------------------------|
| (١) سقط من «ب». | (٥) ثبت في أ [عزة]. |
| (٢) ثبت في أ [دامت]. | (٦) ثبت في ب [دارنها]. |
| (٣) ثبت في ب [عزًا]. | (٧) ثبت في ب [فرر بها]. |
| (٤) ثبت في ب [هممه]. | (٨) ثبت في ب [لا تخافون]. |

إلى ابن داود برجل الجراد. والتسحب على البحور [بأوشاذ]^(١) التمداد. وكيف أعرض على روح القدس وحيًا. واجلب إلى صنعاء اليمن وشيئًا أم كيف أخلع [ربقة]^(٢) النهي. وأقابل بين البدر والسهي. أين الهباء من [البهاء]^(٣) وأين الأغبياء من النبهاء وحيث وقفت الأماني دون تلك المآرب لعزة هاتيك المطالب. وقلت لأصحابي: هي الشمس [ضوؤها]^(٤) قريب ولكن من تناولها بعد. فلتكن خدمة بخزانة مولى لا زالت عتبه العلية كعبة فضل يقول عليها وسدته السنية مدينة علم يهاجر إليها ولا برحت [وفود]^(٥) العلماء عاكفة بناديه [وألسنه]^(٦) الرجاء من آفاق الشئ تناديه. بسلام فواتح أشواقه. نفر [من]^(٧) بهيج الأزهار، وفواتح أوراقه أعطر من أريج الأشجار. مشفوعًا بدعاء يقرع أبواب الإجابة بأنامل الرجاء [وثناء]^(٨) يملأ بطيب أرجه سائر [الأرجاء]^(٩).

أبلج لا يخجل راجي فضله ولا يرى الوصمة في سؤاله
أكفه على العطاء قد طبعت والطبع لا يطمع من انتقاله
سلني به يا من يساميه أقل هذا مجال لست من رجاله

هو مولانا وأحد العلماء وماجد العظماء. ابن عباس العلوم محرر المنطوق والمفهوم، إياس القضاة [ركنًا]^(١٠) وزهادة] وأويس الزمان عفة وسهادة. مجمع المفاخر. [والألقاب الفواخر]^(١١) المحقق دعوى كم ترك الأول للآخر؟

سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد ملأ المسامع والأفواه والمقل
أكرم به من قاض تشرفت بأحكامه الشريفة، مصر المحروسة وما والاها واستوفى المستحق بها من ذمة الزمان ديونه إذ تولاه، فله إمداد نعمه، ومداد قلمه، إذ لم يشكل أمر الإنزال برؤس الأنامل إبهامه ورد الضلالة بحسن تدبير إلى أهلها وزودهم بالكرامة إنعامه فكيف لا وهو القائل فيه بعض واصفيه:

هنيئًا لمصر إذ حوت قاضيًا حوى كمالاً على تفضيله انعقد النص
فلو مثلت كتب النحاة بنعته لما جاز أن يجري على نعته النقص

(١) ثبت في أ [بأرشال].

(٢) ثبت في ب [ريقه].

(٣) ثبت في ب [الهباء].

(٤) ثبت في ب [ضويها].

(٥) ثبت في ب [وقواد].

(٦) في أ هكذا [لي لسنة].

(٧) ثبت في أ [منه].

(٨) في أ [وثناءه].

(٩) ثبت في أ [الأزهار].

(١٠) ثبت في أ [زكنا وإفاده].

(١١) سقط من أ.

فهو الغني عن الإطناب بالألقاب والمستغني بأوصافه الحسان
 عن ترجمان البيان [المحفوظ]^(١) الملحوظ بعناية المعيد المبدي مولانا شعبان
 أفندي [لا زال صدر]^(٢) المعالي بمكانه من انشراح وفوائد وقلائد معاليه من أبهى
 وشاح. ولا برح الزمان ينفد ما صدر من قضائه وحكمه. والله تعالى يزيده بسطة من
 علمه وجسمه. مصيباً به الأغراض من مرامي المرام، محسناً مطابقتها [البديعية]^(٣) من
 النقض [والإبرام]^(٤) فإنه أعز الله تعالى ذاته، وأطال وأطاب حياته، لا جملة من أخباره
 إلا ولها محل من الإعراب عن المقصد الجليل، ولا ضمير إلا وهو من اعتقاده على
 النحو القديم والرأي الجميل.
 [وما أطف ما قال]:

فلا زال ميمون اليمين بهمة تعلمنا بالفعل كيف نقول
 هذا ولما كان من لازم من تمسك بأهداب الآداب اطلاع موالهم على محاسن ما
 يستطاب. [وما زالت]^(٥) الألسنة طائرة والعادة جارية بإهداء النفائس إلى النفيس من
 المرؤس إلى الرئيس.

وأحسن ما يهدي إلى المرء ماله إليه ارتياح وهو ذكرى الحبايب
 ولم تزل الفضلاء من كل زمان، والنبلاء من كل عصر وأوان يتقربون إلى خواطر
 [مخاديمهم]^(٦) بأحسن ما يؤلفون وأبدع ما يصنفون.

فلا غرو من إهداء هذا الوضع البديع إلى ذلك الجنب [البديع]^(٧) فإن لكل جديد
 بهجة ولكل ناطق لهجة. والجزئي كلي عند الكريم والقليل جليل [مع]^(٨) ملاحظة
 التعظيم، وإن كنت من ذلك كمن أهدى الزهر إلى غصنه والقطر إلى مزنه. والبحر
 بطره السحاب وماله من عليه لأنه من [مائه]^(٩). هذا ولقد عرضت حكمة على لقمان
 مديت جرادة إلى حضرة السيد سليمان.

قال بعضهم من صدر كتاب له: ولما كانت الهدايا تزرع الحب وتضاعفه وتعضد

(١) ثبت في ب [المحفوظ].
 (٢) ثبت في ب [لأن الصدر].
 (٣) في ب [في النقص].
 (٤) في ب [والأبوام].
 (٥) في ب [ولا زالت].
 (٦) في أ [مخاديمهم].
 (٧) ثبت في ب [المنيع].
 (٨) في ب [عند].
 (٩) في ب [هاله].

الشكر وتساعفه . أحببت أن أهدي إليه هدية فائقة تكون من سوق [فضائله نافقة]^(١) فلم أجد إلا العلم الذي شغفه حبًا والحكم التي لم يزل لها صبا . والأدب الذي اتخذه كسبًا ورأيت فإذا التصانيف من كل فن لا تحصى . والأمالى من سطور العلماء وطروس^(٢) الحكماء أوسع دائرة من أن تستقصى ، إلا أن التأنيق من التعبير من قبيل إبراز الحقائق في الصور ولكل جديد لذة ولا خلاف من ذلك عند أهل النظر رحمهم الله تعالى .

ما كان من حمل اليراع بكاتب خطا يباري بهجة وبياننا
أخذ العصا بالكف ليس بمعجز الشأن من تحويلها ثعبانا
وكان يقال : الوضع وضعان : وضع له افتخار ووضع له تجار .

وحسن التآليف مواهب وللناس مما يعشقون مذاهب
ومعلوم أن الجنون فنون وكل حزب بما لديهم فرحون
وقد يلام الغني من الشيء يصنعه وليس يلحقه لوم إذا تركه

هذا مع اعترافي بأني من فنون الذوق قليل البضاعة ومن شجون الشوق قليل الصناعة ولكن دأبي التقاط درر العبارات من حياض العلماء وديدي أخذ غرر الإشارات من عياض الحكماء فهو لسان إخوان الصفاء لا لساني وبيان خلان الوفاء لا بياني .

كمن يجد وليس له بغير ومن يرعى وليس له سوام
ومن يسقى وقهوته شراب ومن يدعو الضيوف [ولا]^(٣) حكام

وبالجملة فإن المرء ما بين هاج ومادح ومتنصر وقادح :

على أنني لم أخل من حاسد ومن عدو ولكني له باسط العذرى
وهذه بنات فكر عاجز وبينات ذهن بينه وبين المعاني عاجز قد ترهبت إما من الكساد [فليست]^(٤) من المداد مستحًا أو من الوجمل فجاءت تمشي على استحياء صفحًا وقد أطاع القول على هذا العذر المنصوص . وأبت كؤوس المعاني إلا أن ترقص بما فيها رقص القلوص .

سقوني وقالوا لا تغني ولو سقوا . جبال حنين ما سقوني لفنت

(١) سقط من ب . (٢٢٦) .

(٢) سقط من ب .

(٣) ثبت في ب [وليس] . (٤) التظريس : تسويد الباب وإعادة الكتابة على

المكتوب . انظر / القاموس المحيط (٢) / (٤) ثبت في أ [فليست] بالموحدة التحتية .

ومن وقف على تحقيق هذا الكلام . أنشد من تصديق هذي الدعوى إذا قالت
حذام وإن كنت فيما أعيانه أتعوض عن الجوهر بالخرز وأكتفي عن المعاني الجليلة بما
هو سداد من عوز . لكنني ممن يعرف [الدرر وإن]^(١) لم يملكه ، وينقل التبر وإن لم
يسبكه . ولقد جاء بعناية الله تعالى ونظره السعيد نزهة للنظر . هذا وإن السعادة كما يقال
[لتلحظ]^(٢) الحجر .

فكأنه من حسن رقة لفظه ذكرى حبيب فاق كل حبيب
ماشيق إلا صريع عنده ولشعره يشتاك كل لبیب
[فليكن]^(٣) كتابًا بسببه ذكره الشريف يؤرخ ، وكافور القرطاس بغالية أوصافه من
معناه يضمنخ :

ما تنسخ الأيدي يبيد وإنما يبقى لنا ما تنسخ الأقلام
فقد أسارت شفاه الليالي بقايا وأخلفت بواسق النخيل ودايا وعلى [رفيق]^(٤) خزا
من بادية العربية من عضاضة دولة الإسلام . واقيًا لهم على الوردة الفارسة . في حدائق
الكلام مآذب تغزو الروح وتهز العطف المروح إفادتها ميامن المستجن بطيبه طيبًا فسدت
بها [أوكية]^(٥) النطق على فنن اللسان رطيبا .

وأنى على ما في من حضرته ليعجبني ظل [حتى]^(٦) المشرع
وقد استقرت العزيمة على الاكتفاء . بغيض من فيض . وطل من وبل ونهر من
بحر . إذ كل [كتيره]^(٧) عدو للطبيعة . وراكب سهوب الاسهاب مستهدف للوقعة . وإنما
يحمد المرء من اختصار [القليل]^(٨) والقاء القول الثقيل أوجزت جمعي ومن الايجاز
فائدة وللكرام من التطويل تصديق . على أنني لا أزعم أنه جمع سلامه . ولا أدعي انه
صنيع فاضل يستحسنه الثيبه والعلامة وإلا فوحي البلاغة من بعد لم تنقطع وسلوك طريق
الايجاز أصلاً ورأساً لم يمتنع . ومن لي بخلو البال واستقامة الحال . ومعاضدة الزمن
الغشوم . بانتفاء الهموم والشواغل [ومساعدة]^(٩) القدر بكف أذى اللثام والأرذال فأخذ
من مصنوع الكلام وانني على ذلك المقام . وكيف تصفو القريحة وصفاء الوقت يكدر .
وسبيل المحن من أعلى الروابي تحدر . مع أنني من زمن تشابه فيه الضاحك والباكي .

(١) ثبت في أ [بالدوران] . (٤) في ب [رفيق] . (٧) في أ [كبيرة] .
(٢) في أ [لتلحظ] . (٥) ثبت في أ [أيكية] . (٨) في أ [القتيل] .
(٣) ثبت في ب [فليكني] . (٦) في أ [الخبا] . (٩) في أ [وما عقدة] .

وقل به الشاكر وكثر الشاكي وفيما رفعت إليه من المضايق وحال دون أمالي من العوائق.
ما يرتج به الكلام على الفصيح ويشبهه الصواب على الحازم المسيح.

فلن اعترافي بالتأخر حيث لا يقدمني فضل أجل وأرجح^(١)
وما أصدق ما قال:

إذا كان عون الله للمرء فائدا تهيأ له من غير سعي مراده
وإن لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه إجهاده
وأنا اعترافي بالتأخير حيث لا يقدمني فضل أجل وأرفع^(٢)
وكأنني بالحواسد والعدال، نسبوني من ذلك إلى المحال وقال قائلهم ماح نفسه
يقريك السلام. فأقول نعم ويهدي من التحية والثناء ما تتأرج به الرياض باكرتها الغمام
[ومن هاهنا نشرع من المراد]^(٣) والله الموفق للسداد وعلى كرمه التعويل. وبواسطة لطفه
التأميل.

مسئلة^(٤): المدينة من [مدن]^(٥) بالمكان أقام^(٦)، أو من دان إذا أطاع فالميم زائدة
وذلك لأن السلطان يسكن المدن فتقام له طاعة فيها، أو لأن الله تعالى يطاع فيها أو لأنه
عليه السلام يسكنها فدانت له الأمم. وهي أبيات مجتمعة تجاوز حد القرى [كثرة]^(٧)
وعماراة لم تبلغ حد الأمصار وقيل يقال لكل مصر، والمدينة علم على طابة مهاجر
رسول الله ﷺ بحيث إذا اطلق هذا اللفظ لا [ينصرف]^(٨) إلا إليها والنسبة إليها «مدني»
وإلى غيرها من المدن مدني للفرق كذا في الوفاء.

مسئلة: المدينة من الأقليم الثاني وهو حيث يكون طول النهار الأطول ثلث عشرة
ساعة ونصف ساعة ويرتفع القطب الشمالي فيه مقدار أربعة وعشرين جزء وعشر جزء
ومساحة هذا الإقليم أربعمئة ميل وفيه سبعة عشر جبلاً وسبعة عشر نهراً وأربعمئة
وخمسين مدينة كذا في الخطط للمقرئزي.

-
- (١) سقط من «ب».
- (٢) في هامش «ب» هذا البيت مقدم.
- (٣) سقط من «ب».
- (٤) المسئلة لغة: السؤال. انظر/ القاموس المحيط (٣/ ٣٩٢). وعرفاً مطلوب خبري يبرهن عليه في العلم. انظر/ السبع كتب مفيدة لعلوي السقاف (ص/ ٦٢).
- (٥) ثبت في أ هكذا [مسدن].
- (٦) قال في القاموس: مدَّنَ أقام فعل ممات ومنه المدينة للحصن يبني في أصطمة أرض.
- (٧) في ب [كثيرة].
- (٨) في ب [ينصرف].
- انظر/ القاموس المحيط (٤/ ٢٧٠).

مسئلة: دور كرة الأرض أربعة وعشرون ألف ميل وذلك عن ثمانية آلاف فرسخ بحيث لو وضع جبل على نقطة [من]^(١) الأرض وأدير الجبل على الكرة حتى انتهى الطرف الآخر إلى نقطة الابتداء كانت مساحة الجبل العدد المذكور وكل درجة من درج الفلك يقابلها من سطح الأرض ستة وستون ميلاً وثلاثاً ميل [فإذا ضربنا عدد درج الفلك من ستة وستين ميلاً وثلاثي ميل]^(٢) كانت الجملة أربعة وعشرين ألف ميل وهي ثمانية آلاف فرسخ وصحراء [سجائر]^(٣) ووطاء الكوفة من الأراضي [المتساوية]^(٤) انتهى من كتاب سر الفلك .

مسئلة: أعظم جبل على وجه الأرض ارتفاعه فرسخان وثلث فرسخ ونسبة ارتفاعه إلى كرة الأرض سبع [عرض]^(٥) شعيرة إلى كرة قطرها ذراع وغاية ما يرتفع الطير في الهواء اثني عشر فرسخاً وتنقطع الكيفيات من وراء ثمانية عشر فرسخاً ولا يخلو وجه الأرض المعمور من [المشرق]^(٦) من وقت إبداء فالوقت الواحد يكون شروقاً عند قوم زوالاً عند غيرهم غروباً عند آخرين وأصغر كوكب يرى من الثوابت كالسيها أكبر من زحل وزحل مثل الأرض إحدى وتسعين مرة والنجم تستصغر الأبصار رؤيته، والذنب للعين لا للنجم في الصغر .

مسئلة: ان قيل تقرر من الشرع ومن علم الهيئة أن الأرضين سبع كالسموات فلم لم يذكر في الكتاب العزيز إلا الأرض؟ . . الجواب أنه عليه السلام «رقي إلى السموات السبع»^(٧) فتشرفها به ذكرت أو لأن الانتفاع من أرض الدنيا فقط بناء على أنها طبقات ولم يتشرف به غيرها ومن كتاب «المواهب اللدنية» قد جاء أن السموات شرفت بموطىء قدميه ﷺ، بل لو قال قائل: إن جميع بقاع الأرض أفضل من جميع بقاع السماء لشرقتها بكونه ﷺ حالاً فيها لم يبعد بل هو الظاهر المتعين وحكاه بعضهم عن الأكثرين لخلق الأنبياء منها ودفنهم فيها لكن قال النووي: الجمهور على تفضيل السماء على الأرض ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة .

مسئلة: هل للمدينة حرم كما بمكة أم لا؟ الجواب أنها ليست بحرم عندنا والمراد

(٧) رقية - صلى الله عليه وآله وسلم - أخرجه :

البخاري في الأنبياء (٦/٤٣١) - الحديث (٣٣٤٢) . ومسلم في الإيمان (١/١٤٥) - الحديث (١٦٣/٢٥٩) - (١٦٣/٢٦٣) . والإمام أحمد في مسنده (٥/١٧٢ - ١٧٣) - الحديث (٣٢٦) .

(١) سقط من «ب» .

(٢) سقط من «ب» .

(٣) ثبت في ب [سجائر] .

(٤) في أ [المتساوية] .

(٥) في ب [عرضي] .

(٦) في ب [الشمس] .

من الوارد الحرمة الحاصلة لها بتوطئته عليه السلام إياها ودفنه فيها ومعنى حرمت أوجبت حرمتها وحماها بإقامتي فيها فصارت حمى محروسًا من الآفات كما ورد «عن كل نقب»^(١) منها ملك يحرسها»^(٢) ولذا يصرف عنها الدجال ويؤيده أنه كان صغير بالمدينة وكان عليه السلام يقول له: «يا أبا [عمير]^(٣)» فافعل النغير^(٤)» فلو كانت كمكة لما جاز ذلك» انتهى من كتاب زهر البساتين قال الملا على القاري من شرح لباب المناسك وعباب المسالك عند قوله وإذا دنا من [حرم]^(٥) المدينة المشرفة أي حولها من الأماكن المحترمة إذ لا حرم للمدينة عندنا كحرم مكة من أحكامها.

قلت: وفيما ورد من الأحاديث من ذلك ما يقضي للمدينة المنورة بأنها حرم

(١) النقب: بفتح النون والقاف بعدها موحدة. قال ابن وهب: المراد بها المداخل. وقيل: الأبواب، وأصل النقب الطريق بين الجبلين. وقيل: الأنقاب الطرق التي يسلكها الناس ومنه قوله تعالى: ﴿فنبقوا في البلاد﴾. انظر/ فتح الباري (١١٤/٤).

(٢) أخرجه البخاري في فضائل المدينة (١١٤/٤) - الحديث (١٨٨١). ومسلم في الفتن (٤/١٢٦٥) - الحديث (٢٩٤٣/١٢٣). والإمام أحمد في مسنده (٤١/٥) - الحديث (٢٠٣٧٠). والحاكم في المستدرک (٤٢٧/٤).

(٣) قال الحافظ: هو بالتصغير، وفي رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عند الإمام أحمد «كان لي أخ صغير»، وهو أخو أنس بن مالك من أمه ففي رواية المثنى بن سعيد المذكورة «وكان لها أم سليم ابن صغير» وفي رواية حميد عند الإمام أحمد «وكان لها من أبي طلحة ابن يكنى أبا عمير»، وفي رواية مروان بن معاوية عن حميد عند ابن أبي عمر «كان بني لأبي طلحة»، وفي رواية عمارة بن زاذان عن ثابت عند ابن سعد «أن أبا طلحة كان له ابن قال أحبه فطيماً». انظر فتح الباري (٥٥٩/١٠).

(٤) ثبت في أ [عمر].

(٥) بنون ومعجمة وراء مصغر، وهو طير صغير واحدة نغرة وجمعه نغران. قال الخطابي: طوير له صوت. قال الحافظ ابن حجر: وفيه نظر، فإنه ورد في بعض طرقه أنه الصعو بمهملتين بوزن العفو كما في رواية ربيعي: «فقال أم سليم ماتت صعوته التي كان يلعب بها، فقال: أي أبا عمير مات النغير» فدل على أنهما شيء واحد، والصعو لا يوصف بحسن الصوت. قال الشاعر:

كالصعو يرتع في الرياض وإنما حبس الهزار لأنه يترنم
قال القاضي عياض: النغير طائر معروف يشبه العصفور. وقيل: هي فراخ العصفير. وقيل: هي نوع من الحمر بضم المهملة وتشديد الميم ثم راءه قال: والراجع أن النغير طائر أحمر المنقار. قال الحافظ ابن حجر: قلت: هذا الذي جزم به الجوهري. قال: وقال صاحب «العين والمحكم»: الصعو صغير المنقار أحمر الرأس. انظر/ فتح الباري (٦٠٠/١٠).

(٦) ستأتي في الآخر محمد فارس.

(٧) سقط من ب.

كمكة^(١) من أحكامها^(٢) فقد أطلال الكلام على ذلك السيد السمهودي في تاريخه الوفاء .
وأنشد عليه بعضهم :

إن المدينة لا يشك كمكة حرم ولكن بالنبي تفضل
فهي الأمان لخائف ولعاكف فيها معاش ليس فيه معضل

(١) قال الشيخ النووي : فرع : في بيان الأحاديث الواردة في بيان حرم المدينة : منها : عن الخليفة علي - عليه السلام - مرفوعاً : «المدينة حرام ما بين عير إلى ثور» أخرجه البخاري ومسلم وفي رواية للبخاري «ما بين عائر إلى . . .» كذا . قال أبو عبيد وغيره من العلماء : عير ويقال له عائر جبل معروف بالمدينة قالوا : وأما ثور فلا يعرف أهل المدينة بها جبلاً يقال له ثور ، وإنما ثور جبل بمكة قالوا : فنرى أن أصل الحديث ما بين عير إلى أحد ولكنه غيره غلط الرواة فيه واستمرت الرواية . وقال أبو بكر الحازمي في كتابه المؤتلف في الأماكن : الرواية الصحيحة ما بين عير إلى أحد . قال : وقيل : إلى ثور . قال : وليس له معنى . هذا كلامهم في هذا الحديث ، ولا يبعد أن الجبل كان يسمى ثوراً ثم هجر ذلك الاسم . وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً : «ما بين لابتيتها حرام» متفق عليه واللابتان الحرتان ثنية لابة هي الأرض الملبسة حجارة سوداء والمدينة بين لابتين في شرقها وغربها . وعن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : إني حرمت ما بين لابتي المدينة كما حرم إبراهيم مكة» أخرجه مسلم . ثم قال : وعن عدي بن زيد الخزاعي الصحابي قال : «حمى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كل ناحية من المدينة بريداً بريداً لا تخبط شجرة ولا تعضد إلا ما يساق به الجمل» . أخرجه أبو داود بإسناد غير قوي . قال الشيخ النووي : «فالحاصل أن حرم المدينة ما بين جبلتها طولاً وما بين لابتيتها عرضاً» . انظر/ شرح المذهب (٤٧٧/٧ - ٤٧٩) .

(٢) قال الشيخ ابن الجوزي : صيد المدينة وشجرها محرم وهو قول مالك والشافعي وأحمد . وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة : ليس بمحرم . واختلفت الرواية عن أحمد هل يضمن صيدها وشجرها بالجزاء أم لا؟ فروى عنه أنه لا جزاء فيه وبه قال مالك . وللإمام الشافعي قولان كالروايتين . وإذا قلنا بضمنانه فجزاؤه سلب القاتل يتملكه الذي سلبه . ويفارق مكة في أن من أدخل إليها صيداً لم يجب رفع يده عنه ، ويجوز له ذبحه وأكله ، ويجوز أن يؤخذ من شجرها ما تدعو الحاجة إليه للرحل والوسائد ، ومن حشيشها ما يحتاج إليه للعلف بخلاف حرم مكة . انظر/ مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن لابن الجوزي - قيد الطبع بتحقيقنا . محمد فارس - شرح المذهب (٤٨٠/٧ - ٤٨١) . المغني (٣٥٤/٣) - فتح الباري (١٠٠/٤) . صحيح : أخرجه البخاري في الأدب (٥٤٣/١٠) - الحديث (٦١٢٩) . ومسلم في الأدب (١٦٩٢/٣) - (١٦٩٣) - الحديث (٢١٥٠/٣٠) . والترمذي في البر والصلة (٣٥٧/٤) - الحديث (١٩٨٩) . وأبو داود في الأدب (٢٩٤/٤) - الحديث (٤٩٦٩) . وابن ماجه في الأدب (١٢٢٦/٢) - الحديث (٣٧٢٠) .

وفي الصحيح اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت ما بين لابتيها^(١)».

وعلى القول بأنها حرم فهي بريد من بريد وذلك ما بين غير إلى ثوربان يحدها من الجنوب إلى الشمال وهما مازماها وما بين لابتيها أي حديتها الشرقية والغربية. ونظم ذلك من قال:

حرم المدينة حده فيما حكوا غيرًا وثورًا قبلة وشمالا
واللابتان تحدها إذا النهى شرقًا وغربًا فاعتمده مقالا
مسئلة: صح أنه عليه الصلاة والسلام التفت إلى المدينة الشريفة وقال: «إن الله برأ هذه الجزيرة من الشرك»^(٣).

(١) وقع في حديث جابر عن الإمام أحمد «وأنا أحرم المدينة ما بين حرتيها» قال الحافظ ابن حجر: فادعى بعض الحنفية أن الحديث مضطرب لأنه وقع في رواية «ما بين جبليها»، وفي رواية «ما بين لابتيها» وفي رواية «مازميها». وتعقب بأن الجمع بينهما واضح، ويمثل هذا لا ترد الأحاديث الصحيحة، فإن الجمع لو تعذر أمكن الترجيح. قال: ولا شك أن رواية «ما بين لابتيها» أرجح لتوارد الرواة عليها، ورواية جبليها لا تنافيها فيكون عند كل لابة جبل أو لابتيها من جهة الجنوب والشمال وجبليها من جهة الشرق والغرب وتسمية الجبلين في رواية أخرى لا تضر. وأما رواية مازميها فهي في بعض طرق حديث أبي سعيد، والمأزم بكسر الزاي المضيق بين الجبلين، وقد يطلق على الجبل نفسه. قال: واحتج الطحاوي بحديث أنس في قصة أبي عمير ما فعل النغير قال: لو كان صيدها حرامًا ما جاز حبس الطير. وأجيب: باحتمال أن يكون من صيد الحل. قال الإمام أحمد: من صاد من الحل ثم أدخله المدينة لم يلزمه إرساله لحديث أبي عمير وهذا قول الجمهور. قال الحافظ: لكن لا يرد ذلك على الحنفية لأن صيد الحل عندهم إذا دخل الحرم كان له حكم الحرم، ويحتمل أن تكون قصة أبي عمير كانت قبل التحريم. ثم قال الحافظ: وقال الطحاوي: يحتمل أن يكون سبب النهي عن صيد المدينة وقطع شجرها كون الهجرة كانت إليها فكان بقاء الصيد والشجر مما يزيد في زينتها ويدعو إلى ألفتها كما روى ابن عمر «أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - نهى عن هدم أطام المدينة» فإنها من زينة المدينة فلما انقطعت الهجرة زال ذلك. قال الحافظ: وما قاله ليس بواضح لأن النسخ لا يثبت إلا بدليل، وقد ثبت على الفتوى بتحريمها سعد وزيد بن ثابت وأبو سعيد وغيرهم كما أخرجه مسلم. انظر/ فتح الباري (٩٩/٤ - ١٠٠).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في الأنبياء (٤٦٩/٦) - الحديث (٣٣٦٧). ومسلم في الحج (٢/ ٩٩١) - الحديث (١٣٦١/٤٥٦). والترمذي في المناقب (٧٢١/٥) - الحديث (٣٩٢٢). والإمام مالك في الموطأ في الجامع (٨٨٩١٢) - (١٠). والإمام أحمد في مسنده (١٧٤/٤) - الحديث (١٧٢٧٧).

(٣) رواه العباس بن المطلب مرفوعًا أخرجه: أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط كما في المجمع وقال: فيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وضعفه الناس، وبقي رجال أبي يعلى ثقات قال: وله طريق في الأدب. انظر/ مجمع الزوائد للهيتمي (٣/ ٣٠٢) - تهذيب التهذيب (٣٣٩/٨).

وقال بعضهم: قلت هنيئًا لأهلها فإنهم برآء من الشرك بشهادة.

[قال بعضهم هذا]^(١):

هذا الأثر. وبشرى لهم بتسميتها «دار الأبرار» ودار الأخيار والعاصمة والمرحومة والمرزوقة. والناجية. والمقدسة والجابرة ودار السلامة.

أسامينا لم تزد معرفَةً وإنما لذّة ذكرناها

وبالجملة فإن فضل المدينة لا ينكر ومحاسنها الغراء لا تحصى ولا تحصر وجيران صاحب «الحوض والكوتر»^(٢) «المغفور له من ذنبه ما تقدم وما تأخر»^(٣) على يقين إن شاء الله تعالى من السلامة في المعاد وثقة بالكرامة في يوم الأشهاد.

وما أحسن ما قال:

تلك دار إن لم تكن هي ذات النفس مني فإنها [مشتهاها]^(٤)
لو تمكنت أن [أقضي]^(٥) بها [العمر]^(٦) جميعًا لما قصدت سواها

وما أحسن ما قال الشيخ محمد البكري:

دار الحبيب إخوان تهواها
وعلى الجفون متى هممت بزورة
فلا أنت أنت إذا [حللت]^(٨) بطيبة
عنا الجمال مني الخواطر والتي
لا تحسب المسك الزكي كترها
طابت فإن تبغ التطيب يا فتى
وأبشر ففي الخبر الصحيح مقرر
ونحن من طرب إلى ذكراها
يا ابن الكرام عليك أن [تغشاها]^(٧)
وظللت ترتع في ظلال رباها
سلبت عقود العاشقين خلاها
هيهات أين المسك من رباها
فأدم على الساعات لم تراها
أن الإله بطابة سماها

(١) سقط من «أ».

المنافقين (٤/٢١٧٢) - الحديث (٨١)

(٢٨٢٠). والإمام أحمد في مسنده (٦)

(١٢٩) - الحديث (٢٤٨٩٨).

(٤) في ب [مشتهاها].

(٥) في ب [أحصى].

(٦) في ب [الفجر].

(٧) في ب [تغشاها].

(٨) في أ [حلت].

(٢) أخرجه مسلم في الصلاة (١/٣٠٠) -

الحديث (٥٣/٤٠٠). وأبو داود في السنة

(٤/٢٣٧) - الحديث (٤٧٤٧). والبيهقي

في البعث والنشور (ص/١١٠ - ١١١) -

الحديث (١١٤).

(٣) أخرجه البخاري في التفسير (٨/٤٤٨) -

الحديث (٤٨٣٦ - ٤٨٣٧). ومسلم في

واختصها بالطيبين لطيبها
 لا كالمدينة منزل وكفى لها
 حظيت بهجرة خير من وطىء الثرى
 كل البلاد إذا ذكرت كأحرف
 حاشى [مسمى]^(١) القدس فهى قريبة
 لا فرق إلا أن ثم لطيفة
 جزم الجميع بأن خير الأرض ما
 ونعم لقد صدقوا بساكنها علت
 وبهذه ظهرت مزية طيبة
 حتى لقد خصت بروضة جنة
 ما بين قبر للنبي ومنبر
 هذي محاسنها فهل من عاشق
 إني لأرهب من توقع بينها
 [ولقلما]^(٢) أبصرت حال مودع
 فلكم أراكم قافلين جماعة
 قسمًا لقد أذكى فؤادي بينكم
 إن كان أعجزكم طلاب فضيلة
 أو خفتهم ضررًا بها فتأملوا
 أف لن يبقى الكثير لشهوة
 والعيش ما يكفي وليس هو الذي
 يا رب أسأل منك فضل قناعة
 ورضاك عني دائمًا ولزومها
 فإن الذي أعطيت نفسي سؤلها
 بجوار أوفى العالمين بدمه
 من جاء بالآيات والنور الذي

واختارها ودعا إلى سكنها
 شرقًا حلول محمد بفناها
 وأجلهم قدرًا فكيف تراها
 من اسم المدينة لا خلت معناها
 منها ومكة إنها إياها
 منها بدت يجلو الظلام سناها
 قد حاط ذات المصطفى وحوها
 كالنفس حين زكت زكا مأواها
 قعدت وكل الفضل في مغناها
 الله شرفها بها وحبها
 حي الإله رسوله وسقاها
 قلق شحيح باخل بنواها
 فيظل قلبي موجعًا أواها
 إلا رثت نفسي له وشجها
 من [أمر]^(٣) أخرى طالبين سواها
 نازًا وفجر مقلتي [أموها]^(٤)
 فالخير أجمعه لدى مثواها
 بركات بلغتها فما أزكاها
 ورفاهة لم يدر ما عقبها
 يطغى النفوس ولا خسيس منها
 بيسيرها أو [تحببا]^(٥) لحماها
 حتى توافي مهجتي أخراها
 وقبلت دعوتها فيا بشرها
 وأعز من بالقرب منه يباها
 داوى القلوب من العمى فشفها

(١) في ب [مسلم].

(٢) في أ [ولعلما].

(٣) في ب [إثر].

(٤) في ب [أثواها].

(٥) في ب [تحنيا].

أولى الأنام بخطة الشرف التي
إنسان عين الكون سر وجوده
حسبي فلست أفي بذكر صفاته
كثرت محاسنه وأعجز حصرها
إنني اهتديت من الكتاب بآية
ورأيت فضل العالمين محمدا
كيف السبيل إلى تقصي مدح من
إن الذين يبايعونك إنما
هذا الفخار فهل سمعت بمثله
صلوا عليه وسلموا فبذلكم
صلى عليه الله غير مقيد
وعلى الأكابر إله سرج الهدى
وكذا السلام عليه ثم عليهم
أعني الكرام أولى النهى أصحابه
والحمد لله الكريم وهذه

تدعي الوسيلة خير من يعطاها
[يس] ^(١) إكسير المحامد طه
ولو أن لي عدد الحصى أفواها
فغدت وما تلقى لها أشباها
فعلمت أن علاه ليس يضاهها
وفضائل المختار لا تتناها
قال الإله له وحسبك جاها
فيما تقول يبايعون الله
واها لنشأته الكريمة واها
تهدى النفوس لرشدها وغناها
وعليه من بركاته أتماها
أحبب بعترته ومن والاه
وعلى عصابته التي زكاها
فئة التقى ومن أهدى بهداها
نجزت وظني أنه يرضاها

(١) ثبت في ب [يس].

[المقالة^(١) الأولى]

فيما يتعلق بالمكان ويشتمل على أبواب. هي بالقبول إن شاء الله تعالى مفتحة لأولى الألباب.

أبواب إقبال تفتح بالهنا أيام شعبان لها ألبان
قال الزمان وقد رأى إقبالها يا ليت دهري كله شعبان

باب: فيما تميزت به المدينة الشريفة عما سواها، وذكر بعض محاسنها التي يطرب لها المحب ويرضاها، ولا أتعرض لحصر ألقابها فيعترض دونها الحصر، بل كحضور الملاح لرشاقتها تختصر [شعر]^(٢)

أملاني حديث من سكن الجزع ولا تكتباه إلا بدمعي
فإنني أن أرى الديار بطرفي فلعلي أرى الديار بسمعي

ومن أحسن محاسنها السنية: إشتغالها على البقعة التي انعقد الإجماع على تفضيلها على سائر البقاع، وإن كان صلوات الله وتسليماته على فروعه وأصوله روح وجود الكائنات وسر الموجود جلية وجميلة.

لا تقل دارها [بشرقي]^{(٣)(٤)} تجد كل نجد للعامرية دار
ولها [قنن]^(٥) على كل بناء وعلى كل دمننة^(٦) آثار
وما أحسن ما قال:

أحن إليه وهو قلبي وهل ترى سواي أخا وجد يحن لقلبه
ويحجب طرفي عنه إذ هو ناظري وما بعده إلا لإفراط قربه

(٥) جمع قنة وهو: الجبل الصغير. انظر/
القاموس المحيط (٤/٢٦١).
(٦) الموضع القريب من الدار جمعها دمن.
انظر/ القاموس المحيط (٤/٢٢٣).

(١) سقط من «أ».
(٢) سقط من «ب».
(٣) في ب [شرقي].
(٤) في أ [منزل].

وقال آخر:

أعياننا ووجودنا المتلبس
نجد وليت [ألقاب]^(١) طي العس
سر لسان النطق عنه أخرس
ووراء ذلك ولا أشير لأنه
وقال:

وجود غيرك يأكل المنى عدم
هام الورى بمعان [فيك]^(٢) قد جمعت

ومن محاسنها أن سائر بلاد الإسلام [فتحت]^(٣) بالسيف. وافتتحت حصن بالقرآن
العظيم، وأنه يبعث [منها]^(٤) أشراف هذه الأمة يوم القيامة. على ما نقله القاضي عياض
من المدارك عن مالك.

ومن محاسنها «تحريكه عليه السلام دابته عند قدومه إليها إذا أبصر» منازلها^(٥)
ودعاؤه لها بالبركة^(٦) (٧). وقوله: «غيروا فقد سبق المفردون»^(٨).

الآخرة. ورده عياض بأن البركة أعم من أن
تكون في أمور الدين أو الدنيا، لأنها
بمعنى النماء والزيادة، فأما في الأمور
الدينية فلما يتعلق بها من حق الله تعالى من
الزكاة والكفارات ولا سيما في وقوع البركة
في الصاع والمد. انظر/ فتح الباري (٤/
١٨٧). قال الشيخ النووي: والظاهر من
هذا كله أن البركة في نفس المكمل في
المدينة بحيث يكفي المد فيها لمن لا يكفيه
في غيرها والله أعلم. انظر/ شرح صحيح
مسلم للنووي (١٤٢/٩). قال الحافظ ابن
حجر: وقال القرطبي: إذا وجدت البركة
فيها في وقت حصلت إجابة الدعوة ولا
يستلزم دوامها في كل حين ولكل شخص.
انظر/ فتح الباري (٤/١١٨).

(٧) متفق عليه: أخرجه البخاري في فضائل
المدينة (٤/١١٧) - الحديث (١٨٨٥).
ومسلم في الحج (٢/٩٩٤) - الحديث
(٤٦٦).

(٨) لم أجده، والتقصير منا. طالب العلم:
محمد فارس.

(١) في ب [الغابي].

(٢) في أ [قبل].

(٣) في أ [افتتحت].

(٤) سقط من ب.

(٥) أخرجه البخاري في فضائل المدينة (٤/
١١٧) - الحديث (١٨٨٦). والترمذي في
الدعوات (٥/٤٩٩) - الحديث (٣٤٤١).
والبغوي في شرح السنة (٧/٣١٥) -
الحديث (٢٠١١).

(٦) استدل به عن تفضيل المدينة على مكة وهو
ظاهر من هذه الجهة لكن لا يلزم من
حصول أفضلية المفضل في شيء من
الأشياء ثبوت الأفضلية له على الإطلاق،
وأما من ناقض ذلك بأنه يلزم أن يكون
الشام واليمن أفضل من مكة لقوله في
الحديث الآخر «اللهم بارك لنا في شامنا»
وأعادها ثلاثاً. فقد تعقب بأن التأكيد لا
يستلزم التكثير المصرح به في الحديث.
وقال ابن حزم: لا حجة في الحديث بأن
تكثير البركة بها لا يستلزم الفضل في أمور

ومن محاسنها تأسيس مجسده على يده الكريمة^(١) وكون «ما بين بيته ومنبره»^(٢) روضة من رياض الجنة»^(٣)(٤)(٥). وان ذلك يعم مسجده ولو اتصل بصنعاء وكون «المنبر على ترعة من رياضة الجنة»^(٦).

وما أحسن ما قال عبد الله الفيومي:

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في الصلاة (٦٢٤/١) - الحديث (٤٢٨). ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٣٧٣/١ - ٣٧٤) - الحديث (٥٢٤/٩). وأبو داود في الصلاة (١٢١/١) - الحديث (٤٥٣). والنسائي في المساجد (٢٥٩/١) - الحديث (٧٨١). وابن ماجه في المساجد (٢٤٥/١) - الحديث (٧٤٢).

(٢) ومنبره - صلى الله عليه وآله وسلم - على [حوضه] قال الحافظ: أي ينقل يوم القيامة فينصب على الحوض. قال: وقال الأكثر: المراد منبره يعينه الذي قال هذه المقالة وهو فوقه. وقيل: المراد المنبر الذي يوضع له يوم القيامة، قال الحافظ: والأول أظهر ويؤيده حديث أبي سعيد وقد رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي واقد الليثي رفعه: «إن قوائم منبري رواتب في الجنة» وقيل معناه: أن قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد صاحبه إلى الحوض ويقتضي شربه منه. قال: ونقل ابن زباله أن ذرع ما بين المنبر والبيت الذي فيه القبر الآن ثلاث وخمسون ذراعاً. وقيل: أربع وخمسون وسدس. وقيل: خمسون إلا ثلثي ذراع وهو الآن كذلك فكانه نقص لما أدخل من الحجرة في الجدار. انظر/ فتح الباري (١٢٠/٤).

(٣) أي كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة بما يحصل من ملازمة خلق الذكر لا سيما في عهده - صلى الله عليه وآله وسلم - فيكون تشبيهاً بغير أداة، أو المعنى أن العبادة فيها تؤدي إلى الجنة. قال الحافظ: هذا محصل ما أدله العلماء في هذا الحديث وهي على ترتيبها هذا في القوة. انظر/ فتح الباري (١٢٠/٤).

(٤) استدل به على أن المدينة أفضل من مكة لأنه أثبت التي بين البيت والمنبر من الجنة، وقد قال الحديث الآخر «لقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها» وتعبه ابن حزم بأن قوله أنها من الجنة مجازاً إذ لو كانت حقيقة لكانت كما وصف الله الجنة «أن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى»، وإنما المراد أن الصلاة فيها تؤدي إلى الجنة كما يقال في اليوم الطيب هذا من أيام الجنة، وكما قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - «الجنة تحت ظلال السيوف» قال ثم ولو ثبت أنه على الحقيقة لما كان الفضل إلا لتلك البقعة خاصة. فإن قيل: إن ما قرب منها أفضل مما بعد لهم أن يقولوا إن الجحفة أفضل من مكة ولا قائل به. انظر/ فتح الباري (١٢٠/٤).

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري في فضل الصلاة (٨٤/٣) - الحديث (١١٩٥). ومسلم في الحج (١٠١٠/٢) - الحديث (٥٠٠/١٣٩٠) - (١٣٩٠/٥٠١). والترمذي في المناقب (٧١٩/٥) - الحديث (٣٩١٦). والنسائي في المساجد (٢٧٥/١) - في الكبرى الحديث (٧٧٤/٢). والإمام مالك في الموطأ في القبلة (١٩٧/١) - (١١).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٧٨/٢) - الحديث (٨٧٤٢).

سكان طيبة أبلى الحب صبكم
تالله لم ينسه المقياس [روضتكم]^(١)
والشوق باق ليوم العرض في طول
ولا تسلى عن الزرقاء بالنيل

[ومن محاسنها]^(٢) إن ترابها شفاء من الجذام كما هو الوارد^(٣). وشفاء من كل داء
بالتجربة الصادقة. المعروفة عند الخلف والسلف وما أوقع ما قال:

ولو قيل للمجنون ليلي أحب [أم]^(٤) جنان [بها]^(٥) حور حلت نعم الخد
لقال غبار من تراب يقابلها أحب إلى قلبي وأشهى من الخلد

فائدة: ذكر علماء الخواص أن من قدم أرضاً فأخذ من ترابها فجعله في مائها ثم
شربه [عوفي من بلائها]^(٦).

وقيل: يستحب للمسافر أن يصحب معه تراب أرضه التي ولد بها فإذا قدم أرضاً
أخرى جعل منه شيئاً في مائها وشرب منه فإنه يسلم من ضررها وهو من المجربات.

ومن محاسنها: أن من أصابه عرض أو مرض. وأقبل على الشباك الشريف
متضرعاً مستغيثاً. لم يبرح حتى يفرج الله تعالى كربته والناس في ذلك تتفاوت بحسب
الاعتقاد والاستعداد.

وإذا لم تر الهلال فسلم
لأناس رأوه بالأبصار
وكان يقال: الفوائد في العقائد.

وكان يقال: المخ مواهب والمواهب مخ، ولذلك يفتح لشخص دون آخر من
الأبواب ما لا يتطرق إليه بسبب من الأسباب وكان يقال:

فما كل عين بالجمال قريرة
فقل للعيون الرمد للشمس أعين
ولا كل من نودي يجيب إذا دعى
سواك تراها من مغيب ومطلع
وكان يقال:

دنت بأناس عن ثناء ديارهم
وإن مقيمات بمنعرج اللوى
وشط بليلى عن دنو مزارها
لأقرب من ليلي وهاتيك دارها

(٤) سقط من «ب».

(٥) سقط من «ب».

(٦) سقط من «ب».

(١) ثبت في ب [روضكم].

(٢) سقط من «ب».

(٣) لم أجده في مظانه، والتقصير منا. طالب

العلم: محمد فارس.

وقال آخر:

يقولون لي دار الأحبة قد دنت وأنت كئيب إن ذا العجيب
فقلت وما نفعي بدار قريبة إذا لم يكن بين القلوب قريب
وأقول كما قال المتقدم:

صبرًا إن ذاك الحسن عني محجب أليس [بزيادة شرف^(١)] تشهد الصبا
إذا رمت أن تبدي مصونان خدره فحدث بذلك الحي عن ذاك الخبا
وما أحسن ما قال:

وإنني لمشتاق إلى أرض طيبة وإن خانني بعد التفرق إخواني
سقى الله أرضًا لو ظفرت بتربها كحلت به من شدة الشوق [أجفاني]^(٢)

وبالجملة فكل مقصور على سربه وذوقه، الناتج عن حبه وشوقه وكان يقال. لا يفتح القال العيوب إلا من سلم من العيوب وإما من عرى عن الكشف والشهود، واستنطاق ضمائر صحائف الوجود فحرام عليه التفكير في الآثار الكونية والأسرار اللدنية، فليلزم لسان الاعتراض ولا يبرز رعونات الأغراض، فإنه يخشى عليه سلب السابقة في عالم الأرواح والخاتمة في عالم الأشباح، وليرجع إلى نقض فطرته وقصور باعه في ميدان حكمته، فلا يشهد حقيقة الكمال، ولا يظفر من أبكار المعاني بلذة الوصال، وليقل بلسان التسليم ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ [يوسف: ٧٦].

وقال ابن رافع رأس في شذور الذهب:

وحظ العيون الرمد من نور وجهها لسدته خط العيون العوامش
فلا أخصبت إلا لذي الحلم والتقى ولا أجذبت إلا لأهل الفواحش

والحمد لله الذي أطلع من اجتهابه من عباده الأبرار على خبايا الأسرار، وأسمع من ارتضاه من أصفياه الأخيار من الغيب تغريد سواجع^(٣) قضايا الأقدار، وأودع قلوبهم من جواهر المعرفة ما تحتار عيون البصائر والأبصار، وأطمع نفوسهم من إحراز رموز كنوزها بيد الإظهار من سجع^(٤) حجب الأستار الذي قدر حكم أحكامه وكل شيء

(١) ثبت في ب هكذا [يرحاه يرف نسمة لصبا].

(٢) قال في القاموس: السجع الستر أو الستران المقرونان بينهما فرجة أو كل باب ستر بسترين مقرونين فكل شق سجع وسجاف. انظر/ القاموس المحيط (٣/ ١٥٠).

(٣) قال في القاموس: وسواجع وسجع ذلك المسجع قصد ذلك المقصد. انظر/

عنده بمقدار، وبصر من شاء لإكرامه بنور الهامة، فاستخرج غرائب الأسرار بنواقب الأفكار وصلى الله تعالى على سيدنا وسندنا محمد المصطفى المختار ومؤازريه الأئمة الأطهار، صلاة متصفة بالاستمرار متلوة آناء الليل وأطراف النهار.

تنبيه^(١): قال العلامة ابن حجر في كتابه الجوهر المنظم في زيارة القبر المعظم: حرم عند أرباب القلوب على كل قلب شغل بالإرادات الدنية. والشهوات الدنيوية أن يصل إليه المدد النبوي. بل ربما يخشى [عليه]^(٢) من الوقوف بين يديه صلى الله تعالى وسلم عليه فيجب الاجتهاد في تصفية الجنان مع ملاحظة الاستمداد. من سعة العفو عما لا وصول إليه، فإنه يمد كلا بما يناسب حاله، ولا وصول إلى الحضرة الإلهية إلا من بابه كما قيل:

وأنت باب الله أي امرئ أتاه من غيرك لا يدخل

- إسعاد وإمداد -

حكى القاضي شهاب الدين بن خلكان في ديوانه أن الفقيه منصور التميمي أصابته مسبغة في سنة شديدة القحط، فرقى سطح داره ليلاً ونادى بأعلى صوته:

الغياث الغياث يا أحرار نحن خلجانكم وأنتم بحار
إنما نحسن المواساة في الشدة لا حين ترخص الأسعار

قال: فأصبح على بابه مائة حمل من البر. توفي الفقيه منصور الشافعي سنة ست وثلاثمائة.

وما أحسن ما قال:

لا تحزنن ولا تخف ودع التفكير والأسف
أين عودك الجميل فقس على ما قد سلف

لوائح وحوائج حكى بعض الأمراء: يسمع عن رجل من أهل الله تعالى أنه قال: «من رأيي ضمنت له على الله تعالى الجنة» فقال الأمير: كيف ساغ لهذا الرجل أن يقول

(١) التنبيه لغة: الإيقاظ. انظر/ القاموس المحيط للفيروزآبادي (٢٩٣/٤). واصطلاحاً: عنوان البحث اللاحق الذي تقدمت له إشارة بحيث يفهم من الكلام السابق إجمالاً، أي لفظ عنوان به وعبر به عن البحث اللاحق. انظر/ السبع كتب مفيدة لعلوي السقاف (ص/٦٣).

(٢) سقط من «ب».

مثل هذا الكلام مع أن رؤية أبي جهل للنبي صلى الله تعالى وسلم عليه لم تفده فقال له بعض من سمعه: إنما أراد الشيخ بقوله «من رأي» رؤية ولاية [وأبو جهل]^(١) لو رأى النبي صلى الله تعالى وسلم عليه رؤية نبوة لم [تفده]^(٢) السعادة على أنه «قيل بتخفيف العذاب عن تشرف برؤيته».

يا أرمم العين قم قبالتة فددو باللحظ^(٣) نحوه رمدك

فائدة^(٤): رأيت في بعض التذاكر. أن من أصابه رمد يقف تجاه الحضرة الشريفة، وينشد هذين البيتين مرات، فإنه يزول رمده.

قال وقد أصابني الرمد مرة [فقلت]^(٥) كذلك فزال ما اشتكيت والبيتان هما هذان:

أنت الملاذ وأنت الغوث للبشر من معجزاتك رد العين [للنظر]^(٦)
فانظر إلي لعلني أن أرى فرجا فبحر جودك يبرئ شدة الضرر
ومن الفوائد الشرجية ما يقرأ أو يكتب للرمم قول:

إذا ما مقلتي رمدت فكحلي تراب مس نعل أبي تراب
هو البكاء في المحراب ليلا هو الضحك في يوم الضراب
ومما يكتب للرمم، وهو مروي عن ابن عجيل أيمني^(٧):

يا ناظري ببعقوب أعيدكما بما استعاذ به إذ مسه الكمد
قميص يوسف قد جاء البشير به بحق يوسف اذهب أيها الرمد

قال في المواهب اللدنية: أنبت أن العلامة أبي عبد الله ابن رشد قال: لما قدمنا المدينة الشريفة سنة أربع وثمانين وستمائة كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي قاسم [بن]^(٨) الحكيم وكان أرمم العين فلما وصلنا ذا الحليفة نزلنا عن الأكوار وقد قوى الشوق لقرب المزار فنزل وبادر إلى المشي على قدميه. احتساباً لتلك الآثار وإعظماً [لمن جل]^(٩) هاتيك الديار فأحس بالشفاء، [فأنشد لنفسه في وصف الحال]^(١٠).

-
- (١) هكذا ثبت في أ [أبو عن].
(٢) هكذا ثبت في أ [تفته].
(٣) كذا في الاصل.
(٤) الفائدة لغة: ما استفيد من علم أو مال. انظر/ القاموس المحيط (١/٣٢٤).
(٥) ثبت في أ [ففعلت].
(٦) في أ [للشهر].
(٧) هو من العباد. انظر/ البداية والنهاية لابن كثير (١٣/٣٠٦).
(٨) سقط من «ب».
(٩) في أ [للمرحل].
(١٠) سقط من «أ».

ولما رأينا من [ربوع]^(١) [حبيبنا]^(٢)
وبالترب منها إذ كحلنا جفوننا
وحين تبدي للعيون جمالها
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة
تسح سجال الدمع في عرصاته
وان بقائي دونه [لخسارة]^(٤)
فيا عجباً ممن يحب يزعمه
وزلات مثلى لا تعده [كثرة]^(٥)
[ومن نبويات]^(٦) المواهب:

ألا مع برق يغتدي ويروح
أريج الصبا هبت بطيب عرفهم
إذا ريح ذاك الحي هبت فلإنها
ترفق بنا يا حادي العيس والتفت
فما هذه إلا ديار محمد
وألا فما للركب هاج اشتياقهم
وأنت مطايا القوم حتى كأنها
وقد مدت الأعناق شوقاً وطرفها
رأت دار من تهوى فزاد حنينها
إذا العيس باحت بالغرام ولم تطق
قال في المواهب:

[بيثرب]^(٣) أعلاماً أثرن لنا الحيا
شفينا فلا بأساً نخاف ولا كربا
ومن بعدها عنا أدملت لنا قربا
لمن حل فيها أن نلم بها ركبا
وتلثم من حب لواطئه التربا
ولو أن كفي تملك الشرق والغربا
يقيم مع الدعوى ويستعمل الكثبا
وبعدي عن المختار أعظمها ذنبا

أم النور من أرض الحجاز يلوح
أم الروض من وجه الصباح يفوح
حياة لمن يغدو لها ويروح
فللنور بين الواديين وضوح
وذاك [شأنها]^(٧) من البقاع [يلوح]^(٨)
فكل من الشوق الشديد يصيح
حمام على قصب الأراك تنوح
إلى النور من تلك الرياح لموح
ومدمعها في الوجنتين سفوح
جفاء فما للصب ليس ينوح

ولما قربنا من المدينة المنورة وأعلامها، وتدانينا من معاينة رباها الكريمة وآكامها،
وانتشقنا عرف لطائف أزهارها وبدت لنواظرنا بوارق أنوارها، وترادفت واردات المنح
والعطايا ونزل القوم عن المطايا.
أنشدت ممثلاً:

-
- (١) في أ [ربوع].
(٢) في أ [جيبنا].
(٣) في أ [سرت].
(٤) في ب [كخسارة].
(٥) ثبت في أ [كثرة].
(٦) سقط من «أ».
(٧) في ب [سناها].
(٨) في ب [صريح].

أتيتك زائراً وودت أني جعلت سواد عيني أمتطيه
وما لي لا أشير على [المآقي]^(١) إلى قبر رسول الله فيه
ولما وقع بصري على القبر الشريف، والمسجد المنيف، فاضت من الفرح سوابق
العبرات، حتى أصابت بعض الثرى والجدارات، وكان ما كان مما لست [أذكره]^(٢) فظن
خيراً ولا تسأل عن الخبر.

[أنشد لنفسه أبو العباس أحمد بن محمد]^(٣)

أيها المغرم [المشوق]^(٤) هنيئاً ما أنالوك^(٥) من لذيذ التلاقي
قل لعينيك تهملان سرورا طالما أسعداك يوم الفراق
أبدل الوجد بالسرور ابتهاجا وجميع الأشجان والأشواق
وأمر العين أن تفيض سجالا وتوالي بدمعها المهرق
هذه دارهم وأنت محب ما بقاء الدموع في [الأماق]^(٦)
[أنشد لنفسه أبو العباس أحمد بن محمد]^(٧)

إذا ما حدى^(٨) الحادي يا جمال بيثرب فليت المطايا فوق خدي تعتق
فما عبق^(٩) الريحان الا وتربها أجل من الريحان طيبا وأعبق
ومن محاسنها: حديث «من صلى في مسجدي هذا أربعين صلاة كتب له براءة من
النار وبرائة من العذاب، وبرائة من النفاق»^(١٠).

ومنها: «أنه من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة فيه كان بمنزلة حجة»^(١١).

(١٠) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٩١/٣) - الحديث (١٢٥٩٠). والطبراني في الأوسط (٣٢٥/٥) - الحديث (٥٤٤٤). وقال: لم يرو هذا الحديث عن أنس إلا نبيط بن عمر تفرد به ابن أبي الرجال. اهـ. قال الحافظ الهيثمي بعدما عزاه للإمام أحمد والطبراني: ورجاله ثقات. انظر/ مجمع الزوائد للهيتمي (١١/٤).

(١١) ضعيف جداً: البيهقي في شعب الإيمان في فضل الحج والعمر (٥٠٠/٣) - وفيه يوسف بن طهمان، قال الحافظ ابن حجر: وإه. انظر/ لسان الميزان (٣٢٢/٦) - (١١٥٧).

(١) في ب [الأماق].

(٢) كشط في «أ».

(٣) كشط في «أ».

(٤) في ب [المسلوق].

(٥) قال في القاموس: اللوك أهون المضغ أو مضغ صلب أو علك الشيء. انظر/ القاموس المحيط (٣١٨/٣).

(٦) في ب [الآفاق].

(٧) سقط من «ب».

(٨) سقط من «ب».

(٩) أي لصق. انظر/ القاموس المحيط (٣) - (٢٦٠).

و«أن إتيان مسجد قباء يعدل عمرة»^(١).

«وأن صيام شهر رمضان في المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها»^(٢) وكذا سائر أفعال البر فيها.

وكل عبادة شرعت بالمدينة فهي [بها]^(٣) أفضل منها ومنها أن ما بين منبره ومسجده روضة من رياض الجنة وهذا جانب كبير من هذه البلدة المشرفة [بمكة]^(٤) ومنها «حثه عليه السلام على الموت بها والوعد على ذلك بالشفاعة والشهادة»^(٥).

وإني إذا أوعدته [أو وعدته]^(٦) لمخلف إيعادي ومنجز وعدي وما أحسن ما قال:

لست آسى على تفرق شملي	غير قبري بأي أرض يكون] ^(٧)
أبأرض البقيع تحت تراب	فيه جدي ووالدي مدفون
بين قوم أعزة من حماهم	ولهم عند ربهم تمكين

(١) أخرجه الترمذي في الصلاة (١٤٥/٢ - ١٤٦) - الحديث (٣٢٤). وقال: حسن غريب. والنسائي في المساجد (٢٥٨/١) - الحديث (٧٧٨١٢). وابن ماجه في إقامة الصلاة (١/١٥٣) - الحديث (١٤١٢). والإمام أحمد في مسنده (٥٩١/٣) - الحديث (١٥٩٨٧). وابن حبان في صحيحه (ص/٢٥٦) - الحديث (١٠٣٨/١) موارد الظمان والحاكم في المستدرک في الهجرة (١٢١٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والطبراني في الكبير (٧٥ - ٧٤/٦) - الحديث (٥٥٥٨ - ٥٥٦١). والبيهقي في شعب الإيمان في فضل الحج والعمر (٤٩٩/٣) - الحديث (٤١٩٠). وابن سعد في الطبقات (٦/١). وأورده الحافظ السيوطي في الدر المنثور (٢٧٧/٣ - ٢٧٨). وأورده كذلك الحافظ الذهبي في الميزان (١/٣٦٠).

(٢) ضعيف: أخرجه الطبراني في الكبير (٣٧٢/١) - الحديث (١١٤٤). والبيهقي في شعب الإيمان (٤٨٦/٣٠ - ٤٨٧) - الحديث (٤١٤٧). وقال: هذا حديث إسناده ضعيف بمرّة. قال الحافظ الهيثمي بعدما عزاه للطبراني: فيه عبد الله بن كثير وهو ضعيف. انظر/ مجمع الزوائد (٣/٣٠٤).

(٣) سقط من «ب».

(٤) سقط من «أ».

(٥) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمر وفيه [فإني أشفع لمن يموت بها] وقال: حديث حسن غريب. وأخرجه بنفس اللفظ الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمر (٢/١٠٢) - الحديث (٥٤٣٦). وابن ماجه في المناسك (١٠٣٩/٢) - الحديث (٣١١٢). والبيهقي في شعب الإيمان في فضل الحج (٤٩٧/٣) - الحديث (٤١٨٢).

(٦) ثبت في أ [أ] وق عنه.

(٧) سقط من «ب».

أم بأرض أخرى فياليت أني من سوى أرض طيبة لا أكون
تلك أرض لخاطري مثل ليلي وفؤادي بحبها المجنون
وئراها لمقلتي أن تراها إثممد منه تستنير العيون
إن ظني بخالقي لجميل ليس في مثله تخيب الظنون
[ومن محاسنها]^(١): ان أهلها أول من يشفع لهم مع الاختصاص بمزيد الإكرام
«وأنه يبعث الميت بها من الآمنين»^(٢).

«وانه يبعث من بقيعها سبعون ألفا على صورة القمر يدخلون الجنة بغير
حساب»^(٣).

وتوكل ملائكة بمقبرة البقيع كلما امتلأت أخذوا بأطرافها، فكفوها من الجنة
«ويبعث أهلها من قبورهم قبل سائر الناس»^(٤).
وما أصدق ما قال:

-
- (١) سقط من أ.
(٢) ضعيف: أخرجه الطبراني في الكبير (٢٤٠/٦) - الحديث (٦١٠٤). وفي الصغير (٢٢/٢) -
والدارقطني في سننه (٢٧٨/٢) - (١٩٣). والبيهقي في الكبرى (٤٠٣/٥) - الحديث
(١٠٢٧٣). وفي شعب الإيمان (٤٩٦/٣ - ٤٩٧) - الحديث (٤١٨٠، ٤١٨٢). - أما سند
الطبراني الكبير: ففيه عبد الغفور بن سعيد وهو متروك قاله الهيثمي. انظر/ مجمع الزوائد (٢/
٣٢٢). - وأما سند الطبراني في الصغير: ففيه عبد الله بن المؤمل المكي وهو ضعيف. انظر/
تهذيب التهذيب (٤٣١٦) - (٣٧٧٢). - وأما سند الدارقطني خفيه: هارون بن أبي قذعة،
وقيل: هارون ابن قذعة، قال البخاري: لا يتابع عليه، وقال الأزدي هارون يروى عن رجل
من آل خطيب المراسيل. انظر/ لسان الميزان (١٨٠/٦). - وأما سند البيهقي في الكبير فقال
فيه مصنفه: إسناده مجهول. - وأما سند البيهقي في الشعب ففي إسناده الأول عبد الغفور بن
سعيد قال البيهقي: وهذا ضعيف وروى بإسناد آخر. أه يعني الحديث (٤١٨٢) وفيه عبد الله
بن المؤمل وهو ضعيف. انظر/ تهذيب التهذيب (٤٣١٦) - (٣٧٧٢) - تقريب التهذيب (ص/
٣٢٥) (٣٦٤٨) - إرواء الخليل للألباني (٣٤٤/٤) - (١١٢٧).
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨١/٢٥ - ١٨٢) - الحديث (٤٤٥). وقال الحافظ الهيثمي بعدما
عزاه للطبراني: فيه من لم أعرفه. انظر/ مجمع الزوائد (١٦/٤). وأخرجه الحاكم في
المستدرك في معرفة الصحابة (٦٨/٤).
(٤) أخرجه الترمذي في المناقب (٦٢٢/٥) - الحديث (٣٦٩٢). وقال: حديث غريب، وعاصم
بن عمر ليس بالحافظ. قال الحافظ ابن حجر: متروك. انظر/ تهذيب التهذيب (٤٨/٥) -
(٣١٧٣) - والطبراني في الكبير (٣٠٥١/٢) - الحديث (١٣١٩٠) - والحاكم في المستدرك في
التفسير (٤٦٥/٢ - ٤٦٦) - وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعبه الذهبي وقال: قلت:
عبد الله ضعيف.

ألا أيها الباكي على ما يفوته من الحظ في الدنيا جهلت وما تدرى
على قوت حظ من جوار محمد حقيق بأن تبكي إلى آخر الدهرى
ستدري إذا قمنا وقد رفع اللوى وأحمد هاديننا إلى موقف الحشرى
من الفائز المغبوط في يوم عرضه أجار النبي المصطفى أم أخو الوفرى
[ومنها]^(١): «شفاعته أو شهادته عليه السلام. لمن صبر على لأوائها»^(٢)
وشدتها. «ووجوب شفاعته لمن زاره بها»^(٣).

قم وزر حجرة الرسول ويمم كعبة الجود معدن الأسرار
وإذا لم تجد إليه سبيلا زر حماه بالوصف والأخبار
ومنها: «اللعنة والوعيد الشديد لمن أخاف أهلها أو ظلمهم»^(٥) وان من «أرادها
وأهلها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح [في الماء]^(٦)». وعنه عليه الصلاة والسلام

(١) سقط من أ.

(٢) أي شدتها. انظر/ القاموس المحيط (٤/٣٨٤).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم في الحج (٢/١٠٠٤ - ١٠٠٥) - الحديث (١٣٧٧/٤٨١). والترمذي
في المناقب (٣٩١٨). والإمام مالك في الموطأ في الجامع (٢/٨٨٥ - ٨٨٦) - الحديث (٣).
والإمام أحمد في مسنده (٢/١٦٢) - الحديث (٦٠٠٦). والبغوي في شرح السنة (٧/٣٢٤) -
الحديث (٢٠١٩).

(٤) ضعيف: أخرجه الدارقطني في سننه (٢/٢٧٨) - (١٩٤) والبزار وفيه عبد الله بن إبراهيم
الغفاري ضعيف. كما في مجمع الزوائد (٤/٥). وأورده الحافظ ابن حجر في اللسان
وضعه. انظر/ لسان الميزان (٦/١٣٦).

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري في فضائل المدينة (٤/٩٧ - ٩٨) - الحديث (١٨٧٠). ومسلم
في الحج (٢/٩٩٤) - الحديث (١٣٧٠). وأبو داود في المناسك (٢/٢٢٣) - الحديث
(٢٠٣٤). والبغوي في شرح السنة (٧/٣٠٧) - الحديث (٢٠٩).

(٦) سقط من «ب».

(٧) صحيح: أخرجه مسلم في الحج (٢/١٠٠٧ - ١٠٠٨) - الحديث (١٣٨٦/٤٩٢). وابن ماجه
في المناسك (٢/١٠٣٩) - الحديث (٣١١٤). والإمام أحمد في مسنده (٢/٤٧٤) - الحديث
(٨٧٠٨). والبغوي في شرح السنة (٧/٣١٨) - الحديث (٢٠١٤). وأخرجه البخاري في
فضائل المدينة عن سعد مرفوعاً بلفظ «لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في
الماء». في فضائل المدينة (٤/١١٢) - الحديث (١٨٧٧). قال الحافظ ابن حجر: إنماع أي
ذاب ثم ذكر الرواية المخرجة ثم قال: نعم في أفراد مسلم من طريق عامر بن سعد عن أبيه في
أثناء حديث «ولا يريد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذبح الملح في
الماء». قال: قال القاضي عياض: هذه الزيادة تدفع إشكال الأحاديث الآخر، وتوضح أن هذا
حكمه في الآخرة، ويحتمل أن يكون المراد من أرادها في حياة النبي - صلى الله عليه وآله =

«ما من مسلم يسلم [علي]»^(١) في شرق ولا غرب إلا أنا وملائكة ربي ترد عليه السلام»^(٢) فقليل له فما بال أهل المدينة فقال: وما يقال لكريم من جيرانه وجيرته، إن مما أمر به من حفظ الجوار حفظ الجار.

وقال بعضهم: تأكدت وصيته صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله «حقيق على أمتي حفظ جيرانني». وقوله «لا يزال جبريل يوصيني بالجار»^{(٣)(٤)}، ولم يخص جارا دون جار وفهم منه أن سكان بلده قريبتهم وبعيدهم جازهم وغائبهم. مليهم وعاجزهم، على حد السواء في استحقاق الرعاية من حيث الجوار، وإنما التفاضل بالتقوى وحسن الأدب، فنسأل الله تعالى كما من علينا بنعمة الإسلام، وخصنا بجوار نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. أن يوفقنا سلوك [الأدب]^(٥) في هذا المقام وأن يرزقنا والمسلمين شفاعته في يوم الزحام وإن [يلهم]^(٦) من ولي شيئا من أمورنا الرفق بنا وحسن القيام.

= وسلم - بسوء اضمحل أمره كما يضمحل الرصاص في النار، فيكون في اللفظ تقديم وتأخير، ويؤيده قوله «أؤذب الملح في الماء»، ويحتمل أن يكون المراد لمن أرادها بسوء وأنه لا يمهل بل يذهب سلطانه عن قرب كما وقع لمسلم بن عقبة وغيره فإنه عوجل عن قرب وكذلك الذي أرسله. قال: ويحتمل أن يكون المراد من كادها اغتيالاً وطلباً لغرتها في غفلة فلا يتم له أمر، بخلاف من أتى جهازاً كما استباحها مسلم بن عقبة وغيره. انظر/ فتح الباري (١١٢/٤) - (١١٣).

(١) سقط من «ب».

(٢) ضعيف جداً: أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٤٩/٦) وفيه عبيد الله بن محمد العمري اتهمه الذهبي بالوضع. انظر/ ضعيفة الألباني (٣٧١/١) - (٥).

(٣) اسم الجار يشمل المسلم، والكافر، والعابد، والفاسق، والصديق، والعدو، والغريب، والبلدي، والنافع، والضار، والغريب، والأجنبي والأقرب داراً والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأول كلها ثم أكثرها وهلم جزءاً إلى الواحد وعكسه من اجتمعت فيه الصفات الأخرى كذلك فيعطي كل حقه بحسب حاله، وقد تتعارض صفتان فأكثر فيرجح أو يساوي. انظر/ فتح الباري (٤٥٦/١٠).

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري في الأدب (٤٥٥/١٠) - الحديث (٦٠١٥). ومسلم في البر والصلة (٢٠٢٥/٤) - الحديث ٢٦٢٤/١٤ وأبو داود في الأدب (٣٤٠/٤ - ٣٤١) - الحديث (٥١٥١). والترمذي في البر والصلة (٣٣٢/٤ - ٣٣٣) - الحديث (١٩٤٢). وابن ماجه في الأدب (١٢١١/٢) - الحديث (٣٦٧٣). والإمام أحمد في مسنده (٢٠٩/٦) - الحديث (٢٥٥٩٤).

(٥) سقط من «أ».

(٦) في ب [يراهم].

يروى عن مالك رحمه الله تعالى : أنه دخل على المهدي فقال له [أوصني فقال]^(١) : أوصيتك بتقوى الله ، والعطف على أهل بلد رسول الله صلى الله تعالى وسلم عليه وجيرانه ، فإنه بلغنا أنه قال «المدينة مهاجري، ومنها مبعثي، وبها قبري، وأهلها جبراني وحقيق على أمتي حفظ جبراني، فمن حفظهم كنت له شفيحاً وشهيداً يوم القيامة ومن لم يحفظ وصيتي في جبراني. سقاه الله من طينة الخبال»^(٢).

وما أحسن ما قال :

لي فيك يا ربع الحبيب معاهد قلبي المقيم على العهود موادد
ولساكنيك علي حفظ مودة ما خنتهم أبداً وربّي شاهد

ومنها الوعيد لمن لم يكرم أهلها وإن إكرامهم وحفظهم . حق على الأمة قال بعضهم : ليس المراد إكرام أهل النعم منهم والمستورين بالأدب فإن [قال]^(٣) أولئك تقضي بإكرامهم ، وإنما الكلام في إكرام المبتلي منهم ومن عدم الأدب والفضيلة ، وألبسته الفاقة رداء المذلة ، وكان يقال : إذا أقبلت الدنيا على قوم ، ألبستهم محاسن غيرهم ، وإذا دبرت عن قوم سلبتهم محاسن أنفسهم وهذه الدسائس أيضاً تكشف عند التأمل ، والتوفيق لمن يدعي [محبّة]^(٤) آل النبي صلى الله تعالى وسلم عليه . وما أحسن ما قال :

يا أهل طيبة قد سكنتم أضلعي فودادكم نام وشوقي محكم
لا غرو أن أبغي هواكم منشداً من أجل عين ألف عين تكرم
[ومنها]^(٥) حديث «من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي»^(٦).

(١) سقط من «ب» .

(٢) في أ [حالة] .

(٣) في ب [حب] .

(٤) سقط من أ .

(٦) منقطع : أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٨٠ / ٣) - الحديث (١٥٢٣٣) وفيه زيد بن أسلم وهو لم يسمع من جابر - رضي الله عنه - قال الدوري عن ابن معين : لم يسمع من جابر ولا من أبي هريرة . انظر / تهذيب التهذيب (٣ / ٣٤٥) - (٢٢٠٦) .

(٢) ضعيف جداً : أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠٥ / ٢٠) - الحديث (٤٧٠) . وفي سنده عبد السلام بن أبي الجنوب : قال ابن المديني والدارقطني منكر الحديث . وقال أبو حاتم : شيخ متروك . وعزاه الحافظ الهيثمي للطبراني قال : فيه عبد السلام بن أبي الجنوب . انظر / مجمع الزوائد (٣ / ٣١٣) - (تهذيب التهذيب (٦ / ٢٧٨) - ٤٢١٤ .

وما ألطف ما قال :

فنحن بقربه فيما اشتهينا
يقيئنا لا نخاف وإن ظننا
نميل على مكارمه كأنا
إذا قلنا نميل على أبينا
[ومنها] ^(١) حديث «من غاب عن المدينة ثلاثة أيام جاء وقلبه مشرب جفوة» ^(٢).

[وما أحسن ما قال] ^(٣) :

ومسك حديثي في هواها لأهله
سلا وهل سلا قلبي هواها وهل له
وقولا لها يا قرة العين هل إلى
وما أحسن ما قال :

قنعنا بنا عن كل من لا يريدنا
نحن جاءنا يا مرحبا بمجيئه
ومن صد عنا حسبه الصد والقللا ^(٥)
ومنها ما يوجد بها من رائحة الطيب الزكية وطيب العيش بها خصوصاً لأهلها
الذين لا تغلق لهم بالدول والدنيا.

[رياض] ^(٦) نجد عرفها ضائع
ومن يقل في المسك اين الشذا
قال القزويني :

في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد عند ذكر المدينة المنورة :

وللطيب فيها فضل رائحة
وما أحسن ما قال :

(١) سقط من أ.

(٣) ثبت في ب [وقال بعضهم].

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/٢٦٩) -

(٤) في أ [يضع].

الحديث (٨٧٦). وقال الحافظ الهيثمي

(٥) غاية الكره. انظر/ القاموس المحيط (٤/٣٨٠).

بعدهما عزاه للطبراني في الأوسط : فيه

(٦) ثبت في ب [ريان].

علقمة بن علي ولم أعرفه. انظر/ مجمع

(٧) في أ [عما]

الزوائد للهيثمي (٣/٣١٣) - مجمع

(٨) في أ [سما].

البحرين (١٨١٧) والصواب أنه [عقبة بن علي] قاله طارق بن عوض الله.

يا خير من دفنت في التراب أعظمه
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه
وقال آخر:

أكرم بها بقعة بالمصطفى شرفت
أجل من وطىء القبر وأفضل من
ولله در القائل:

طاب الصعيد بجسمه فكأنه
ما جسمه مما يغيره الليلا

ومنها أن من عاب قرابتها أو [انتقص]^(٣) سكانها استحق التعزير.
وقد عزز مالك رحمه الله تعالى شخصاً لنقص تربتها بأنها سبخة.
وما أطف ما قال:

دار طه هي التي أتوخى
فعليها من المهيمن نور
ولله در الأمير أبي فراس حيث يقول:

على الربع العامرية وقفة
ومن مذهبي حب الديار لأهلها
قال في الوفاء ولا يجوز لغير أهل المدينة المنورة أن يماروا أهل مكة المكرمة، أو
ينافسوها لأن الله تعالى فضلهم على سائر البلاد.

ومن محاسن المدينة «[زيادة]^(٤) البركة بها على مكة»^(٥) وأن المدعو به بها من
البركة ستة أضعاف ما لمكة من البركة^(٦) ومنها أن خبر الواحد إذا عارضه إجماع أهل
المدينة^(٧) قدم إجماعهم، كما نقل عن مالك رحمه الله تعالى.
وقيل: البقاع لا أثر لها في ذلك وفيه نظر.

(١) في أ [الإقاع].
(٢) سقط من «ب».
(٣) في أ [أنقص].
(٤) سقط من «ب».
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) لم أجده في مظانه.
(٧) ليس إجماع أهل المدينة إجماعاً بمعنى
[اتفاق المجتهدين... إلخ] لأنهم بعض
المجتهدين، والإجماع اتفاق كل
المجتهدين الموجودين في عصر واحد،
ومن هنا قال جمهور العلماء إن إجماع أهل
المدينة ليس حجة على غيرهم إذا خالفهم =

وتأمل في الأرض آيات فلا تك منكراً وعجائب الأشياء من ملكوته ومنها: حديث «يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدوا عالماً أعلم من عالم المدينة»^(١).

قيل معناه: أن العالم من أهل المدينة أعلم منه من غير أهلها، وفيه إشارة إلى أن للبقاع أثراً في ذلك وفي الأرض قطع متجاورات فافهم.

وقول ابن عيينة: نرى هذا العالم مالك بن أنس لا يمتنع من ذلك، لأن مالكاً كان إذ ذاك من علماء المدينة [ويؤيده]^(٢) قول سفيان، وقد قيل له ما قاله ابن عيينة. «إنما العالم من يخشى الله تعالى. ولا يعلم أحد كان أخشى الله تعالى من العمري قتيبة.

لأن الأدلة إنما أثبتت عصمة الكل عن الخطأ ولم تثبت عصمة البعض عنه، فكان قول الكل هو الحجة. وقال الإمام مالك - رضي الله عنه -: إن إجماعهم حجة إذا كانوا من الصحابة أو التابعين واستدل على ذلك بما يأتي: أولاً: قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - «إن المدينة طيبة تنفي خبثها كما ينفي الكبر خبث الحديد». ووجه الدلالة: أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أخبر عن المدينة بأنها طيبة وأنها تنفي الخبث، والمراد نفي الخبث عن أهلها فلا يقع الخبث منهم والخطأ نوع من الخبث فلا يقع من أهل المدينة خطأ، فيجب قبول قولهم لعصمتهم وهو المدعي. وثانياً: أن الصحابة والتابعين - رضوان الله عليهم أجمعين - أعرف الناس بأحوال الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وخصوص من وجد منهم بالمدينة لأنهم شاهدوا التنزيل وسمعوا التأويل، فإذا أجمعوا على أمر أحالت العادة أن يكون ذلك الإجماع عن دليل مرجوح وقضت بأن يكون عن دليل راجح فيقبل قولهم لذلك ويكون حجة على غيرهم. والجواب عن الدليلين: أما الدليل الأول:

فأولاً: لا نسلم أن الخطأ نوع من الخبث بل هو مبين له لأن الخطأ معفو عنه والخبث منهى عنه، يدل لذلك قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - «رفع عن أمتي الخطأ»، وقوله «الكلب خبيث وثنمه خبيث ومهر البغي خبيث». وثانياً: سلمنا أن الخطأ نوع من الخبث ولكن نقول: إن الأخبار عن المدينة بأنها طيبة تنفي الخبث لا ينافي أن غيرها كذلك، وتخصيصها بالذكر لإظهار شرفها وخطرها فيكون خبر غيرهم مقبولاً كخبرهم متى تحققت فيهم العصمة. ويناقش الدليل الثاني: بأن ما قيل في أهل المدينة من الصحابة والتابعين يتحقق في الصحابة والتابعين من غير أهلها كأهل البصرة والكوفة، وكان مقتضى هذا أن يكون إجماعهم حجة مع أن مالكاً لم يقل بذلك وإذا علم أن مدار الاجتهاد في الأحكام على النظر والبحث والاستدلال وذلك لا يختلف بالقرب والبعد ولا باختلاف الأماكن، علم أن تخصيص إجماع أهل المدينة بالحجة لا وجه له. انظر/ المستصفى للغزالي (١/١٨٧). فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (٢/٢٣٢). إحكام الأحكام للأمدى (١/٣٤٩). أصول الفقه للشيخ محمد أبو النور زهير (٣/١٥٤).

(١) أخرجه الترمذي في العلم (٥/٤٧) - الحديث (٢٦٨٠). والنسائي في الكبرى في الحج (٢/٤٨٩) - الحديث (١/٤٢٩١). والإمام أحمد في مسنده (٢/٤٠٠) - الحديث (٧٩٩٩). وابن حبان في صحيحه (ص/٥٧٤) - الحديث (٢٣٠٨/٢) موارد الظمآن والحاكم في المستدرک في العلم (١/٩٠ - ٩١).

(٢) في أ [ويؤيد].

ومن محاسنها: قلة المظالم بها [وشذور]^(١) التظاهر فيها بالمنكرات بالنسبة إلى غيرها من بلاد الإسلام.

[وما أصدق القائل]^(٢):

[قل]^(٣) لمن أبصر حالا منكرا
ليس بالمنكر ما أبصره
ورأى من دهره ما حيره
إن من عاش يرى ما لم يره
وقال آخر:

قل لمن شاهد أمرا أقلقه
سترى هذا الذي تنكره
ورأى ما يستحيل الفسقة
مستحبا بعد تلك الطبقة
[ومن محاسنها]^(٤) حديث «المدينة كالكير»^(٥) تنفي [خبثها]^{(٦)(٧)(٨)(٩)}.

(١) في ب [وسدود].

(٢) في أ [وما أصدق ما قال].

(٣) في أ [من].

(٤) في ب [ومنها].

(٥) بكسر الكاف وسكون التحتانية، وفيه لغة أخرى كور بضم الكاف، والمشهور بين الناس أنه الزق الذي ينفخ فيه لكن أكثر أهل اللغة على أن المراد بالكبير حانوت الحداد والصائغ. قال ابن التين: الكبير هو الزق والحانوت هو الكور. وقال صاحب المحكم: الكبير الزق الذي ينفخ فيه الحداد. قال الحافظ: ويؤيد الأول ما رواه عمرو بن شبة في أخبار المدينة [قيد الطبع بتحقيقنا محمد فارس] بإسناد إلى أبي مردود قال: رأى عمر بن الخطاب كبير حداد في السوق فضربه برجله حتى هدمه. انظر/ فتح الباري (٤/١٠٥).

(٦) الخبث: بفتح المعجمة والموحدة بعدها مثلثة أي وسخه الذي تخرجه النار، والمراد أنها لا تترك فيها من في قلبه دغل، بل تميزه عن القلوب الصادقة وتخرجه كما يميز الحداد رديء الحديد من جيده. ونسبة التمييز للكبير لكونه السبب الأكبر في اشتعال النار التي يقع التمييز بها. انظر فتح الباري (٤/١٠٥).

(٧) استدل بهذا الحديث على أن المدينة أفضل البلاد. قال المهلب لأن المدينة هي التي أدخلت مكة وغيرها من القرى في الإسلام فصار الجميع في صحائف أهلها، ولأنها تنفي الخبث. قال الحافظ ابن حجر: وأجيب عن الأول بأن أهل المدينة الذين فتحوا مكة معظمهم من أهل مكة فالفضل ثابت للفريقين ولا يلزم من ذلك تفضيل إحدى البقتين. وعن الثاني: بأن ذلك إنما هو في خاص من الناس ومن الزمان بدليل قوله تعالى: «ومن أهل المدينة مردوا على النفاق»، والمنافق خبيث بلا شك، وقد خرج من المدينة بعد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - معاذ وأبو عبيدة وابن مسعود وطائفة ثم علي وطلحة والزبير وعمار وآخرون وهم من أطيب الخلق، فدل على أن المراد بالحديث تخصيص ناس دون ناس ووقت دون وقت. قال ابن حزم: لو فتحت بلد من بلد فثبت بذلك الفضل للأولى للزم أن تكون البصرة أفضل من خراسان وسجستان وغيرها مما فتح من جهة البصرة وليس كذلك. انظر/ فتح الباري (٤/١٠٥ - ١٠٦).

(٨) سقط من ب.

(٩) متفق عليه: أخرجه البخاري في فضائل =

قيل: معناه تصفي أهلها من الكدورات، حتى يكونوا محلاً للفيض الرحماني.

وقيل هو على بابه ويكون لإخراج الخبيث منها زيادة في [حسرتة]^(١) وهذا بعيد مما اعتقده. أو هو من باب الترهيب.

فهذا اختياري فوافق إن رضيت به أو لا فدعني ومن أهوى واختاره وما أحسن ما كتب به بعضهم إلى أبي الوفا:

أيجوز أن أظماً وماء غديركم عذب وفيه من الزلال^(٢) رحيق
ويضيمني دهري وفي عتباتكم تلقى الرجال وتستريح النوق
«فكتب له الجواب»

أهلاً وسهلاً إن أتيت ومرحباً ما في حمى كرم الأحبة ضيق
لا [تنأس]^(٣) من روح من أحببته فعلى الأحبة [للمحب]^(٤) حقوق
وما أحسن ما قال:

وبعد ذاك الجفا إن جئت معتذراً إلى حمانا تجد عفواً وغفرانا
حتى تظن بأن الوصل ما برحت أيامه وكأن الهجر ما كانا
ومن محاسنها أنه عليه السلام. «رأى أنه أصبح على بثر من آبار الجنة». فأصبح على بثر غرس. و«رؤيا الأنبياء حق» [عليهم الصلاة والسلام]^{(٥)(٦)}.

= المدينة (١١٥/٤) - الحديث (١٨٨٣). ومسلم في الحج (١٠٠٦/٢) - الحديث (٤٨٩/١٣٨٣). والإمام أحمد في مسنده (٤٧٩/٣) - الحديث (١٥٢٢٥). والإمام مالك في الموطأ (٨٨٦/٢) - الحديث (٤).

(١) سقط من «ب».

(٢) الماء الزلال: البارد العذب الصافي. انظر/ القاموس المحيط (٣/٣٨٩).

(٣) في أ [تنأس].

(٤) سقط من «ب».

(٥) سقط من أ.

(٦) بلفظ «رؤيا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - حق» أخرجه: الإمام أحمد في مسنده (٢٧٦/٥) - الحديث (٢٢٠٩٦).

ومنها [أن]^(١) العجوة من الجنة^(٢). فقد اشتملت المدينة المنورة على شيء من أرض الجنة [وميائها]^(٣) وثمارها. . . وما أحسن ما قال:

رياض نجد بكم جنان	فضية حورها حسان
وترب واديكم بنجد	مسك وحصباؤها جمان
والجار في ربعمكم عزيز	والحد في أرضكم مصان
والريح من [شعبكم] ^(٤) عبير	والزهر ورد وزعفران
يا من لهم في الفؤاد مثنوى	عذابه يشهد الجنان
كم حن قلبي إلى لقاءكم	[وبيننا] ^(٥) الغور والرعان
وكنت أخفي الهوى ودمعي	من شدة الوجد ترجمان

وبالجملة فقد اشتملت المدينة الشريفة على محاسن تعشقها العقول وأوانس ما بين القلب وهمومه تحول. ولطائف تعطر أندية الأفكار طيبًا، وتعطى من تعرض لنفحاتها من عرفها الطيب نصيبًا.

وحدثتني يا سعد عنها فزدتني شجونًا فزدني من حديثك يا سعد
فما أحلى ذلك الحديث وهو حبيب النفس وعشيق الطبع وسمير ضمير
الجمع. تتولع به الأرواح لا الرياح، وتزهى به الألسن لا الأغصن، وتبدو به طلعة
البثر لا الشجر [ويجلو]^(٦) بجناه. الجنان لا الجنان [يجلو به]^(٧) المنطق السحار لا
الأسحار.

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره هو المسك ما كررته [يتضوع]^(٨)
فإن قر قلبي فاتهمه وقل له بمن أنت بعد العامرية [تولع]^(٩)
قال المجد الشيرازي في المغانم المطابة في مقام طابة: وبعد فإن العناية بالمدينة

(١) سقط من «ب».

(٢) أخرجه الترمذي في الطب (٤٠١/٤) -

الحديث (٢٠٦٨). وابن ماجه في الطب

(٣/١١٤٣) - الحديث (٣٤٥٥).

والدارمي في الدقاق (٤٣٦/٢) - الحديث

(٢٨٤٠). والإمام أحمد في مسنده (٣/

٥٢٠) - الحديث (١٥٥/٤). والبغوي في

شرح السنة (٣٢٦/١١).

(٣) في أ [وميائها].

(٤) في ب [أرضكم].

(٥) في أ [وبغينا] هكذا رسمت.

(٦) في أ [ويسمع].

(٧) في أ [ويجلوه].

(٨) في أ [يتضوع].

(٩) في أ [مولع].

الشريفة متعينة والرعاية لتعظيم حرمتها لكل خير متضمنة والوسيلة [تبشراً]^(١) شرفها شائعة والفضيلة لا شتات معاهدها جامعة لأنها طابة ذات الحجر المفضلة، ودار الهجرة المكملة وحرمة النبوة المشرف بالآيات المنزل والبقعة التي تهبط الإملاك عليها «والمدينة التي يأرز»^(٢) الإيمان إليها»^(٣) والمشهد التي تفوح أرواح نجد من ثياب زائريه والمورد الذي لا تروى من الشوق إليه غلة واردية والبقعة التي خصها الله تعالى بالنبى الأطهر «والحومة التي فيها الروضة المقدسة بين القبر والمنبر»^(٤) والتربة التي سمت على الآفاق بساكنها وفضلت على جميع بقاع الأرض بالبقعة [التي]^(٥) هي أفضل أماكنها.

بقعت ضمت الرسول تسامت وعلا قدرها على الآفاق
فهى عند الجميع لا شك خير من جميع الثرى على الإطلاق^(٦)
وجدير [لمواطن]^(٧) عمرت بالوحي والتنزيل. وتردد فيها الأمين جبريل عليه

(١) في ب [تنشراً].

(٢) بفتح أوله وسكون الهمزة وكسر الراء، وقد تضم بعدها زاي، وحكى ابن التين عن بعضهم فتح الراء وقال: إن الكسر هو الصواب، وحكى أبو الحسن بن سراج بضم الراء، وحكى القاسبي الفتح ومعناه ينضم ويجمع. انظر/ فتح الباري (١١١/٤).

(٣) قال الحافظ ابن حجر: كل مؤمن له في نفسه سائق إلى المدينة لمحجته في النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - فيشمل ذلك جميع الأزمنة لأنه في زمن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - للتعليم منه، وفي زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم للاقتداء بهديهم، ومن بعد ذلك لزيارة قبره - صلى الله عليه وآله وسلم - والصلاة في مسجده والتبرك بمشاهدة آثاره وآثار أصحابه. وقال الداردي أكان هذا في حياة النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - والفرق الذي كان منهم والذين يلونهم والذين يلونهم خاصة. وقال القرطبي: فيه تنبيه على صحة مذهب أهل المدينة وسلامتهم من البدع وأن عملهم حجة كما رواه الإمام مالك اه. قال الحافظ: وهذا إن سلم اختص بعصر النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - والخلفاء الراشدين وأما بعد ظهور الفتن وانتشار الصحابة في البلاد ولا سيما في أواخر المائة الثانية وهلم جراً فهو بالمشاهدة بخلاف ذلك. انظر/ فتح الباري (١١٢/٤).

(٤) أخرجه البخاري في فضائل المدينة (١١١/٤) - الحديث (١٨٧٦). ومسلم في الإيمان (١/١٣١) - الحديث (٢٣٣/١٤٧). والترمذي في الإيمان (١٨/٥) - الحديث (٢٦٣٠). وابن ماجه في المناسك (١٠٣٨/٢) - الحديث (٣١١١).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٧٩/٣) - الحديث (١١٦١٦). والبيهقي في الكبرى في الحج (٤٠٤/٥) - الحديث (١٠٢٨١). والطبراني في الكبير (٢٩٤/١٢) - الحديث (١٣١٥٦).

(٦) سقط من «ب».

(٧) في أ [عمرت].

(٨) سقط من «أ».

السلام] لمواطن صح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله تعالى ما انتشر. مدارس آيات ومساجد صلوات، ومشاهد خيرات، ومعاهد معجزات، مناسك دين، ومسالك تمكين، مواقف سيد المرسلين، ومتبوء خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة وفاض عبابها ومواطن [مهابط]^(١) الرسالة وأول [أرض]^(٢) مس جلد المصطفى ترابها، أن تعظم حوماتها وتستنشق نفحاتها، وتقبل ربوعها وساحاتها.

دار خير المرسلين ومن به هدى الأنعام وخص بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصباية وتشوق متضاعف الزفرات
وعلي عهد إن ملأت محاجري من تلکم الحومات والساحات
لأعفرن مصون وجهي [بينها]^(٣) وأقبل الآثار والحجرات

قال في المواهب اللدنية: وقد أطلت في الاحتجاج لتفضيل المدينة على مكة، وإن كان مذهب إمامنا الشافعي تفضيل مكة لأن هوى كل نفس حيث حل حبيبها على أن للقلم في أرجاء تفضيل المدينة مجالاً واسعاً ومقالاً جامعاً، لكن الرغبة في الاختصار تطوي أطراف بساطه والرهبة من الإكثار [تصدق]^(٤) وعن تطويله وإفراطه وأنت إذا تأملت قوله عليه السلام «يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده لا يخرج أحد منها رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه»^(٥) ظهر لك أن فيها [إشعاراً يذم]^(٦) الخروج من المدينة بل نقل المحب الطبري عن قوم انه عام أي مطلقاً [أبدًا]^(٧) وقال انه ظاهر [اللفظ]^(٨) انتهى.

وأقول [في المعنى]^(٩)

أيا ساكني أكناف طيبة حسبكم من السعي [للعليا]^(١٠) جيرة أحمد

والإمام أحمد في مسنده (٦١١/٢) -
الحديث (١٠٠٦).

(٦) كشط في «أ».

(٧) سقط من «أ».

(٨) في أ [اللغة].

(٩) سقط من «أ».

(١٠) في ب [للعلماء].

(١) في ب [مرابط].

(٢) في ب [جلد].

(٣) في ب [بينها].

(٤) سقط من «ب».

(٥) أخرجه مسلم في الحج (١٠٠٥/٢) -

الحديث (١٣٨١/٤٨٧). والإمام مالك في

الموطأ في الجامع (٨٨٧/٢) - (٧).

فمن يبتغي عنها بلادًا وإن سمت

وما أحسن ما قال [الناظمي]^(١) محمد بن مسدد

علي عهود عن دياركم لا [أخطو]^(٢) على أنني فيها على خير حالة
أبى الله أن ترضى سواها [حيلتي]^(٣) أأرحل عمن لا يضام نزيله
[أضرب]^(٤) صفحا عن شفيعي ونافعي فما أسعد القوم الذين [رضوا]^(٥) به
أولئك يمحوا الله عنهم ذنوبهم [فكم]^(٦) عسرات إلي أقيلت ببائه
ولى هفوات قد كثرت ولا أرى فيا سيدي سل لي من الله عطفة
وجبر الكسير ظالما قد شكوته وخذ بيدي يا أكرم الخلق عندما
هناك لك العليا هناك لك الرضا عليك صلوات الله ثم سلامه

ولو [طال]^(٧) فيها العيش أو طاول القحط
عزيز جناب لا يزاولني البسط [فتنتقل]^(٨) أقدامي إلى غيرها الوخط^(٩)
ومن لا يطيق الخطب في جاره [يسط]^(١٠) إذا أعرضت عن الأقارب [والرھط]^(١١)
معيئا وفي أكنافه أبدا حطو ولو عظمت فحشا ولم يمحوها ضبط
ومن شدة حلت وقد أحكم الربط لها غير جاء المصطفى نافعاً قط
وطيب رضى لا يختشى بعده سخط إليك فداركني ليجبر الوھط^(١٢)
أقدم يوم العرض إذ ينصب القسط هناك لك العز الذي ماله خلط
وآلك والأصحاب ما اضطرب الخمط^(١٣)

(١) في أ [النظمي].

(٢) في ب [أحل].

(٣) في أ [ضاق].

(٤) في أ [جيتي].

(٥) في أ [فتنقل].

(٦) الوخط: خفق النعال. انظر/ القاموس المحيط (٣٩٠/٢).

(٧) السط: الجور. انظر/ القاموس المحيط (٣٦٤/٢).

(٨) في أ [يسطو].

(٩) في أ [أطرب].

(١٠) في أ [الرمط] وهو مجتمع. انظر/ القاموس المحيط (٣٦١/٢).

(١١) في ب [ارتضوا].

(١٢) في ب [فلم].

(١٣) الوھط: الطعن أو الخصومة. انظر/ القاموس المحيط (٣٩٢/٢).

(١٤) الخمط: كل شجر لا شوك له وثمر الأراك وثمر قسوة الضبع. انظر/ القاموس المحيط (٣٥٩/٢).

باب فيما يتعلق بالحجرة المعطرة

والمنبر الشريف وذكر فضل الروضة [المطهرة]^(١) والمسجد المنيف [نفائس هذا الباب]^(٢) أنفاس روضة . ونظم المعاني سلسيل وسلسل .

لما بنى النبي ﷺ مسجده بنى لنسائه حجرًا على نعت بناء المسجد من اللبن وجريد النخل وهي تسعة أبيات على أبوابها مسرح الشعر الأسود طول كل ستر ثلاثة أذرع [و]^(٣) والعرض ذراع ، فلما كانت أيام الوليد بن عبد الملك أمر بإدخالها في المسجد ولم تكن منه قبل بنائها .

[وعن]^(٤) سعيد بن المسيب انه قال «وددت انهم لو تركوها على حالها ينشأنا شيء من المدينة ويقدم قادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول الله صلى الله تعالى وسلم عليه ، في حياته فيكون ذلك فيما يزهده الناس في التكاثر والتفاخر .

قلت : وحيث قامت بأوصاف هذه الحجر أقلام الأعلام فهي بأبصار التصور لذي الاعتبار مشاهدة ولكن المحسن والمقبح كما يقال هو العرف فياليت شعري ما الفائدة :

أرى الصمت خيرًا من [عظاات]^(٥) بليغة إذا لم يكن للسامعين قبول وأما الحجرة الشريفة النبوية فقد بنيت مرات ومن أحسن ما [حكى]^(٦) في ذلك أن السلطان نور الدين [الشهيد]^(٧) حفر حولها خندقًا إلى الماء وملأه بالرصاص المذاب وذلك في سنة سبع وخمسين وخمسمائة بسبب واقعت النصرانيين . فصار [ذلك]^(٨) صورًا محكمًا على الحجرة وأما المقصورة الآن والقبة المشرفة ففي غاية الاتقان والاحكام وهي ملحوظة بعناية الله تعالى للولادة والحكام [ولسنا]^(٩) في صدد اخبار

(١) في ب [ذكر].

(٢) سقط من ب .

(٣) سقط من أ .

(٤) في ب [في].

(٥) بياض في أ .

(٦) سقط من ب .

(٧) سقط من ب .

(٨) سقط من أ .

(٩) في ب [أخبار].

عمارتها والقيام عليها بل في التعرض لذكر بعض محاسنها فمن ذلك الزيارة التي هي الغنيمة والنعمة السنية العظيمة.

هنيئًا لمن زار خير الورى وحط عن النفس أوزارها
فإن السعادة مضمونة [لمن]^(١) حل طيبة أو زارها
قال العلامة في الجواهر المنظم: نقل المطوعي عن السلف أنهم كانوا قبل إدخال
الحجر في المسجد يقفون في الروضة مستقبلين الرأس الشريف، لتعذر استقبال الوجه
الكريم وإذا سن استدبار القبلة في الخطبة لأجل مواجهة السامعين فلأجله أولى.

[وأي]^(٢) بلاد الله حلت به فما أراها وفي عيني حلت غير مكة
وأي مكان ضمها [حرم]^(٣) كذا أرى كل دار أوطنت دار هجرة
والوقوف أفضل فإن قعد [جثا]^(٤) على ركبتيه. ناظرًا إلى الأرض أو إلى أسفل ما
يستقبله من جدار القبر الشريف. [ويغض]^(٥) طرفه عما هنالك من الزينة وغيرها. ويمثل
ذاته الشريفة بين عينيه حتى كأنه يراه مع ملاحظة الأدب [والاستغناء]^(٦).

وما أحسن ما قال:

[بمثلك]^(٧) الشوق الشديد لناظري فاطرق أجلا لا كأنك حاضر
وقال آخر:

واطراق طرف العين ليس بنافع إذا كان [طرف]^(٨) القلب ليس بمطرق
مسألة: إذا وقف وضع يمينه على يساره. على ما قاله الكرمانى وروى الإرسال
ولكل [وجه]^(٩).

وجه الأول: أنه يستلزم أن يكون الإمساك محاذيًا للقلب، ويستفاد منه أنه لا
يمسك كذلك إلا [النفيس]^(١٠) ومنه ينتقل إلى أنه لا أنف من القلب، فيمسك عن
الخواطر المذمومة فكان الإمساك الحسي وسيلة إلى الإمساك المعنوي الذي هو روح
الصلاة، وسرها المقصود منها.

(٦) في أ [والاستعانة].
(٧) في ب [يمن لك].
(٨) في أ [طراق].
(٩) ثبت في ب [وجهه].
(١٠) ثبت في أ [النفيس].

(١) في أ [من].
(٢) في أ [وأي].
(٣) في أ [حرام].
(٤) بياض في أ.
(٥) في [ويغض].

ووجه الثاني: أن الإرسال صورة الانطراح، بل الموت المشار إليه بموتوا قبل أن تموتوا. فحقيقة الحركات والسكنات لله الواحد القهار. [وبملاحظة^(١)] ذلك يكون الإرسال أولى، وهو سنة أهل البيت فتأمله.

مسألة: يسن للزائر أن يقصد الروضة المطهرة مع الوقار والافتقار فيصلّي تحية المسجد، بمصلاة عليه [الصلاة]^(٢) السلام وهو المحراب النبوي ويسجد للشكر على نعمة الوصول إلى هذا المقام. ثم يقصد القبر المكرم نحو الرأس الشريف كما هو المأثور عن أهل البيت. مع أن فيه إثارة الأشراف فهو [اللائق]^(٣) بالأدب ولأنه عليه [الصلاة]^(٤) والسلام «لما فرغ من دفن إبراهيم قال عند رأسه: «السلام عليكم» وهو ظاهر في أن السلام من جهة الرأس ويختتم بوقوفه عند القبر الشريف عند نهاية الصفة مما يلي القبلة بصف [اسطوانة]^(٥) التوبة. إذ هو موقف السلف فيدعو ويصلي ويسلم.

وعن المجد اللغوي: السلام عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره أفضل من الصلاة للأخبار الواردة^(٦).

وينبغي بعد زيارة اللقاء أن يجمع بين الصلاة والتسليم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما «لا ينبغي الصلاة من أحد إلا على النبي ﷺ».

(١) في ب [وملاحظة].

(٢) سقط من أ.

(٣) في ب [اللائق].

(٤) سقط من أ.

(٥) في ب [اسطوان].

(٦) قال الإمام أحمد في رواية عبد الله بن يزيد بن قسيط عن أبي هريرة مرفوعاً «ما من أحد يسلم عليّ عند قبري إلا رد الله عليّ رuchi حتى أُرِد عليه السلام»، ويروى عن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجد الله تواباً رحيماً﴾ وقد جئتكَ مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

ياخير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهم القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فحملتني عيني فممت فرأيت النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في النوم فقال: يا عتبي الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له. وروى البيهقي عن نافع أن ابن عمر كان إذا قدم من سفر دخل المسجد ثم أتى القبر فقال: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه. انظر/ شرح المذهب (٢٧٢/٨). المغني لموفق الدين (٥٨٨/٣ - ٥٨٩).

وقيل: يقصرها على الأنبياء.

وقيل عليه دونهم.

وقيل: بجوازها مطلقاً بلا كراهة.

وقيل: تبعاً ومثلها السلام، إلا إذا كان تحية لحاضر أو طي غائب حكاه ابن حجر.

مسألة: من استودع السلام قال: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان. وإبلاغه سنة لأنه للاستمداد منه ﷺ بخلاف إرسال السلام للغائب فإن إبلاغه واجب على من لم يصرح بعدم قبول تحملة عقب التحميل لأن في تركه وسيلة إلى المقاطعة المحرمة^(١).

مسألة: نقل ابن الهمام أن مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى استقبال القبر الشريف قال: وما نقل عنه يعني قول الكرمانى من استقبال القبلة مردود بما رواه في مسنده عن ابن عمر رضي [الله تعالى] عنهما مرفوعاً أنه قال: «من السنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر إلى القبلة ويقف على نحو أربعة أذرع من جدار القبر الشريف» وذلك أقل من مراتب [البعد]^(٢). وأما الإطالة وخلافها فهي بحسب الحضور فمن فقدته فالانصراف أولى به ويسلم على الصديق الأكبر، والفاروق الأطهر، وإفراد كل بالسلام أولى.

[وعن]^(٤) مالك رحمه الله تعالى: السلام عليكما يا صاحبي رسول الله [صلى الله عليه وسلم]^(٥) وهكذا في بعض مناسك الحنفية. وهل يشير بأصبعه إذا أراد الزيارة إلى الصاحبين كما هو صنيع أهل البادية. قال في مناسك السروجي نعم يشير بيديه إليهما، إذا أراد أن يسلم عليهما ولا أدري ما معنى التخصيص لأنهم يسلمون على النبي ﷺ كذلك.

مسألة: كره مالك رحمه الله تعالى وغيره من الأئمة دون الثلاثة كلما دخل الرجل المسجد وخرج [الوقوف با]^(٦) لقبر الشريف. قال: وإنما ذلك [للغرباء]^(٧) وذلك كله

(١) انظر/ شرح المذهب للنووي (٨/ ٢٧٤). (٥) سقط من «أ».

(٢) سقط من ب. (٦) بياض في «أ».

(٣) ثبت من ب [العبد]. (٧) كشط في أ.

(٤) بياض في أ.

قد يفضي إلى [الملل]^(١) وقلة الأدب والحكم يدور مع العلة وعنه عليه [الصلاة]^(٢) والسلام «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»^(٣).

مسألة: قال في الجوهر المنظم: مذهب أهل البيت تقبيل القبر ومسه وقال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: لا بأس به^(٤) وعليه المحب الطبري وابن أبي الصيف وغيرهم من الأجلة كالسبكي وأضرابه^(٥).

وقال الغزالي في الأحياء. مس المشاهد وتقبيلها عادة اليهود والنصارى^(٦)، ولما رجع بلال رضي الله عنه من الشام جعل يبكي ويمرغ وجهه على القبر.

(١) بياض في «أ».

(٢) سقط من أ.

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في قصر الصلاة (١/١٧٢) (٨٥). قال ابن عبد البر: لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث. والإمام أحمد في مسنده (٢/٣٣٠) - الحديث (٧٣٧٦).

(٤) ليس هذا مذهب الإمام أحمد فقد قال شيخ الإسلام موفق الدين: ولا يستحب التمسح بحائط قبر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ولا تقبيله. قال الإمام أحمد: ما أعرف هذا. قال الأثرم: رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يقومون من ناحية فيسلمون. قال أبو عبد الله: وهكذا كان ابن عمر يفعل. أما المنبر: فقد جاء فيه ما رواه إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه نظر إلى ابن عمر وهو يضع يده على مقعد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من المنبر ثم يضعها على وجهه. انظر/ المغني لموفق الدين (٣/٥٩١).

(٥) قال الشيخ النووي: لا يجوز أن يطاف بقبره - صلى الله عليه وآله وسلم - ويكره إلصاق الظهر والبطن بجدار القبر قاله أبو عبيد الله الحليمي وغيره قالوا: ويكره مسحه باليد وتقبيله بل الأدب أن يبعد عنه كما يبعد منه لو حضره في حياته - صلى الله عليه وآله وسلم - هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبّقوا عليه ولا يغتر بمخالفة كثير من العوام وفعلهم ذلك، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة، وأقوال العلماء، ولا يلتفت إلى محدثات العوام وغيرهم وجهالاتهم. وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعاً «من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد» وفي رواية لمسلم «من عمل عملاً ليس عليه عملنا فهو رد». وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً: «لا تجعلوا قبري عبداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم» أخرجه أبو داود بإسناد صحيح. قال الشيخ النووي: وقال الفضل ابن عياض - رحمه الله - ما معناه: اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين، ومن خطر ببالة أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وكيف ينبغي الفضل في مخالفة الصواب. انظر/ شرح المذهب (٨/٢٧٥).

قال حجة الدين الغزالي: وليس من السنة أن يمس الجدار، ولا أن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام. انظر/ إحياء علوم الدين للغزالي (١/٢٦٠).

وعن الزهراء البتول رضي الله تعالى عنها لما قبر عليه [الصلاة]^(١) والسلام أخذت قبضة من تراب قبره [عليه الصلاة والسلام]^(٢) وجعلته على عينيها وبكت وأنشدت:

ماذا علي من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليها
صبت علي مصاب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا
وفي حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه أن مروان أقبل فرآه ملتزم
من القبر المكرم، فأخذ برقبته. وقال: هل تدري ما تصنع قال: نعم لم آت الحجر
وإنما أتيت رسول الله ﷺ.

لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن أبكوا عليه إذا وليه غير أهله
وعن بعضهم:

اتبع طريق الهدى ولا يضررك قلة السالكين
وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين
وهذا الحق ليس به خفاء فدعني من بنيات الطريق

[مسألة^(٣)]: إن قيل: ما [حكمة^(٤)] دفنه عليه [الصلاة]^(٥) والسلام بالمدينة المنورة وقد جاء أن كل أحد إنما يدفن في المحل الذي خلق منه وإنما خلق عليه [الصلاة]^(٦) والسلام [من الطينة التي خلقت منها الكعبة]^(٧).

[قيل^(٨)]: حكمة افراده عن مكة [المشرفة]^(٩) بمحل بعيد منها ليكون متبوعاً لا تابعاً، ولتتميز الناس في شد الرحال إلى [نصوصه]^(١٠).

[وقد^(١١)] حكى صاحب عوارف المعارف أن الطوفان لما علا الكعبة موج منها موجة إلى كل محل قبره الشريف فهو في الحقيقة لم يدفن إلا في أصل الكعبة.

وحكى السهروردي أن سليمان عليه السلام زار محل قبر محمد ﷺ وأخبر بأنه سيقبر فيه، واختصاص المدينة بذلك من بين قرى الحجاز لأنها باعتبار ذاتها لا بما عرض لها من نحو [حماها]^(١٢) مع أنها نقلت إلى الحجفة أعذب أرض في تهامة

(٧) في ب هكذا [من طينة الكعبة].

(٨) سقط من أ.

(٩) في ب [الشريفة].

(١٠) ثبت في ب [بخصوصه].

(١١) سقط من أ.

(١٢) في ب [حماها].

(١) سقط من أ.

(٢) سقط من أ.

(٣) بياض في أ.

(٤) في ب [حكم].

(٥) سقط من ب.

(٦) سقط من أ.

[وأعدلها]^(١) وأكثرها ماءً ونخيلاً، وأحسنها أهلاً ومقيلاً سيما وفيها أخوال نبينا صلى الله تعالى وسلم عليه وأنصاره [إلى]^(٢) غير ذلك من محاسنها ومحاسنهم الجمّة التي لا تكاد توجد في غيرهم.

وما أحسن ما قال:

زر أشرف الرسل الكرام وإن بنا بك [منزلاً]^(٣) وشط قرب مزاره
فعليك بالتاريخ يا [مغرم]^(٤) به لتشاهد الأخبار من آثاره

مسألة: قال العلامة ابن حجر في كتابه الجوهر [أن]^(٥) النبي صلى الله تعالى وسلم عليه حي يرزق، أي من المعارف الربانية والكرامات الرحمانية ما يليق بعلي مقامه ويتلذذ [به]^(٦) في قبره. كما كان يتلذذ به قبل وفاته ولكونه غذاءً لروحه الشريف عبر عنه بالرزق.

مسألة: النفس كلما كان استيلاؤها على ما ليس من شأنه الدخول تحت حيازتها، لولا ما اختصت به من ضروب مقاهرته كانت به أشد ابتهاجاً وأنشدوا:

رأيت النفس تسأم ما لديها وتطلب كل ممتنع عليها
وقد أجمعوا على أن إحساس النفس بالملائم والمناقى بعد مفارقة البدن أشد وأقوى للتخلي له، فيكون الإدراك بالحواس الباطنة أقوى لشبهها عند خلوها بهذه الحواس بحالة المفارقة وقالوا [بتصور]^(٧) الذات المحمدية بما وصفت به سبب لمشاهدتها التي هي من أسنى المطالب [إشارة في ضمن بشارة]^(٨) روى عنه عليه الصلاة والسلام «من رآني في المنام فقد رآني في اليقظة»^(٩) ولا يتمثل بي

-
- (١) في ب [وأهلها].
(٢) في ب [و].
(٣) في ب [تزل].
(٤) في أ [مغرى].
(٥) سقط من أ.
(٦) سقط من أ.
(٧) في ب [تصور].
(٨) سقط من أ.
(٩) قال القاضي أبو بكر بن العربي: رؤية النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة، ورؤيته على
- غير صفته إدراك للمثال، فإن الصواب أن الأنبياء لا تغيرهم الأرض، ويكون إدراك الذات الكريمة حقيقة، وإدراك الصفات إدراك المثل، قال: وشذ بعض القدرية فقال: الرؤيا لا حقيقة لها أصلاً، وشذ بعض الصالحين فزعم أنها تقع بعيني الرأس حقيقة. وقال بعض المتكلمين: هي مدركة بعينين في القلب. قال: وقوله [فسيراني]: معناه فسيري تفسير ما رأى لأنه حق وغيب ألقى فيه. وقيل: معناه فسيراني في القيامة، ولا فائدة في هذا =

التخصيص وأما قوله [فكأنما رأي]: فهو تشبيه ومعناه: أنه لو رآه في اليقظة لطابق ما رآه في المنام، فيكون الأول حقًا وحقيقة، والثاني حقًا وتمثيلًا قال: وهذا كله إذا رآه على صورته المعروفة، فإن رآه على خلاف صفته فهي أمثال، فإن رآه مقبلاً عليه مثلاً فهو خير للرائي وفيه وعلى العكس فبالعكس. انظر/ فتح الباري (١٢/ ٤٠٠ - ٤٠١). قال الشيخ النووي: قال القاضي: ويحتمل أن يكون قوله ﷺ - فقد رأي أو فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتمثل في صورتني المراد به إذا رآه على صورته المعروفة له في حياته، فإن رأى على خلافها كانت رؤيا تأويل لا رؤيا حقيقة. قال الشيخ النووي: وهذا الذي قاله القاضي ضعيف بل الصحيح أنه يراه حقيقة سواء كان على صفته المعروفة أو غيرها لما ذكره المازدي. انظر/ شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/ ٢٥). قال الحافظ ابن حجر: قال القرطبي: اختلف في معنى الحديث فقال قوم: هو على ظاهره فمن رآه في النوم رأى حقيقته كمن رآه في اليقظة سواء. قال: وهذا قول يدرك فساده بأوائل العقول، ويلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها وأن لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين وأن يحيا الآن ويخرج من قبره، ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده فلا يبقى من قبره فيه شيء فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل. قال الحافظ: وقالت طائفة: معناه أن من رآه رآه على صورته التي كان عليها، ويلزم منه أن من رآه على غير صفته أن تكون رؤياه من الأضغاث، ومن المعلوم أنه يرى في القوم على حالة تخالف حالته في الدنيا من الأحوال اللاتقة به، وتقع تلك الرؤيا حقًا كما لو روي ملا دارًا بجسمه مثلاً فإنه يدل على امتلاء تلك الدار خيراً. ولو تمكن الشيطان من التمثيل بشيء مما كان عليه أو ينسب إليه لعارض عموم قوله «فإن الشيطان لا يتمثل بي»، فالأولى أن تنزه رؤياه، وكذا رؤيا شيء منه أو مما ينسب إليه عن ذلك فهو أبلغ في الحرمة وأليق بالعصمة كما عصم من الشيطان في يقظته. قال: والصحيح في تأويل هذا الحديث أن مقصوده أن رؤيته في كل حالة ليست باطلة، ولا أضغاثاً بل هي حق في نفسها. ولو روي على غير صورته فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان بل هو من قبل الله وقال: وهذا قول القاضي أبي بكر بن الطيب وغيره، ويؤيده قوله [فقد رأى الحق] أي رأى الحق الذي قصد إعلام الرائي به فإن كانت على ظاهرها ولا سعى في تأويلها ولا يهمل أمرها لأنها إما بشرى بخير أو إنذار من شر، إما ليخيف الرائي، وإما لينزجر عنه وإما لينبئه على حكم يقع له في دينه أو دنياه. وقال ابن بطال: قوله [فسيروني في اليقظة] يريد تصديق تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها وخروجها على الحق، وليس المراد أنه يراه في الآخرة لأنه سيراه يوم القيامة في اليقظة فتراه جميع أمته من رآه في النوم ومن لم يره منهم. وقال ابن التين: المراد من آمن به في حياته ولم يره لكونه حينئذ غائباً عنه فيكون بهذا مبشراً لكل من آمن به ولم يره أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته قاله القزاز. وقال المازدي: إن كان المحفوظ [فكأنما رأي في اليقظة] فمعناه ظاهر وإن كان المحفوظ [فسيروني في اليقظة] احتمل أن يكون أراد أهل عصره ممن يهاجر إليه فإنه إذا رآه في المنام جعل ذلك علامة على أنه يراه بعد ذلك في اليقظة وأوحى الله بذلك إليه - صلى الله عليه وآله وسلم - وقال القاضي: وقيل معناه سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها. وقيل: معنى الرؤيا في =

الشیطان»^{(١)(٢)}. وعنه من «رأني فقد رأی الحق»^{(٣)(٤)}. وعنه «من رأني فلن يدخل النار»

= اليقظة أنه سيراه في الآخرة. وتعقب: بأنه في الآخرة يراه جميع أمته من رآه في المنام ومن لم يره يعني فلا يبقى لخصوص رؤيته في المنام مزية. وأجاب القاضي عياض: باحتمال أن تكون رؤياه له في النوم على الصفة التي عرف بها ووصف عليها موجبة لتكرمه في الآخرة وأن يراه رؤية خاصة من القرب منه والشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك في الخصوصيات قال: ولا يبعد أن يعاقب الله بعض المذنبين في القيامة بمنع رؤية نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - مدة. قال الحافظ ابن حجر: وحمله ابن أبي جمرة على محمل آخر: فذكر عن ابن عباس أو غيره أنه رأى النبي - ﷺ - في النوم فبقي بعد أن استيقظ متفكرًا في هذا الحديث فدخل على بعض أمهات المؤمنين ولعلها خالته ميمونة فأخرجت له المرأة التي كانت للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فنظر فيها فرأى صورة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ولم ير صورة نفسه ونقل عن جماعة من الصالحين أنهم رأوا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك. قال الحافظ: قلت: وهذا مشكل جدًا ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ولا يمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة. ويعكر عليه أن جمعًا جدًا رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنهم رأوه في اليقظة وخبر الصادق لا يتخلف. قال: وقد اشدت إنكار القرطبي على من قال من رآه في المنام فقد رأى حقيقته ثم يراها كذلك في اليقظة قال: وقد تفتن ابن أبي جحوة لهذا فأحال بما قال على كرامات الأولياء فإن يكن كذلك تعين العدول عن العموم في كل داء، ثم ذكر أنه عام في أهل التوفيق وأما غيرهم فعلى الاحتمال، فإن خرق العادة قد يقع للزندق بطريق الإملاء والإغواء كما يقع للصدوق بطريق الكرامة والإكرام وإنما تحصل التفرقة بينهما باتباع الكتاب والسنة. قال الحافظ ابن حجر: وقال القرطبي: قد تقرر أن الذي يرى في المنام أمثلة للمرئيات لا أنفسها، غير أن تلك الأمثلة تارة تقع مطابقة وتارة يقع معناها: فمن الأول: رؤياه - صلى الله عليه وآله وسلم - عائشة وفيه «فإذا هي أنت»، فأخبر أنه رأى في اليقظة ما رآه في نومه بعينه. ومن الثاني: رؤيا البقر التي تنحر والمقصود بالثاني التنبيه على معاني تلك الأمور. ومن فوائده رؤيته - صلى الله عليه وآله وسلم - تسكين شوق الرائي لكونه صادقًا في محبته ليعمل على مشاهدته، وإلى ذلك الإشارة بقوله [فسيراني في اليقظة]، أي من رأني رؤية معظم لحرمتي ومشتاق إلى مشاهدتي وصل إلى رؤية محبوبة وظفر بكل مطلوبه. قال: ويجوز أن يكون مقصود تلك الرؤيا معنى صورته وهو دينه وشريعته، فيعبر بحسب ما يراه الرائي من زيادة ونقصان أو إساءة وإحسان. انظر/ فتح الباري (١٢/ ٤٠١ - ٤٠٢). شرح صحيح مسلم للنووي (٢٤/ ٢٥ - ٢٥).

(١) قال الحافظ: قال المازري: اختلف المحققون في تأويل هذا الحديث فذهب القاضي أبو بكر بن الطيب إلى أن المراد بقوله [من رأني في المنام فقد رأني] أن رؤياه صحيحة لا تكون أضغاثًا ولا من تشبيهات الشيطان. قال: ويعضده قوله في بعض طرقه «فقد رأى الحق» قال وفي قوله [فإن الشيطان لا يتمثل بي] إشارة إلى أن رؤياه لا تكون أضغاثًا. ثم قال المازري: وقال آخرون: بل الحديث محمول على ظاهره والمراد أن من رآه فقد أدركه ولا مانع يمنع من ذلك ولا عقل يحيله حتى يحتاج إلى صرف الكلام عن ظاهره، وأما كونه قد يرى على غير صفته أو يرى في مكانين مختلفين معًا فإن ذلك غلط في صفته وتخيل لها على غير ما هي عليه، وقد =

يظن بعض الخيالات مريثات لكون ما يتخيل مرتبطاً بما يرى في العادة فتكون ذاته - صلى الله عليه وآله وسلم - مريثة وصفاته متخيلة غير مريثة، والإدراك لا يشترط فيه تحديق البصر ولا قرب المسافة، ولا كون المرئي ظاهراً على الأرض أو مدفوناً، وإنما يشترط كونه موجوداً، ولم يقدّم دليل على فناء جسمه - صلى الله عليه وآله وسلم -، بل جاء في الخبر الصحيح ما يدل على بقاءه وتكون ثمرة اختلاف الصفات اختلاف الدلالات كما قال بعض علماء التعبير: إن من رآه شيخاً فهو عام سلم أو شاباً فهو عام حرب، ويؤخذ من ذلك ما يتعلق بأقواله كما لو رآه أحد يأمره بقتل من لا يحل قتله فإن ذلك يحمل على الصفة المتخيلة لا المريثة. انظر/ فتح الباري (٤٠٣/١٢). قال الشيخ النووي: قال القاضي عياض: ويحتمل أن يكون قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقد رأيته أو فقد رأي الحق فإن الشيطان لا يتمثل في صورتني، المراد به إذا رآه على صفته المعروفة له في حياته، فإن رأى على خلافها كانت رؤيا تأويل لا رؤيا حقيقة. قال الشيخ النووي: وهذا الذي قاله القاضي ضعيف بل الصحيح أنه يراه حقيقة سواء كان على صفته المعروفة أو غيرها كما ذكره المازدي. انظر/ شرح صحيح مسلم للنووي (٢٥/١٥). قال الحافظ ابن حجر: وهذا الذي رده الشيخ تقدم عن محمد بن سيرين إمام المعبرين اعتباره، والذي قاله القاضي توسط حسن، ويمكن الجمع بينه وبين ما قاله المازري بأن تكون رؤياه على الحالين حقيقة لكن إذا كان على صورته كأن يرى في المنام على ظاهره لا يحتاج إلى تعبير، وإذا كان على غير صورته كان النقص من جهة الرائي لتخيله الصفة على غير ما هي عليه، ويحتاج ما يراه في ذلك المنام إلى التعبير، وعلى ذلك جرى علماء التعبير فقالوا: إذا قال الجاهل رأيته النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فإنه يسأل عن صفته فإن وافق الصفة المروية وإلا فلا يقبل منه، وأشاروا إلى ما إذا رآه على هيئة تخالف هيئته مع أن الصورة كما هي، فقال أبو سعد أحمد بن محمد بن نصر: من رأى نبياً على حاله وهيئته فذلك دليل على صلاح الرائي وكمال جاهه وظفره بمن عاداه، ومن رآه متغير الحال عابساً مثلاً فذاك دال على سوء حال الرائي. قال الحافظ: ونحا الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة إلى ما اختاره النووي فقال بعد أن حكى الخلاف: ومنهم من قال: إن الشيطان لا يتصور على صورته أصلاً، فمن رآه في صورة حسنة فذاك حسن في دين الرائي وإن كان في جوارحه من جوارحه شين أو يتصور على صورته أصلاً فمن رآه في صورة حسنة فذاك حسن في دين الرائي وإن كان في جوارحه من جوارحه شين أو نقص فذاك خلل في الرائي من جهة الدين. قال: وهذا هو الحق وقد جرب ذلك فوجد على هذا الأسلوب وبه تحصل الفائدة الكبرى في رؤياه حتى يتبين للرائي هل عنده خلل أو لا. . . لأنه - صلى الله عليه وآله وسلم - نوراني مثل المرأة الصقيمة ما كان في الناظر إليها من حسن أو غيره تصور فيها، وهي في ذاتها على أحسن حال لا نقص فيها، ولا شين، وكذلك يقال في كلامه - صلى الله عليه وآله وسلم - في النوم أنه يعرض على سنته فما وافقها فهو حق، وما خالفها فالخلل في سمع الرائي، فرؤيا الذات الكريمة حق، والخلل إنما هو في سمع الرائي أو بصره. قال: وهذا خبر ما سمعته في ذلك. انظر/ فتح الباري (٤٠٣/١٢ - ٤٠٤). قال الشيخ النووي: قال القاضي: قال بعض العلماء: خصّ الله تعالى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بأن رؤية الناس إياه صحيحة وكلها صدق، ومنع الشيطان أن يتصور في خلقته لثلاث يكذب على لسانه في النوم كما خرق الله تعالى العادة للأنبياء =

وفي رواية لن يدخل النار من رآني كذا في التحفة الفاخرة في إصلاح الدنيا والآخرة، وفي المواهب اللدنية عنه عليه [الصلاة]^(١) السلام «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة. أو فكأنما رآني في اليقظة ولا يتمثل بي الشيطان».

وعنه: «من رآني في المنام فقد رآني. إنه لا ينبغي الشيطان أن يتمثل في صورتني»^(٢).

قال القاضي أبو بكر بن العربي: رؤيته صلى الله تعالى وسلم عليه بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة ورؤيته على غير [صفته]^(٣) إدراك المثل فإنه الصواب ان الأنبياء [عليهم السلام] لا تغيرهم الأرض فيكون إدراك الذات الكريمة حقيقة وإدراك الصفات

= - عليهم السلام - بالمعجزة وكما استحال أن يتصور الشيطان في صورته في اليقظة، ولو وقع لاشتبه الحق بالباطل ولم يوثق بما جاء به مخافة من هذا التصور فحمأها الله تعالى من الشيطان، ونزعه ووسوسته وإلقائه وكيدته، وكذا حمى رؤيتهم أنفسهم. انظر/ شرح صحيح مسلم للنووي (٢٥/١٥). قال الحافظ ابن حجر: قلت: ويظهر لي في التوفيق بين جميع ما ذكره أن من رآه على صفة أو أكثر مما يختص به فقد رآه ولو كانت سائر الصفات مخالفة، وعلى ذلك فتفاوت رؤيا من رآه فمن رآه على هيئته الكاملة فرؤياه الحق الذي لا يحتاج إلى تعبير وعليها يتنزل قوله [فقد رأى الحق]، ومهما نقص من صفاته فيدخل التأويل بحسب ذلك، ويصح إطلاق أن كل من رآه في أي حالة كانت من ذلك فقد رآه حقيقة. انظر/ فتح الباري (٤٠٤/١٢).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في التعبير (٤٠٠/١٢) - الحديث (٦٩٩٣). ومسلم في الرؤيا (٤/٧٧٦) - الحديث (٢٢٦٧). والدارمي في الرؤيا (١٦٦/٢) الحديث (٢١٤٠) والإمام أحمد في مسنده (٣٦٠/٥) - الحديث (٢٢٦٧٢). والبغوي في شرح السنة (٢٢٦/١٢) - الحديث (٣٢٨٧).

(٣) أي رأى الحق الذي قصد إعلام الرائي به فإن كانت على ظاهرها وإلا سعى في تأويلها ولا يهمل أمرها لأنها إما بشرى خير أو إنذار من شر، إما ليخيف الرائي وإما لينزجر عنه، وإما لينبه على حكم يقع له في دينه أو دنياه. انظر/ فتح الباري (٤٠١/١٢).

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري في التعبير (٣٩٩/١٢) - الحديث (٦٩٩٣). ومسلم في الرؤيا (٤/١٧٧٥) - الحديث (٢٢٢٦/١١). وأبو داود في الأدب (٣٠٧/٤) - الحديث (٥٠٢٣). وابن ماجه في تعبير الرؤيا (١٢٨٤/٢) - الحديث (٣٩٠٠). والبغوي في شرح السنة (٢٢٧/١٢) - الحديث (٣٢٨٨).

(١) سقط من أ.

(٢) أخرجه ابن ماجه في تعبير الرؤيا (١٢٨٤/٢) - الحديث (٣٩٠٣). والإمام أحمد في مسنده (٤٨٨/١) - الحديث (٣٥٥٨).

(٣) في ب [صورته].

إدراكًا للمثال قوله «فسيراني» تفسيره فسيرى ما رأى لأنه حق [وغيب]^(١) قوله «فكأنما رأيي» قيل معناه انه لو رأي في اليقظة لطابق ما رآه في المنام فيكون الأول حقًا وحقيقة والثاني حقًا وتمثيلًا، وهذا كله إذا رآه على صورته المعروفة [فإن رآه على خلاف صورته المعروفة]^(٢) في حياته فهي أمثال والمعتمد أن رؤيته في كل حال ليست باطلة ولا اضغاث أحلام^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه رأى النبي صلى الله تعالى وسلم عليه في النوم فبقي [متفكرًا]^(٤) في هذا الحديث بعد أن استيقظ فدخل على بعض أمهات المؤمنين لعلها خالته ميمونة فأخرجت له المرأة التي كانت للنبي صلى الله تعالى وسلم عليه فنظر فيها صورة النبي عليه السلام ولم ير صورة نفسه.

وتم وراء النقل علم يدق عن مدارك غابات العقول السليمة.

[وقال]^(٥) الغزالي ليس معنى قوله «فقد رأيي» انه رأى جسمي وإنما المراد انه رأى مثلاً صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسي إليه والآلة تكون تارة حقيقة وتارة خيالية والنفس غير المثال المتخيل فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى صلى الله تعالى وسلم عليه ولا شخصه بل هو مثاله على التحقيق.

وقال في بعض فتاويه: من رأى الرسول ﷺ في المنام لم ير حقيقة شخصه المودع روضة المدينة المنورة وإنما رأى مثاله لا شخصه وذلك المثال مثال روحه المقدسة عن الصورة والشكل.

قال الطيبي المعنى من رأيي في المنام بأي صفة كنت [فليبشر]^(٦) وليعلم أنه قد رأي رؤيا الحق وكذا قوله فقد رأيي [فالشروط والجزاء إذا اتحدا دلا على الغاية في الكمال أي فقد رأيي]^(٧) رؤيا ليس بعدها شيء ولا يخفى طيب نشر هذا القول.

وما أحسن ما قال:

ليته خصني برؤية وجهه زال عن كل من رآه الشقاء

(١) في ب [وغلِبَ]. (٤) في ب [منكراً].

(٢) سقط من ب. (٥) سقط من أ.

(٣) نقل هذا عن القاضي أبي بكر بن العربي (٦) في أ [فليبشر].

الحافظ ابن حجر. انظر/ فتح الباري (٧) سقط م أ.

(٤٠٠/١٢).

أو بتقبيل راحة كان لله وفي الله أخذها والعطاء
وأما رؤيته صلى الله تعالى وسلم عليه في اليقظة بعد موته فلم تنقل عن أحد من
الصحابة والتابعين وقد اشتد حزن فاطمة صلوات الله على أبيها وعليها عليه حتى ماتت
كمداً بعده بستة أشهر وبيتها مجاور لضريحه الشريف . ولم [ينقل] عنها [رؤيته]^(١) في
المدة التي تأخرتها عنه وإنما يحكى ذلك عن بعض الصالحين . عن أنفسهم أنهم رأوه
في المنام فرأوه في اليقظة أخذًا بظاهر حديث «من رأي في المنام فسيراني في اليقظة» .

قيل : والمنكر لذلك إما أن يكون ممن يؤمن بكرامات الأولياء أولاً ، فإن كان
الثاني فقد سقط البحث معه فإنه يكذب ما أثبتت السنة بالدلائل الواضحة وإن كان الأول
فهذه منها لأن الأولياء يكشف لهم بخرق العادة عن أشياء في العالمين العلوي والسفلي ،
مع التصديق بذلك .

[قال]^(٢) الشيخ أبي السعود : لم يكن لي شيخ إلا النبي صلى الله تعالى وسلم
عليه وإنه كان يصفحه عقب كل صلاة .

وقال الغزالي : أرباب القلوب في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء
ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد .

وما أحسن ما قال :

رأى الشمس لا تبقى النجوم لعينه [فظن]^(٣) النجوم الأفق قد [عدم]^(٤) وهما
رويدك لا أن النجوم تغيبت ولو قويت عينك ما فقدت نجما
فكن عبد ما تبدو من الحسن واتخذ إلى القبح معنى يجعل القبح حسناً [ما]^(٥)
ودعني وحالي فهو حالي بروضة زهت وغدير صفقت ورشا الما
ودع لائماً في العشق قد مات فهمه فهل قادر [على]^(٦) أن تستعير له فهما؟
وبالجملة فالقول برؤيته بعد موته بعين الرأس يقظة يدرك فساده بأوائل العقول
لاستلزامه خروجه من قبره ومشيه في الأسواق ومخاطبته للناس وخلو قبره من جسده
الشريف فلا يبقى منه شيء بحيث يزار مجرد القبر ويسلم على غائب ، أشار إلى ذلك
«القرطبي» في الرد على القائل بأن الرائي له في المنام رأى حقيقية ثم يراه كذلك في

(١) في ب [رؤيتها] - صلى الله عليه وآله (٤) في أ [عدم] .

وسلم - .

(٢) في ب [وعن] .

(٣) في ب [وظن] .

(٤) سقط من ب .

(٥) سقط من ب .

اليقظة قال: وهذه جهالات لا يقول بشيء منها من له أدنى سكة من المعقول وملتمزم شيء من ذلك مختل [مجنون]^{(١)(٢)}.

وللشيخ مسلم شيخ الطائفة المسلمة:

فمن يدعي في هذه الدار أنه يرى المصطفى حقاً فقد فاه مشتطاً
ولكن بين النوم واليقظة التي تباشر هذا الأمر مرتبةً وسطاً
كذا في المواهب.

وقال مولانا السيد صبغة الله. قدس [الله]^(٣) روحه العزيز عند قوله [وخلوه]^(٤)
من قبره فيه نظر وتأمل لا يخفى.

قلت: لعله ينظر من طرف خفي إلى قول أبي الطيب المتنبي:

كالبدور من حيث التفت رأيته يهدي إلى عينيك نوراً ثاقباً
كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقاً ومغارباً
وما أحسن ما قال الآخر:

وما البدر إلا واحد غير أنه يغيب ويأتي بالضياء المتجدد
فلا تحسب الأقمار خلقاً كثيرة فجملتها من نير متعدد
[وفي الحي هيفاء المعاطف لو بدت مع الورق كأن الوقت فيها تغتت
عجبت لها في حسننها إذا انفردت لأية معنى يفد نراك تشتت]^(٥)
[وما أحسن ما قال]^(٦):

[تري]^(٧) ترى منه عيني ما وعت أذني ويشرح الخبر ما قد أجمل [الخبر]^(٨)
[فعمشقتي]^(٩) فيه لأن رؤية عرضت والسمع يدرك ما لا يدرك البصر
[وما أحلى ما قال]:

فمن كان من كنز المواهب منفقاً فليس فقيراً للعمل والكسب

(١) ثبت في أ، ب [مجنول].

(٢) نقل هذا عنه الحافظ ابن حجر. انظر/ فتح الباري (٤٠١/١٢).

(٣) سقط من أ.

(٤) سقط من ب.

(٥) سقط من ب.

(٦) سقط من أ.

(٧) سقط من ب.

(٨) في ب [الخبر] بالمشناة التحتانية.

(٩) في أ [فعمشقتي].

ومن كان في وجه الكريم مطالعًا
فليس فقيرًا للرواية والكتب
وأقول:

أرى مطالعتي في الكتب ما نفعت
لعل وجهك يغنيني عن الكتب
فمن رأى وجهك الباهي [ومهجته]^(١)
فإنه في غنى عن كل مكتتب

مسألة: قال في الجوهر: ليس للإنسان أن يشم طيبًا في كل يوم. فإن لم يستطع
ففي كل يومين فإن لم يستطع ففي كل جمعة.

قلت: من محاسن المدينة وفضل سلطان الأنبياء عليه أفضل الصلاة وأزكى
التسليم أن في كل ليلة جمعة يطلق أنواع البخور والعنبر في الحجرة المعطرة فيشمه كل
من كان في المسجد الشريف ويكتفي به الفقير والعاجز.

مسألة: تجاه الوجه الشريف في الجدار مسمار من فضة مموه بالذهب في رخامة
حمراء. من استقبله كان مستقبل الوجه الشريف.

قال ابن حجر في الجوهر المنظم [قلت]^(٢): وكان يسمى الكوكب الدري حتى
كانت أيام [المقدس المبرور]^(٣) السلطان ابن السلطان مولانا السلطان أحمد
خان عليه الرحمة والرضوان فجعل عليه حجران من الألماس مكفوتان [بالفضة
والذهب]^(٤) فهما من آثاره الحسنة زاد الله في حسناته وجعل الملك في عقبه ما دارت
بسعادتهم أفلاك عناياته وعلى ذكر الكوكب [قلله]^(٥) در الفاضل [ابن سراج حيث
يقول]^(٦):

الكوكب الدري من شأنه
فكثروا الجوهر [أو قلل]^(٧) [سواه]^(٨)
يخفي معاوجه السراج المنير
فالجوهر الفرد عديم النظير

[وللسلطان]^(٩) أحمد خان عليه الرحمة والرضوان الآثار الحسنة والمآثر
المستحسنة [والصلوات]^(١٠) الجاري ثوابها في صحائفه والهبات التي خلدت في صحف
أخبار مكارمه ولطائفه ومن أحسن آثاره الباقية حسناتها على تعاقب الملوك^(١١) الحنفية

-
- | | |
|-----------------------------|--|
| (١) في ب [وبهجته]. | (٧) في ب [وقلوا]. |
| (٢) ثبت في أ [قال]. | (٨) سقط من ب. |
| (٣) سقط من أ. | (٩) في ب [والسلطان]. |
| (٤) في ب [من الذهب والفضة]. | (١٠) في أ [والصلاة]. |
| (٥) بياض في أ. | (١١) الملوك: الليل والنهار أو طرفاهما. |
| (٦) سقط من أ. | انظر/ القاموس المحيط (٤/٣٩١). |

المجاورة لباب الرحمة، فإنه حسن [وصفها]^(١)، وعم من في المدينة المنورة نفعها.

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى [آثارنا]^(٢)
[أو كما قال]^(٣):

همم الملوك إذا أرادوا [ذكر]^(٤) من بعدهم [فبالس]^(٥) البنيان
إن البناء إذا تعاضم شأنه أضحى يدل على عظيم الباني
وعلى [الخصوص]^(٦) ذلك [السبيل]^(٧) المشتمل على الماء السلسبيل فإنه عز
وسما وصفه على الواصف وأبى [إلا]^(٨) أن يتزايد [ثوابه]^(٩) المتضاعف:

سلسبيل الماء فيه مطلق قيد الناس بطيب المورد
قد سرى بين رياض [دبجت]^(١٠) برخام أبيض في أسود
وجلا في العين من مرمرة شكل زهر جل على قطف اليد

وفي سنة سبع وأربعين وألف من الهجرة المأمونة من الرجف قدم المولى الذي
تشرفت ديباجة هذا الكتاب بألقابه الشريفة [وتعطرت أزهار أوراقه بنشر شمائله
السائقة]^(١١) اللطيفة. لا زالت رايات العزّ بسعوده خافقة وسواجع السعد بصعوده ناطقة
ولا برحت أعوامه مواسم التهاني وأيامه مباسم الأمانى. أعياده تعود مجددة السعود
مغدقة بالجدود، أيامه عائدة وقد خلدت محامده بالدعوات الصاعدة وذلك بعد قضائه
المناسك الشريفة إلى هذه المدينة المنيفة ومعه حجر من الألماس محفوف بأحجار
مختلفة [مكفوفة]^(١٢)^(١٣) بصفائح الفضة والذهب. وهذا الحجر من آثار صدر الدولة
العثمانية وركنها الشديد وعمار الخلافة الخاقانية وأمينها الرشيد المسدد بعناية الله تعالى
في الأقوال والأفعال القائل فيه بشهادة الواقع لسان الحال:

ليس الزمان بصالح إلا على تدبيره في النقض والأبرام

-
- | | |
|-----------------------------|------------------------------------|
| (١) في أ [وضعها]. | (٨) في ب [أن لا]. |
| (٢) في أ [الآثار]. | (٩) في ب [صوابه]. |
| (٣) في ب [ومن أحسن ما قال]. | (١٠) في ب [ريجت] بالمشناة التحتية. |
| (٤) في أ [ذكرها]. | (١١) سقط من ب. |
| (٥) هكذا في أ، ب. | (١٢) في ب [مكفوفة]. |
| (٦) في أ [الشخص]. | (١٣) أي مضمومة - القاموس المحيط |
| (٧) سقط من ب. | (١٥٦٨). |

ألا وهو الصدر الذي تحملت به صدور الموابك وأصبح بين أقرانه كالبدن بين الكواكب أجل [وزراء]^(١) خليفة الله تعالى على مسطح البسيطة شرقاً وغرباً وأجمل من شمله نظر سلطان من سلاطين الأمة ومنحه قرباً. أنيس الحضرة السلطانية وجليس الدولة الخاقانية عمدة أصحاب العز والتمكين، قدوة الخواص والمقربين المتحلى بالنعوت الكريمة المصطفوية المتخلي إلا عن الكمالات النبوية المحفوظ من الاغيار [والأكدار]^(٢) مولانا مصطفى باشا سلام دار لا زال المستحق يستوفي من ذمة الزمان في أيامه الشريفة ديونه ولا برح من الأنصار [يعلوا]^(٣) همته وإحسانه لمن هاجر إلى هذه المدينة والله تعالى يبقيه صديقاً منشراحاً تتعالى عقود الممالك منه بحسن النظام وبحسن خاتمته إن شاء الله تعالى يصير مسكاً لكل ختام، وبالذعاء أرى ختم الكلام له فما توفيه حق المدح أقلام اللهم يا من بيده مقاليد الأمور ويا من يبدل القضاء المبرم بسابق لطفه وصالح الدعاء المبرور أيده بملاحظة عناية مولانا السلطان الأعظم والخابان المكرم الأفخم المنوه باسمه الكريم في صدر هذا الكتاب. المفضي له بالسعد المؤيد على تعاقب الأحقاب لا زالت مقاليد الأمور بيديه كأعنة حياده [مذللًا] تحت قدمه الشريف كالركاب [حزب]^(٤) أعاديه وأضداده ولا برح كل مستحق مستوفياً في أيامه الشريفة ما كان له في ذمة الزمان من الديون ممتعاً بالارتشاف من عذب هذا المنهل الذي ما برح عينا يشرب بها المقربون والله تعالى يمدّه بعنايته في [إقامته]^(٥) [ومستقره]^(٦) ويجعل مبتدأ [رحيله]^(٧) مقترباً بحسن خبره أمين أمين لا أرضى بواحدة. بل ألف أمين في [ألف]^(٨) أميناً فوضع المولى المنوه باسمه الكريم أعلاه. دام غلاه ذلك الحجر المكرم تحت الحجرين المذكورين جدار الضريح المعظم [فزاد به]^(٩) شعار الإسلام جمالاً واكتسب بهذه الخدمة السنية فضيلة وكمالاً.

وإذا سخر الإله أناساً لسعيد فإنهم سعداء
وقلت [أنا]^(١٠) في ذلك، وإن لم [أكن حاضراً هناك]^(١١):

زار خير الأنام خير همام
عم جيران أحمد بنو آل
قد تسمى شعبان وهو ربيع
دون ذاك النوال خصب مريع

- | | |
|--------------------|----------------------|
| (١) في ب [وزراء]. | (٧) في أ [رجله]. |
| (٢) في أ [الكدار]. | (٨) في ب [ألفين]. |
| (٣) في أ [بعلق]. | (٩) في أ [فزاوية]. |
| (٤) في ب [حزب]. | (١٠) سقط من أ. |
| (٥) في ب [إقامته]. | (١١) غير واضحة في أ. |
| (٦) سقط من ب. | |

جاء بالجواهر الثمين لطفه
مصطفى المجد والندی والمعالی
یا له جوهراً تسامی وسامی
عند وجه النبی قد وضعوه
كان هذا في عام سبع وألف
وبالجملة فإن هذا الحجر الميمون مما زان وازدان وصار أثراً حسناً يبقى إن شاء
الله تعالى على ممر الزمان.

[وما أحسن ما قال في غير هذا المجال

وإذا الدر زان حسن وجوه
وتزید ابن أطیب الطیب حسناً
كان للدر حسن وجهك زينا
إن تمسیه ابن مثلك ابناً]^(٢)
وما أحسن ما قال في غير هذا المجال:

أقول والدر على جيدها
ما علق الجواهر في نحرها
يزهو بما فيها من الزين
إلا لما تخشى من العين
مسئلة: قال العلامة ابن حجر في كتابه الجواهر المنظم في زيارة القبر المعظم:
النظر إلى الحجرة المعطرة والقبة الشريفة عبادة كالنظر إلى الكعبة المشرفة [يعني]^(٣) أن
الناظر إليها يثاب عليها حيث ورد كما رواه أبو الشيخ عن عائشة رضي الله تعالى عنها
مرفوعاً «النظر إلى الكعبة عبادة»^(٤) [وروي]* الطبراني والحاكم. «النظر إلى علي
عبادة»^(٥).

(١) في ب [المنيع].

(٢) سقط من أ.

(٣) في ب [بمعنى].

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٣٦/٥) - الحديث ٩١٧٣ - ٩١٧٥ بلفظ [النظر إلى البيت
عبادة].

(٥) ضعيف: أخرجه الحاكم في المستدرک في معرفة الصحابة (١٤١/٣). وقال: هذا حديث
صحيح الإسناد وشواهده عن عبدالله بن مسعود صحيحة وتعقبه الذهبي وقال: ذا موضوع
وشاهده صحيح. وأخرجه الطبراني في الكبير (٧٦/١٠ - ٧٧) بلفظ [النظر إلى وجه علي
عبادة]، وفي سننه أحمد بن بديل وهو ضعيف قال ابن عدي: عامة ما يرويه عن حفص بن
غيث وغيره مناكير، وله أحاديث لا يتابع عليها عن قوم ثقات. مختصر الكامل (ص/١٠٨/٢٣)
- وفيه أيضاً يحيى بن عيسى. قال ابن عدي: ما يرويه لا يتابع عليه، وضعفه غيره. =

[قيل]^(١) معناه أن علياً رضي الله عنه كان إذا برز قال الناس لا إله إلا الله ما أشرف هذا الفتى لا إله إلا الله ما أعلم هذا الفتى لا إله إلا الله ما أكرم هذا الفتى لا إله إلا الله ما أشجع هذا الفتى فكانت رؤيته رضي الله عنه تحملهم على كلمة التوحيد كذا في النهاية.

والحاصل أن كل ما يكون النظر إليه يدل على الحق فهو عبادة كما روي أن أولياء الله تعالى هم الذين إذا رأوا ذكروا الله تبارك وتعالى.

وجوه عليها للقبول علامة
وجوه إذا ما أسفرت عن جمالها
وليس على كل الوجوه قبول
سجدت على أعتابهن عقول
وقال آخر:

[وجه]^(٢) عليه من الحياء سكينة
وإذا أحب الله يوماً عبده
ومنها الأشعار التي يجوز أن تنشأ تجاه الحضرة النبوية وسمع بإنشاد بعضها من بعض العلماء عند القبر الشريف وحصل بإنشاد بعضها المدد الشامل الواسع من ذلك الجناب الرفيع:

إليك وإلا [لا]^(٣) تشد الركائب
وفيك وإلا فالرجا مخيب
ومنها للشيوخ عبد الرحيم البرعي:
يا سيد العرب العرباء معذرة
لعنك وإلا فالمحدث كاذب
ومنك وإلا لا تنال الرغائب
لنادم القلب لا يغني تندمه

= مختصر الكامل (٢١٤/٨١٨) - وقال العجلي: كان فيه تشيع. انظر: تهذيب التهذيب / ١١ / ٢٢٩ - (٧٩٤١). قال الحافظ الهيثمي بعدما عزاه للطبراني عن ابن مسعود مرفوعاً: وفيه أحمد بن بديل اليامي: وثقه ابن حبان وقال مستقيم الحديث وابن أبي حاتم وفيه ضعف، وبقيّة رجاله رجال الصحيح. وعزاه للطبراني عن طليق بن محمد قال رأيت عمران بن الحصين يحد النظر إلى عليّ فقليل له. فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: النظر إلى عليّ عبادة قال: وفيه عمران بن خالد الخزاعي وهو ضعيف. انظر: مجمع الزوائد للهيثمي (١٢٢/٩).

* بياض في أ و ب.

(١) سقط من أ.

(٢) في ب [وجوه].

(٣) سقط من أ.

يا صاحب الوحي والتنزيل مرحمة
أثقلت ظهري [بأوزاري]^(١) وجثتك لا
لك الجميل من الذكر الجميل ومن
فانهض بضيع كتيب أنت ملجؤه
واجعله منك بمرأى العين مكرمة
وإن دعا فأجبه وارحم جانبه
عليك من صلوات الله أكملها
والآل والصحب ما لآل النجاح وما
ومن ذلك في هذه المسالك:

فأنت تعفو عن الجاني وتكرمه
قلب سليم ولا شيء أقدمه
كل اسم جود عظيم الجود أعظمه
وامنعه من كل خطب مر مطعمه
[إذا ألم]^(٢) به من ليس يرحمه
يا خير من دفنت في القاع أعظمه
يا ماجداً عمت الدارين أنعمه
حامت على أبرق الجنان حومه

إن لم أكن أهل [أهيل]^(٣) لقربكم
هبني على الباب مطروخاً قربها
ومن هذه [متحب]^(٤) البهية [والتعب]^(٥) الشهية.

أو كنت يا سيدي قد ساءني أدبي
تمر بي نفحات منك تدخل بي
وتقبلوني على عيبي ونقصاني
وإن منعتهم فيا ذلي وخسراني

لا أبرح الباب حتى تصلحوا أعوجي
فإن مننتم [فيا عزي]^(٦) ويا شرفي
ومن هذا الفن المشتبه والحسن الذي انتهى:

وتقبلوني على عيبي ونقصاني
وإن منعتهم فيا ذلي وخسراني
وتقبلوني على عيبي ونقصاني
وإن منعتهم فيا ذلي وخسراني

في حالة البعد روعي كنت أرسلها
وهذه نوبة الأشباح قد حضرت
حكى الجلال السيوطي أن السيد أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى أنشد هذين البيتين
عند القبر الشريف فبرزت اليد الكريمة من تحت الستر حتى قبلها وظفر [بيمنها]^(٨)
وبركتها وما أحسن ما قاله:

تقبل الأرض عني وهي نائبتني
فامدد يمينك [كي]^(٧) تحظى بها شفتي
حكى الجلال السيوطي أن السيد أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى أنشد هذين البيتين
عند القبر الشريف فبرزت اليد الكريمة من تحت الستر حتى قبلها وظفر [بيمنها]^(٨)
وبركتها وما أحسن ما قاله:

إذا لحت بي ناجتك كل جوارحي
فأنت [في]^(٩) قلبي حضوراً وغيبة

وإن غبت عن [العين]^(٩) أناجيك بالقلب
وأنت جلا عيني في حالة القرب

(٦) في ب [واعزي].

(٧) سقط من ب.

(٨) في ب [بعها].

(٩) في ب [عيني].

(١٠) في ب [مليء].

(١) في أ [بأوزار].

(٢) في ب [إذا لم يكن].

(٣) في أ [تأهيل].

(٤) كلمة غير مقروءة في أ وهكذا ثبت في ب.

(٥) كلمة غير مقروءة في أ وهكذا ثبت في ب.

ومن هذه الدرر في هذه الغرر:

كل ربيع تحل فيه ربيع
كل يوم أراك فيه [معيد]^(١)
ومما راق مبناه ورق معناه:

نعم لولاك ما ذكر العقيق
نعم أسعى إليك على عيوني
إذا كانت تحن لك المطايا
ومن هذا

[ومن ألطف ما قال]^(٢):

هبنا ومن أمسى وأنت حبيب
وطوبى لقلب أنت ساكن سره
وتبا لمطرود عن الباب مبع
[ومن هذا النظم العامي والكلام العالي]^(٣)

ولو أن نيران الغرام تذيبه
ولو بان عنه الفه وقريبه
لقد ضاق في هذا الوجود رصيبه

يا طيب الأصلين يا من قرب
إن لم تكن عيني فلأنك نورها
[ومن هذه الدر المكنون في سلك هذا الفن]^(٤):

أما والذي أبكى وأضحك والذي
لقد خاب من يسعى إلى غير بابكم
وما [أوقع ما قال في كثير]^(٥) من الرجال:

إنني وإن بعدت داري لمقترب
قرب وإن أبدى مودته
[ولله در القائل]^(٦):

منكم بحسن موالاة وإخلاص
أشهى إلى القلب [منه]^(٦) النازح القاصي

(٥) سقط من أ.

(٦) سقط من أ.

(٧) سقط من أ [ناقصة].

(١) في ب [عند].

(٢) سقط من أ.

(٣) غير مقروء في أ.

(٤) سقط من أ.

حاولتها فوجدت أسباب الرجا موصولة باليأس من [أسبابها]^(١)
إلا لمن أعطى الصباية حقها وأتى بيوت الحي من أبوابها
أنشد الجمال الطبري لنفسه:

أنخ أيها الصادي الشديد ظمؤه ورد منهلاً أحلى من الشهد ماؤه
وسل عند باب المصطفى أي حاجة أردت وما تهوى فرحب فناؤه
[ومما تحرك له القلب]^(٢) ومما رق [نسيمه]^(٣) وراق تسيمه:

أنخ الركائب في فناء الدار وانزل بساحتها نزول الجار
يهنيك يا سعد الوصول إليهم فلقد بلغت منازل الأبرار
ومن الآداب السنية، الموصولة المناهل البهية:

أنخ مطاياك إن ظفرت بهم واطلب قراهم فإنهم عرب
واسع على الرأس خاضعاً فعسى يشفع فيك الخضوع والأدب
[سلم سلمت على سلمى بذى سلم وسل سليماً عن المحجوب في الخيم
والشم لثام تمام حول حلتها طاب به نسمات الطيب في النسم]^(٤)
[ومما يرتشفه السمع راحا] ويمدحه عليه في النسيم من الدقة حبالها^(٥)

غير ليلى لا [بد]* يرى في الحي شيء سل متى [ما]* ارتبت عنها كل حي
كل شيء سرها فيه تسري فلذا يثنى عليها كل شيء^(٦)
ومما يتحرك له الرأس في هذا الجنس:

إذا نحن أثنينا عليك نصائح فأنت كما تثني وفوق الذي تثني
وإن جرت الألفاظ منا بمدحه لغيرك إنساناً فأنت الذي نعني

(١) في أ [أشبابها].

(٢) سقط من ب.

(٣) سقط من أ.

(٤) سقط من أ.

(٥) هذان البيتان مقدمان على [سلم سلمت على سلمى... الخ] في ب. ويكون ترتيب الأبيات هكذا. ومما يرتشفه السمع راحا ويمدحه عليه... الخ. ثم: سلم سلمت على سلمى بذى سلم... الخ. ثم: أنخ الركائب في فناء الدار... الخ. ثم: ومما يتحول له الرأس في هذا الجنس... الخ.

(٦) * سقط من ب.

ومن أصدق المدح في سلك هذه الملح:

المدح يدري إنكم أكبر
وإنما يشني على فضلكم
وكيف يقضي حقكم مآدح
ومن أحسن الكلام في مثل هذا المقام:

من كل ما ينظم وينثر
كل ولي بالذي يقدر
ضلت قوافيه بكم تفخر

نعم هذه الدار الذي أنت تطلب
أعن دار سعدى بعدما بان بانها
ولاحت وهو يوماً توارت وإنما
ومن أحسن ما وشته الأقلام وحصل به المرام:

إلى أين عنها يا لك الخير تذهب
وفاح شذا أنفاسها تتجنب
بتنزيها عن ذاك طرفي يكذب

الحمد لله هذا القصد والسؤل
هذا مرادي وهذا منتهى أملِي
هذا أسر سرور قد سررت به
هذا الهنا والمنا والخير اجمعه
قرت العيون بذا الوصل اللذيذ كما
الحمد لله لا أحصي الثناء له

حبل الوصال بخير الرسل موصول
وكم كان لي في الوصل تأميل
فالسعد ساعدني والشمل مشمول
فالصدر منشرح والقلب مشمول
برت يميني بفضل الله فالقيل
حمداً يكون به للسعد تكميل

ومن أجل محاسن الحجرة المعطرة اشتمالها على المدد الشامل لمن زار
[معالمها]^(١) [واشتغل]^(٢) [القلب بالتوجه الصحيح]^(٣) إلى صاحب الروضة والضريح
(يروى) أن أعرابياً وقف أمام القبر الشريف وقال يا رسول الله سمعت فيما أنزل عليك
الله ﴿ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله
تواباً رحيماً﴾ [النساء: ٦٤] وإنني قد جئتكم مستغفراً من ذنبي ومستشفعاً بك إلى ربي
قال الراوي فأخذتني سنة فرأيت النبي صلى الله تعالى وسلم عليه فقال لي الحق
بالأعرابي فبشره بالجنة^(٤) والأخبار من ذلك كثيرة وفي الصحيح انه عليه السلام قال

(١٨٣٤). وأورده أيضاً الحافظ ابن كثير في
تفسيره وقال: ذكر جماعة منهم الشيخ أبو
منصور الصبأغي في كتابه الشامل [وهو
كتاب في مذهبنا نحن الشافعية وهو شرح
مختصر المزني. طالب العلم / محمد
فارس] الحكاية المشهورة عن العتيبي.
انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٥٢٠).

(١) في أ [بتعللتها].
(٢) في ب [واشتغل].
(٣) في ب [القلب الصحيح بالتوجه].
(٤) أورد القرطبي في تفسيره حكاية نحوها،
قال روى أبو صالح عن علي عليه السلام
وساق المتن. انظر تفسير القرطبي (٣/

«من زار قبري وجبت له شفاعتي»^(١) قال بعض العلماء: يجب على زائره صلى الله تعالى وسلم عليه أن يعجزم بنجاته وعنه. عليه السلام؛ «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي»^(٢) «ومن مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة»^(٣) وعنه عليه السلام «لا يكيد أحد أهل المدينة إلا انماع وإن أمهل كما ينماع الملح في الماء»^(٤) وعنه عليه السلام «اللهم [اكفهم]^(٥) من دهمهم»^(٦) أي أغار عليهم بغتة وعنه عليه السلام «اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»^(٧) وعنه عليه السلام «اللهم إن إبراهيم خليلك

(١) ضعيف: أخرجه الدارقطني في سننه (٢/٢٧٨ - ١٩٤). وفي سننه موسى بن هلال العبدي وهو ضعيف. انظر لسان الميزان (٦/١٣٤ - ١٣٥) (ترجمة / ٤٦٧). وعزاه الحافظ الهيثمي للبراء قال: وفيه عبدالله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف. انظر: مجمع الزوائد (٥١٤). وعزاه الحافظ الهيثمي للبراء قال: وفيه عبدالله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف. انظر مجمع الزوائد (٥١٤). وعن ابن عمر مرفوعاً «من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي، كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة». أخرجه الطبراني في الأوسط (١٦/٥) - الحديث (٤٥٤٦). وأخرجه في الكبير (١١٢ و ٢٩١) - الحديث (١٣١٤٩). قال الحافظ الهيثمي بعدما عزاه للطبراني في الأوسط والكبير: فيه مسلمة ابن سالم وهو ضعيف. انظر/ مجمع الزوائد للهيثمي (٥١٤).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/٣٥١) - الحديث (٣٣٧٦). وفي الكبير (١٢/٤٠٦ - ٤٠٧) - الحديث (١٣٤٩٧). والدارقطني في سننه (٢/٢٧٨) - والبيهقي في الكبير (٥/٢٤٦). والبيهقي في شعب الإيمان (٣/٤٨٨ - ٤٨٩) - الحديث (٤١٥٣). قال الحافظ الهيثمي: وفيه حفص بن أبي داود القاري وثقه أحمد وضعفه جماعة. انظر مجمع الزوائد للهيثمي (٥١٤) عن ابن عمر مرفوعاً: «من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي». أخرجه الطبراني في الصغير وفي الأوسط (١/٩٤ - ٩٥) - الحديث (٢٨٧). قال الحافظ الهيثمي: وفيه عائشة بنت يونس ولم أجد من ترجمها. انظر مجمع الزوائد للهيثمي (٥١٤).

(٣) أخرجه الحافظ البيهقي في شعب الإيمان (٣/٤٨٨) - الحديث (٤١٥٢). عن رجل من آل الخطاب مرفوعاً: «من زارني متعمداً كان في جوارحي يوم القيامة، ومن سكن المدينة وصبر على ثلاثها كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة».

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) في ب [القهم].

(٦) عزاه الحافظ الهيثمي للبرار وقال: إسناده حسن. انظر: مجمع الزوائد للهيثمي (٣/٣١٠).

(٧) أخرجه النسائي في الكبير (٢/٤٨٣) - الحديث (٤٩٦٦/٢). والطبراني في الكبير (٧/١٤٤). قال الحافظ الهيثمي: عزاه الشيخ في الأطراف إلى النسائي ولم أره في المجتبى فلعله في الكبير [وهو كما قال طالب العلم] وعزاه للطبراني في الكبير وقال: «فيه من لم أعرفه». انظر/ مجمع الزوائد للهيثمي (٣/٣١٠).

وعبدك ونبيك دعاك لأهل مكة، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة مثلما دعاك به إبراهيم لمكة، أدعوك أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم، اللهم حبيب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة واجعل ما بها من وباء بخم فوائح وفوائح»^(١).

حكى أهل السير أن تبعًا لما قدم المدينة أراد خرابها فجاء حبران من قريظة يقال لهما شحيتا ومنيه فقالا أيها الملك انصرف عن هذه البلدة فإنها محفوظة وأنها مهاجر نبي من بني إسماعيل اسمه أحمد، يخرج آخر الزمان فأعجبه ما سمع منهما وصدقهما فيما قالا فكف عن أهل المدينة فهو صلى الله تعالى وسلم عليه وقاية وحماية ومعونة لسكان بلده قبل ظهوره وبعد ظهوره في حياته وبعد وفاته اللهم اجعلني ومن أحبه دايماً أبداً جاره ولا تحرمني بفضلك بالدارين جواره فإن العيون لا تنقطع عن الكريم والذنوب لا تمنع من [إحسان]^(٢) الرؤوف الرحيم.

إن كان لا يرجوك إلا محسن فيمن يلوذ ويستجير المذنّب مسك روعي ومسلك توخي وجداني.

عياني لزايري الحضرة الجامعة المحمدية قال الله تعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ [النساء: ٦٤] قال مولانا السيد [أسعد]^(٣) البلخي تغمدته الله برحمته صريح النص يدل على أن الظالم سواء كان مشركاً أو مسرفاً أو منافقاً لو جاء إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مستغفراً تائباً مما كان منه من التفريط واستغفر له الرسول ﷺ وهو قد استغفر للجميع فإنه مأمور به لهم من عند الله تعالى «لوجدوا الله تواباً رحيماً» فإذا تحقق الشرط وهو مجيئه مستغفراً ترتب عليه الجزاء وهو وجدان الله تعالى تواباً رحيماً والمجيء إليه عليه السلام أعم من أن يكون في حياته [أو]^(٤) بعد انتقاله بل بعده أبسط حضوراً لمن قصده ولا شك أن التوجه إلى وجهته الروحية مع التمثل [إليه]^(٥) بين يديه بالجثمان أكمل وأجمع للفضائل، وإذا كان حال الظالم نفسه هكذا في زيارته فكيف بالصالح، فضلاً عن المتقي والعارف المتحقق، وكلام الله تعالى حق ووعد صدق فمن لم يجد الله تعالى في زيارته النبي ﷺ فليراجع نفسه الغيبة فإنه إما أدخل بالشروط أو وجده سراً وجداناً بسيطاً غيبياً منزهاً عن الكمية مجهول الكيفية وما تحقق علماً يقيناً مركباً تصديقياً

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٦٣/٥) - (٢) سقط من ب.

(٣) سقط من ب. الحديث (٢٢٦٩٦) بدون ذكر [فوائح]

(٤) في ب [و].

(٥) سقط من أ.

وفوائح].

[شهاديًا]^(١) فلا يلومن إلا نفسه القاصرة، فإنه لا منع في فيض الحق ولا ضيق في جاه المرور بل القصور من قبل الزائر [وتحقيق]^(٢) هذا الوجدان [وجدان]^(٣) كان بمعنى أدرك وصادف فهو يتعدى إلى [مفعول واحد وهو الوجد السري]^(٤) [البسيط المجهول الكم والكيف أعني الحضور الإشراقي عين العالم والمعلوم وإن كان بمعنى علم من أفعال القلوب]^(٥) فهو يتعدى إلى مفعولين بمعنى التصديق [المركب]^(٦) المتضمن للحكم الإيقاعي أو الانتزاعي أعني علم العلم المسمى بالحصولي والأول العلم الحضورى الإشراقي وهو علمه سبحانه وتعالى بذاته وجميع صفاته وبالعالم الذي هو فعله وعلم الملائ الأعلى وعلم الإنسان بذاته ولوازمها الأول كذلك. [حضورى بمعنى الانكشاف التام بغير غيبة]^(٧) والثاني العلم الحصولي للإنسان العاقل تصورًا أو تصديقًا بما خرج عن ذاته بطريق التمثل الصوري، أعني ارتسام صور الأشياء في القوة المفكرة فحصل من ذلك أن العارف المتحقق جامع بين الوجدان السري البسيط أن الله تعالى هو الباعث للعبد الثواب عليه الجائي به إلى الزيارة أو القاصد تشوقًا ومحبة أينما كان بالتوبة والایمان ولكل مؤمن إن كان متوجهًا إليه من سائر الآفاق إيمانًا أولاً واستحضارًا نجياً ثانيًا لأنه لا يؤمن إلا بإذن الله تعالى خصوصًا بالزيارة للزائر وبين التصديق اليقيني الشاهدي أن العبد المؤمن الزائر مظهر اسمه الثواب من قوله «ثم تاب عليهم» ليتوبوا. والحبیب المزور صلى الله تعالى وسلم عليه بالمؤمنين رؤوف رحيم بالنص فالمؤمن المتحقق بالوجدانين له علم بسيط متعلق بذاته سبحانه وتعالى وصفاته ويشاركه فيه جميع الأشياء المسبحة بحمده تبارك وتعالى وله فضل علم أعني التصديق اليقيني المتعلق بأحكام الله سبحانه وتعالى وأفعاله المترتب بعضها على بعض، وهو مناط الثواب ورفع الدرجات [وأما الزائر]^(٨) الفاقد فلما أن يكون غيبًا لا يدري الزائر والمزور، ولا تحقق رد المزور سلامه عليه فضلًا عن تحقق سلام المزور قبل سلام الزائر كما قال تعالى ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة. أنه من عمل منكم سوءًا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم﴾ [الأنعام: ٥٤] [وهو كما قال]^(٩):

-
- | | |
|---------------------|-----------------------------|
| (١) سقط من ب. | (٦) سقط من ب. |
| (٢) غير ظاهرة في أ. | (٧) سقط من ب. |
| (٣) سقط من ب. | (٨) سقط من ب. |
| (٤) سقط من ب. | (٩) في ب [وهو أحلى ما قال]. |
| (٥) سقط من ب. | |

تاهت الأبواب فيك فما ميزت وردًا من الصدر

فذاك لا عرف الإجابة ولا باعث له على الزيارة إلا الضيق والشكاية من أمر المعاش والمضائق الدنيوية وفضل الله تعالى أوسع ورحمته وسعت كل شيء وكمال شفقتة سيد المزور، معروف حيث سبقت له العناية بترتب المقدمة، فسوف ينتفع بتفضيل النتيجة عند كشف غطاء البشرية وإما أن يكون من الفرق التائهة الحائرة المنكرة للرؤية واللقاء دنيا وعقبى ولا كلام لنا معه حيث حرم ما فاز به غيره في هذه النشأة معجلاً وإن كان في المطلوب من حيث لا يعلم، كما قيل:

رب أمر نحو الحقيقة ناظر برزت له فيرى وينكر ما يرى

وربما تأول نص التنزيل بقياس عقله على مقياس دائه في نقله فبعد عن المرام وتاه في مهامة الكلام، لأن هذا الوجدان والإدراك البسيط السري التصوري واليقين المركب الايماني الاستحضاري القلبى المسمى بالإحسان المشار إليه بكأنك تراه في هذه النشأة الجامعة خصوصاً في حضرته صلى الله تعالى وسلم عليه بكمال ذاته المقدسة أبداً يصير رؤية أخروية تفصيلية ومشاهدة جلية مناسبة لتلك النشأة النورية الزهية عن اعراض هذه النشأة [والجواهر]^(١) المكتنفة بها وإنما حبس [المتأول]^(٢) بالشبه ثم من الله تعالى على هذه الأمة المرحومة بآية أخرى تدل بصريحها على سعة الرحمة على العبد أينما كان فقال جل وعلا ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله عفوراً رحيماً﴾ [النساء: ١١٠] والاستغفار مجازي وهو أن يقول بلسانه أستغفر الله ولا يتصور شيئاً، بقلبه، وحقيقي وهو الذي حظى به الكحل وهو نصب [أعينهم]^(٣) أن سبقت لهم الحسنى والعناية الأزلية من الله تعالى لسرهم وروحهم ولطيفتهم بطلب استعداداتهم الغير المجعولة بستر أنانيتهم وتعينهم الجزئي، المائل عن حد الاعتدال في سعة بحر إطلاق وجود سيدهم فاستمر فناؤهم في ربهم وبقائهم بوجوده في سائر المراتب الاستيداعية والمقامات الاستقرارية، فلا جرم دام شهودهم في جميع أحوالهم بغير مزاحمة دعوى الاستقلال بالوجود، وكانوا معه سبحانه وتعالى في شهود شؤونهم حيث كان معهم أينما كانوا فاستغفروهم أزلي أبدي بستر وجودهم في وجود سيدهم وفي سائر أسمائه وصفاته وأفعاله وسمعوا خطاب ﴿لمن الملك اليوم الله الواحد القهار﴾ [غافر: ١٦] بل شاهدوا جهاداً أنه الواحد في الكل فلا يكن الزائر أنزل حالاً ممن ذمة الله تعالى في كتابه من الظمان الذي وجد الله عنده فوفاه حسابه وكان يقول قديماً مشايخ ما وراء النهر من طلب

(٣) في ب [أعينها].

(٢) في أ [المتأول].

(١) في ب [والجواهر].

شيئاً وجده، ويقول مشايخ العراق من وجد شيئاً طلبه وشيخ الإسلام من مشايخ خراسان يقول النزاع لفظي والمال واحد سواء ضربت الزجاج على الحجر أو الحجر على الزجاج. وأنا مع العراقيين [ومال الأقوال]^(١) يرجع إلى ما نحن فيه من الوجدان [البسيط السري]^(٢) والمركب التفضيلي ويتعلق بهذا الباب.

ما نقل عن بعض المحققين انه قال كل شيء إذا طلبته وجدته إلا الحق سبحانه وتعالى فإن وجده سابقه لطلبه وكان يقال ما خطر ببالك فالف بخلاف ذلك، وجاء في الخبر أن سيدنا موسى عليه السلام قال: «يا رب أبعد أنت فأناجيك أم قريب فأناديك» فسمع الله تعالى يقول «أينما قصدتني وجدتنى» ويشير إلى الذوق الموسوي قوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] وما أعذب ما قال:

كما ذا تموه بالشعبين والعلم والأمر أوضح من نار على علم
أراك تسأل عن نجد وأنت بها وعن تهامة هذا فعل متهم
وأقول كما قال:

إن كانت الأعضاء خالفت الذي أمرت به من سالف الأزمان
فسلوا الفؤاد عن الذي أودعتم فيه من التوحيد والإيمان
تجدوه قد أدى الأمانة منهما فهبوا له ما زل في الأركان
وما أرجى ما قال:

عصيت فقل لي كيف ألقى محمداً ووجهي بأثواب المعاصي مبرقع
عسى الله من أجل الحبيب وقربه يداركني بالعفو فالفضل أوسع
فائدة: عن ابن [الجوزي]^(٣) قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً. فشكوا ذلك إلى عائشة رضي الله عنها فقالت «انظروا إلى قبر النبي صلى الله تعالى وسلم عليه فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبينها سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق انتهى. فالكوة التي في القبة الشريفة هذا أصلها وسنة أهل المدينة اليوم في مثل ذلك. فتح باب المواجهة من المقصورة المحيطة بالجهة المعطرة والاجتماع هنالك للدعاء والاستغاثة [فائدة]^{(٤)(٥)}

انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي (١)
(٣٢٥). واصطلاحاً: المسئلة المرتبة على
الفعل من حيث هي كذلك، وعرفت بأنهل
كل نافع ديني أو دنيوي. أنظر / السبع
كتب مفيدة لعلوي السقاني (ص ٢٣١).

(١) في ب [ومالي إلا أقول].
(٢) في ب تقديم وتأخير.
(٣) في ب [الجوهري].
(٤) في ب [مسألة].
(٥) الفائدة: لغة: ما استفيد من علم أو مال.

ورد عنه عليه السلام «أن في مسجدي بقعة قبيل هذه الاسطوانة يعني الثالثة من المنبر والقبر وتسمى أسطوان القرعة لو يعلم الناس ما صلوا إليها، إلا أن تطير لهم قرعة.

قيل: والدعاء عندها مستجاب كذا في الجواهر.

مسألة: ورد أنه عليه السلام قال «ما بين حجرتي ومنبري روضة من رياض الجنة»^(١) قال الخطابي معناه من لزم طاعة الله في هذه البقعة آلت به الحال إلى روضة من رياض الجنة يوم القيامة.

وقال غيره: يجوز أن يكون هذا الموضع بعينه روضة من رياض الجنة يوم القيامة وقال آخر كانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم تقتبس العلم من النبي صلى الله تعالى وسلم عليه في ذلك الموضع وهو مثل الروضة ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال خلق الذكر»^(٢).

دقيقة قال في المواهب: واعلم أن أعظم نعيم في الجنة وأكمله التمتع بالنظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى ورسوله صلى الله وسلم عليه وقرت العين بالقرب من الله تعالى ورسوله مع الفوز بكرامة الرضوان التي [هي] أعظم من الجنان كما قال تعالى «ورضوان من الله أكبر» [التوبة: ٧٢] ولا ريب أن الأمر أجل مما يخطر بالبال أو يدور في الخيال ولا سيما عند فوز المحبين في روضة الانس وحضيرة القدس بتحية محبوبهم الذي هو غاية مطلوبهم فأني نعيم يداني تلك المحبة ولذتها وقرّة العين بها وبهجتها، وهل فوق نعيم قرّة العين بمحبة الله تعالى ورسوله نعيم. فلا شيء أجل من حضرة يجتمع فيها المحب بأحبابه في مشهد مشاهد الإكرام والعز المقيم حيث يتجلى الحق جلا جلاله «ويقول سلام عليكم عبادي ومرحبًا بكم أهل ودادي أنتم [المؤمنون

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في فضائل المدينة (١١٩/٤) - الحديث (١٨٨٨). ومسلم في الحج (١٠١١/٢) - الحديث (١٣٩١/٥٠٢). والترمذي في فضل المدينة (٧١٨/٥) - الحديث (٣٩١٥). والإمام مالك في الموطأ في القبلة (١٩٧١١) - الحديث (١١). والإمام أحمد في مسنده (٣١٧/٢) - الحديث (٧٢٤٢).

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات (٥٣٢/٥) - الحديث (٣٥١٠). وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ثابت. والإمام أحمد في مسنده (١٨٥/٣) - الحديث (١٢٥٣١). والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٨/١١) - (٥٢٩). والطبراني في الكبير (١٩٥/١١) - الحديث (١١١٥٨) قال: وفيه من لم يسم. وعزاه الحافظ الهيثمي للطبراني في الكبير وقال فيه رجل لم يسم. انظر مجمع الزوائد للهيثم (١٣١/١). واعلم أن مدار رواية الإمام أحمد والترمذي والبيهقي على محمد بن ثابت وهو ضعيف ويحتج بروايته. انظر تهذيب التهذيب (٦٩/٩) - (٦٠١١).

(٣) سقط من أ.

الآمنون^(١) لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، هاذي يدي مبسوطة عليكم وأنا ربكم أنظر إليكم فيقولون ربنا حاجتنا إليك النظر إلى وجهك الكريم والرضى عنا فيرفع الحجاب ويتجلى الحق جل جلاله فيخرون سجداً فيقول الله تبارك وتعالى قد رضيت عنكم فلا أسخط عليكم أبداً^(٢) فما أحلاها من كلمة وما أألها من بشرى. فيقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور [الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب]^(٣) [فاطر: ٣٤. ٣٥] والله أعلم^(٤).

مسئلة: ليس في الجنة عبادة إلا الحمد والشكر والتسبيح والتهليل عن غير تكليف وإلزام وإنما هو من تيسير الإلهام ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين دعواهم فيها سبحانهك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ [الزمر: ٧٤].

إلهي لك الحمد الذي أنت أهله على نعم ما كنت قط لها أهلا
إذا ازددت تقصيراً تردني تفضلاً كأني بالتقصير استوجب الفضلا
وقال آخر:

لك الحمد يا الله في كل حالة ومن جملة الآلاء قولي لك الحمد
فلا حمد إلا أن تمن بقوة تعاليت لا يقوى على حمدك العبد
وقال غيره:

إذا كان شكري أنعم الله نعمة على أنه من مثلها يجب الشكر
فكيف يكون الشكر إلا بفضلله وإن طالت الأيام واتسع العمر
مسئلة: قدم النبي صلى الله تعالى وسلم عليه المدينة المنورة ضحى يوم الاثنين
لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول^(٥) فاستقبله زها خمسمائة من الأنصار فما

رثاء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره
طبقاً واحداً. (٥٣١/٨) - الحديث
(٤٩١٩). وأخرجه البخاري عن أبي هريرة
مطولاً في التوحيد (٤٣٠/١٣) - الحديث
(٧٤٣٧).

(٣) سقط من ب.

(٤) سقط من أ.

(٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٥١١).

(١) في ب تقديم وتأخير.

(٢) بنحوه أخرجه: مسلم في الإيمان (١/١٦٣) - الحديث (٢٩٧). والترمذي في صفة الجنة (٦٨٧/٤) - الحديث (٢٥٥٢). وابن ماجه في المقدمة (١/١٦٧) - الحديث (١٨٧). والإمام أحمد في مسنده (١٩/٦) - الحديث (٢٣٩٨١). وأخرجه البخاري عن أبي سعيد مرفوعاً [يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا

رأى أحد مثل ذلك اليوم وخرج يوم الجمعة عند ارتفاع النهار فركب ناقته والمسلمون عن يمينه وشماله ومن خلفه منهم الماشي ومنهم الراكب فما مر بدار من دور الأنصار إلا قالوا هلم يا رسول الله إلى القوة والمنعة فيقول لهم خيرًا ويدعو ويقول عن ناقته انها مأمورة خلوا سبيلها. فمر ببني سالم فأتى مسجدهم الذي في وادي رانونا وأدركته صلاة الجمعة. فصلّاها لهم هنالك. فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة ثم ركب ناقته وصار حتى انتهت به إلى زقاق الحبشى ببني النجار فجعلن النساء والولدان يضربن على الدفاف^(١) ويقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعى لله داع^(٢)
وفي رواية:

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر [المطاع جئتنا تمشي]^(٣) رويدًا نحونا يا خير ساعي.

ومر عليه السلام بجوار من الأنصار وهنّ ينشدن ويقلن:

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار
وقال عليه الصلاة والسلام «الله يعلم اني أحبكم»^(٤). ثم سار عليه الصلاة والسلام إلى أن بركت ناقته على باب دار أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه فنزل بها سبعة أشهر ثم بنى مسجده^(٥) قال أهل السير. بناء أولاً. مائة في مائة وقيل أقل من مائة في طول سبعة أذرع [وقيل في طول خمسة أذرع]^(٦) فلما فتح الله تعالى عليه خيبر بناءه [ثانيًا]^(٧) وزاد عليه مثله ولما هاجر عليه الصلاة والسلام فرح بقدومه الشريف أهل

(١) ثبت في أ [الداف].

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥٠٦/٢ - ٥٠٧) من طريق: أبو بكر الإسماعيلي قال سمعت أبا خليفة يقول سمعت ابن عائشة يقول: لما قدم عليه السلام المدينة جعل النساء والصبيان يقلن... وذكره. وانظر/ البداية والنهاية لابن كثير (١٩٥/٢).

(٣) سقط من أ.

(٤) صحيح: أخرجه ابن ماجه في النكاح (٦١٢/١) - الحديث (١٨٩٩) والبيهقي في دلائل النبوة (٥٠٨/٢). وأورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٩٧/٢ - ١٩٨). والسيوطي في الخصائص الكبرى (١٩٠/١).

(٥) أخرج الحافظ البيهقي في الدلائل (٥٠٩/٢) عن عبدالله بن الزبير أنه ثبت - صلى الله عليه وآله وسلم - في العرش اثنتي عشرة ليلة حتى بنى المسجد.

(٦) سقط من أ.

(٧) في أ [ثانية].

المدينة وكان يوم قدومه عندهم أعظم من يوم الزينة وأول كلمة سمعت منه بالمدينة المنورة «أيها الناس أفشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»^(١) ولما بركت ناقته الميمونة عند المسجد الشريف قال هذا المنزل إن شاء الله تعالى اللهم أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين. فقال المحل بلسان الحال:

بقدمكم نزل السرور بساحتي وغدا بها طير الهنا يغرد
ولقد سموت على الديار بقربكم حتى كأنني فوقهن الفرقد
سبحان من بالعز أبدل ذلتي وأنالني منحاً عليها أحسد
إن البقاع إذا نظرت رأيتهما تشقى كما تشقى الرجال وتسعد
و«كان موضع المسجد الشريف حديقة ليتيمين من الأنصار هما أسهل وسهيل وكانا في حجر أسعد بن زرارة.

وقيل: معاذ بن عفراء فاشتره النبي صلى الله تعالى وسلم عليه أو استوهبه وبناه مسجداً وأمر بقطع ما كان فيه من النخيل والفرقد وكانت فيه قبور جاهلية فأمر بها فنبشت وأمر بالعظام فغيبت ولما أخذ في بنائه قال «ابنوا لي عريشاً كعريش أخي موسى ثهامات وخشبات وظلة كظلة أخي موسى والأمر أعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان إذا قام فيه أصاب رأسه السقف.

وكان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يرتجز في عمل المسجد فيقول ولا يستوي من يعمر المساجدا. يداب فيها قائماً وقاعدا. ومن يرى عن الغبار حائرا. فأقيمت فيه سوارى من جذوع النخل ثم طرحت عليها العوارض والخصف والأذخر فعاشوا فيه وأصابتهم الأمطار فجعل المسجد يكف عليهم. فقالوا: يا رسول الله لو امرت بالمسجد فطين. فقال «لا عريش كعريش موسى» فلم يزل كذلك حتى فارق الدنيا صلى الله تعالى وسلم عليه وزاده شرفاً وفضلاً لديه ثم تداولته أيدي الخلفاء والملوك فوسعت فيه وبنته [على]^(٢) مقتضى حال الوقت وتفصيل ذلك مما يطول شرحه وقد تكفلت بأخباره التواريخ أنشدني [العلامة]^(٣) الشيخ إبراهيم بن أبي الحرم [المدني]^(٤) أجازته لنفسه:

(١) أخرجه الترمذي في صفة القيامة (٦٥٢/٤) أحمد في مسنده (٥٢٥/٥) - الحديث - الحديث (٢٤٨٥) وابن ماجه في إقامة الصلاة (٤٢٣/١) - الحديث (١٣٣٤). (٢) سقط من أ. (٣) سقط من ب. (٤) الحديث (٢٦٣٢) واللفظ له. والإمام

من رام يستقصي معالم طيبة ويشاهد المعدوم كالموجود
فعليه باستيفاء تاريخ الوفا تأليف عالم طيبة السمهودي
[وروي]^(١) عنه عليه السلام «لا تشد الرحال»^(٢) إلا^(٣) إلى ثلاثة مساجد. المسجد
الحرام^(٤) ومسجدي هذا والمسجد الأقصى^(٥)»^(٦).

(١) في أ [ورد].

(٢) بضم أوله بلفظ النفي والمراد النهي عن السفر إلى غيرها. قال الطيبي: هو أبلغ من صريح النهي كأنه قال: لا يستقيم أن يقصد بالزيارة إلا هذه البقاع لاختصاصها بما اختصت به، والرحال بالمهمل جمع وصل وهو للبعير كالسرج للفرس، وكنى بشد الرحال عن السفر لأنه لازمه مع مخرج ذكرها مخرج الغالب في ركب المسافر وإلا فلا فرق بين ركوب الرواحل والخيل والبغال والحمير والمشى في المعنى المذكور ويدل عليه قوله في بعض طرقه [إنما يسافر] أخرجه مسلم من طريق عمران بن أبي أنس عن سليمان الأغر عن أبي هريرة. انظر فتح الباري (٧٧/٣).

(٣) الاستثناء مفرغ والتقدير لا تشد الرحال إلى موضع، ولأزمه منع السفر إلى كل موضع غيرها، لأن المستثنى منه في المفرغ مقدر بأعم العام، لكن يمكن أن يكون المراد بالعموم هنا الموضع المخصوص وهو المسجد. انظر فتح الباري (٧٧/٣).

(٤) أي المحرم وهو كقولهم الكتاب بمعنى المكتوب، والمسجد بالخفض على البدلية، ويجوز الدفع على الاستثناء والمراد به جميع الحرم. وقيل: يختص بالموضع الذي يصلى فيه دون البيوت وغيرها من أجزاء الحرم. قال الطبري: ويتأيد بقوله: [مسجد، هذا] لأن الإشارة فيه إلى مسجد الجماعة، فينبغي أن يكون المستثنى كذلك. وقيل: المراد به الكعبة حكاة المحب الطبري وذكر أنه يتأيد بما رواه النسائي بلفظ [إلا الكعبة] قال الحافظ ابن حجر: وفيه نظر لأن الذي عند النسائي [إلا مسجد الكعبة] حتى ولو سقطت لفظة مسجد لكانت مرادة، ويؤيد الأول ما رواه الطيالسي من طريق عطاء أنه قيل له: هذا الفضل في المسجد وحده أو في الحرم؟ قال: بل في الحرم لأنه كله مسجد. انظر/ فتح الباري (٧٧/٣ - ٧٨).

(٥) أي بيت المقدس وهو من إضافة الموصوف إلى الصفة، وقد جوزه الكوفيون واستشهدوا له بقوله تعالى: «وما كنت بجانب الغربي». والبصريون يؤولونه بإضمام المكان أي الذي بجانب المكان الغربي ومسجد المكان الأقصى ونحو ذلك، وسمي الأقصى لبعده عن المسجد الحرام في المسافة. وقيل: في الزمان. قال الحافظ ابن حجر: وفيه نظم لأنه ثبت في الصحيح أن بينهما أربعين سنة. وقال الزمخشري: وسمي الأقصى لأنه لم يكن حيثئذ وراءه مسجد وقيل: لبعده عن الأقدار والخيث. وقيل: هو أقصى بالنسبة إلى مسجد المدينة لأنه بعيد من مكة وبيت المقدس أبعد منه وبيت المقدس عدة أسماء تقرب من العشرين منها إيلياء بالمد والقصر ويحذف الياء الأولى، وعن ابن عباس إدخال الألف واللام على هذا الثالث، وبيت المقدس بسكون القاف، وبفتحها مع التشديد، والقدس بغير ميم مع ضم القاف وسكون الدال =

وعنه عليه الصلاة والسلام «من دخل مسجدني يتعلم خيراً ويعلمه كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله من دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان كالذي يرى ما يعجبه وهو لغيره»^(١).

وعنه عليه الصلاة والسلام «أنا خاتم الأنبياء ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء أحق المساجد أن يزار وتركب إليه الرواحل، صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام»^(٢) كذا في منح الفتاح^(٣).

= وبضمهما أيضاً. وشلم بالمعجمة وتشديد اللام بالمهملة، وشلام بمعجمة، وسلم بفتح المهملة وكسر اللام الخفيفة، وأورى سلم بسكون الواو، وبكسر الراء بعدها تحتانية ساكنة قال الأعشى: وقد طفت للمال آفاقه * دمشق فحمص فأورى سلم. ومن أسمائه كورة، وبيت إيل، وصهيون، ومصروت آخره مثلثة وكورشيل، وبابوس بموحدين ومعجمة وقد تتبع أكثر هذه الأسماء الحسين بن خالويه اللغوي في كتاب [ليس]. وفي هذا الحديث: فضيلة هذه المساجد ومزيتها على غيرها لكونها مساجد الأنبياء، ولأن الأول قبله الناس وإليه حجهم، والثاني كان قبله للأمم السالفة، والثالث أسس على التقوى. انظر / فتح الباري (٧٨/٣).

(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (٧٦/٣) - الحديث (١١٨٩). ومسلم في الحج (١٠١٤/٢) - الحديث (١٣٩٧/٥١١). وأبو داود في المناسك (٢٢٢/٢ - ٢٢٣) - الحديث (٣٠٣٣). والترمذي في أبواب الصلاة (١٤٨/٢) - الحديث (٣٢٦). والنسائي في الكبرى في المساجد (٢٥٨/١) - الحديث (٧٧٩). وابن ماجه في إقامة الصلاة (٤٥٢/١) - الحديث (١٤٠٩). والإمام أحمد في مسنده (٣١٣/٢) - الحديث (٧٢٠٩).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٦٦/١) - الحديث (٨٦٢٤). وابن حبان في صحيحه (ص / ٤٩) - الحديث (٨١) موارد الظمان. والحاكم في المستدرک في العلم (٩١/١) - والطبراني في الكبير (١٧٥/٦) - الحديث (٥٩١١).

(٢) عزاه الحافظ السيوطي للبراز عن عائشة مرفوعاً. انظر/ الدر المنثور (٥٤١٢).

(٣) جاء في الهامش: قال العلامة الخطيب أحمد البري عن شيخه العلامة عبد الرحمن البخاري - رحمهما الله - ما نصه: فالصلاة بمكة وإن كانت أكثر من حيث العدد فهي في المدينة أكثر من حيث المدد المحمدي وقد يزكو العدد القليل لبعض الأسباب على العدد الكثير كصلاة النفل في البيت بالنسبة إلى صلاته في المسجد ولو المسجد الحرام على القول باختصاص المضاعفة به لما فيه من الاتباع، ولئن سلم عدم الزيادة عليها [...] بعد يوجد في المفضول ميزة ليست في الفاضل كما في الصوم، فإن الصلاة أفضل منه على الأصح ومع ذلك يتولى الله جزاءه وذلك يدل على أنه أعظم من جزاء الصلاة، لأنما يتولاه الله تعالى شيء عظيم، وحيث لا دليل في كثرة المضاعفة على أفضلية مكة لخروج الصلاة بدليل خاص لحكمة يعلمها الله تعالى ويعلم بها من يشاء فتفتن. أشار إلى هذا الأخير البرماوي في شرح البخاري له.

وعنه عليه الصلاة والسلام «من خرج على طهر لا يريد إلا للصلاة في مسجدي حتى يصلي فيه كان بمنزلة حجة»^(١).

وعنه عليه السلام «لا تقوم الساعة حتى تقلب على مسجدي هذا الكلاب والذباب والضباع فيمر الرجل ببابه فيريد أن يصلي فيه [فلا]^(٢) يقدر عليه»^(٣) كذا في الدرّة.
وما أحسن ما قال :

السباق السباق قولاً وفعلاً حذر النفس حسرة المسبوق
ومن محاسن المسجد الشريف «القبة الزرقاء» التي من حظي بقربها قضت له
السعادة الأزلية بأن لا يشقى. كيف لا وقد اشتملت على ضريح سلطان الأنبياء وترجمان
الأصفياء فلقد سعدت بها طيبة الطيبة واستنزلت بساكنها من الله تعالى [وشآبيب]^(٤)
رحمته الطيبة.

فيا حسننها والليل مرخى سدوله وقد أشرقت بالنور قبتها الزرقاء
وقالوا يرق العيش فيها على الفتا. فقلت وما أحلاه عيشاً وإن رقا.
ومن محاسن الروضة المطهرة وما اشتملت عليه من الآثار المحمدية.

قال في الجوهر المنظم لم يتحدد عرض الروضة [لاختلاف الروايات]^(٥)
الصحيحة.

قال ابن جماعة والظاهر منها أن جميع مسجده روضة فهي تطلق على أماكن
متفاوتة في الفضل، فأفضلها ما بين القبر والمنبر، ثم ما بين بيوته كلها والمنبر، ثم بقية
المدينة، ثم ما كان خارجها إلى المصلى. انتهى كلام الحافظ ابن حجر رحمة الله تعالى
عليه.

(١) أورده المنذري في الترغيب والترهيب وقال: انفرد بهذه الزيادة يوسف ابن طهمان. قال:
ورواه يوسف بن طهمان عن أبي أمامة عن سهل عن أبيه مرفوعاً. انظر الترغيب والترهيب (٢/١٣٨ - ١٣٩) - (١٧).

(٢) فيـأ [فما].

(٣) لم أجده.

(٤) كلمة غير مقروءة في أ وفي ب هكذا [شآبيب]. قال في القاموس: الشؤبوب: الدفعة من
المطر وحد كل شيء وشدة دفعه، وأول ما يظهر من الحسن، وشدة حر الشمس وطريقتها
جمع شآبيب. انظر/ القاموس المحيط (٨٥/١).

(٥) في أ [لاختلافات الرواية].

وما أحسن ما قال ابن جابر:

إذا قمت فيما بين قبر ومنبر
لقد قمت في دار النعيم بروضة
وقال آخر:

بهجة العين روضة المختار
حرم حل فيه خير إمام
أول العاملين في الخلق لكن
بأذخ الأصل ناسخ الجهل علما
مضرى وأبطحى حسيب
صفوة الحق أشرف الخلق طرًا
يا رسول الإله كن لي شفيعًا
أنت في الأنبياء سلطان شرع
فعليك السلام من عبد ود
وعلى الآل والصحابة جمعًا
تنجلي في مشارق الأنوار
جامع الفضل قبله الأبرار
آخر المرسلين في الإنذار^(١)
راسخ الفضل شامخ في الفخار
قرشي وهاشمي نذاري
نخبة من خلاصة الأخيار
يا شفيع العصاة من حر نار
جئت بالسيف منذر الكفار
ما سرى سر نسمة الأسحار
وعلى التابعين والأنصار

مسئلة: قوله عليه الصلاة والسلام «ما بين حجرتي ومصلاتي روضة من رياض الجنة»^(٢) قيل المراد مصلاه في مسجده وقيل مصلى العيد وهو ما فهمه بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم كذا في الجوهر المنظم.

مسئلة: ما بين المنبر ومقامه الذي كان يصلي فيه أربعة عشر ذراعًا وشبرًا بذراع اليد المعتدلة حكاه ابن حجر.

مسئلة: كان المنبر الشريف من طرفاء الغابة ثلث درجات وذلك في سنة ثمان من الهجرة وعنه عليه الصلاة والسلام «منبري على حوضي»^(٣).

قال الخطابي: معناه من لزم عبادة الله تعالى عنده^(٤) انه يسقى من الحوض يوم القيامة وقال غيره المعنى أن الله تعالى يعيد (هذا المنبر بعينه على حالة فينصبه عند حوضه كما يعيد) الخلائق أجمعين.

^١ وعنه عليه السلام «منبري على ترعة من ترع الجنة»^(٥).

(١) هذا البيت أول القول في ب.

(٢) لم أجده.

(٣) لم أجده.

(٤) سقط من أ.

(٥) لم أجده.

قال ابن سلام في الترعة ثلاثة أقوال :

أحدها : انها الروضة تكون على المكان المرتفع خاصة .

وثانيها : أنها الباب .

وثالثها : أنها الدرجة .

وروى «على رتعة» بتقديم الراء [على التاء]^(١) والترعة بسكون التاء وفتحها الاتساع في الخصب وكل خصب مرتع .

وعنه عليه الصلاة والسلام «لا يحلف أحد عند منبري هذا . [على]^(٢) يمين آئمة ، ولو على سواك أخضر ، إلا تبوأ مقعده من النار أو وجبت له النار»^(٣) .

وفي رواية «من حلف عند منبري هذا يمينًا كاذبًا يستحل بها مال امرء مسلم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً»^(٤) .

فائدة : عن كعب الأحبار ما من يوم وليلة إلا وينزل عند الفجر سبعون ألفًا من الملائكة يحفون بالقبر الشريف ، ويصلون عليه إلى الليل ، ثم ينزل سبعون ألفًا يفعلون كذلك إلى الفجر وهكذا حتى يقوم صلى الله تعالى وسلم عليه من قبره في سبعين ألفًا يزفونه والمراد أنهم يصلون صلاة مخصوصة وإلا فجميع الملائكة يصلون عليه كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وقد صح في الحديث أن الملائكة تسعة أعشار الخلق^(٥) .

فائدة : في عشر الستين وسبعمائة اشترى السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر قرية من بيت مال المسلمين بمصر . ووقفها على كسوة الكعبة المشرفة في كل سنة وعلى كسوة الحجرة المعطرة في كل خمس سنين مرة بالحريرة الأخضر والأبيض . مكتوبًا فيها الشهادتان على رسم الدلالات . وأسماء الخلفاء ومن محاسن آل عثمان خلد الله تعالى دولتهم أنه إذا ولى أحدهم الملك . كسى الحجرة المعطرة بكسوة أخرى بالحرير الملون والوضع البديع وفي أيام^(٦) المرحوم السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان ، كسيت مرتين ، وإذا وصلت الكسوة الجديدة قسمت تلك الكسوة القديمة . على خدام الحرم الشريف .

* انظر / القاموس المحيط للفيروزآبادي (٣) /

(٢٧) .

(٥) لم أجده .

(٦) سقط من ب .

(١) سقط من أ .

(٢) سقط من أ .

(٣) لم أجده .

(٤) لم أجده .

تتمة^(١): بيع كسوة الضريح النبوي. إذا صارت مخلوقة وجددت ونقلها جائز بناء على [أن]^(٢) ذلك موقوف على إذن السلطان. حتى يظهر ما ينافيه وإنما الخلاف في كسوة الكعبة. بناء على شرط الواقف. كذا في كتاب زهد البساتين. وهذا بالنظر إلى الكسوة العثمانية ولا بأس بإخراج تراب الحجرة المعطرة. [وتراب]^(٣) المسجد الشريف. وأثارة للمتبرك. وقال في شرح لباب المناسك لا بأس بإخراج تراب الحرم وأحجاره وأشجاره اليابسة وإلا ذخر مطلقاً وماء زمزم للتبرك به إجماعاً زاد في الكبير وتراب البيت للتبرك به لكنه [داخل]^(٤) في عموم [ما سبق]^(٥) وهذا في القدر اليسير الذي لا يؤدي إلى التعمق في الحفر قاله الملاء على القاريء تميم رحمه الله تعالى^(٦).

قال السبكي في كتابه تنزل السكينة على قناديل المدينة اختلفوا إذا وسع المسجد عما كان عليه في زمنه صلى الله وسلم عليه هل تثبت الفضيلة أم لا. أم تختص بالقدر الذي كان في زمنه وممن رأى الاختصاص الإمام النووي ورأى جماعة عدم الاختصاص كما في مسجد مكة وقد ثبت أن مسجده كان سبعون ذراعاً في ستين وأما تعليق القناديل في الحجرة المعطرة وجعلها لها ملكاً أو وقفاً أو نذراً أو هبة فلا يجوز التهاون به. وإن لم يكن تعليقها في الأول واجباً ولا مندوباً فقد صار شعاراً يحصل بإزالته نقص. فيجب إدامتها [مع]^(٧) إبقائها على الملك.

ومن محاسن المسجد الشريف محرابه صلى الله تعالى وسلم عليه وشرف وكرم. فإن الوقوف بهذه المواقع الجليلة من أعظم النعم الجميلة وأي فضيلة أعظم من الوقوف بذلك الموقف الشريف والتعليق بأنوار ذلك المقام المنيف أنشدني بمصر المحروسة سنة اثنتين وأربعين وألف. السيد الشريف القاضي محمد الحجازي إجازة لنفسه.

وما أجود ما قال:

إذا رمت جالها الق ظهرك يا فتى لظهر سما في الناس وهو رحاب
أما تنظر المحراب لولا استناده إلى البيت لم تخضع إليه رقاب
فائدة: ابتداء الإمام الحنفي بعد الستين وثمانمائة ومحرابه نهاية زيادة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ومن محاسن المسجد الشريف باب الوفود المبلغ قاصد

-
- | | |
|------------------|---------------------|
| (١) سقط من أ. | (٥) سقط من ب. |
| (٢) سقط من أ. | (٦) سقط من أ. |
| (٣) سقط من أ. | (٧) ثبت في أ [على]. |
| (٤) في ب [أدخل]. | |

تلك العتبة العلية المقصود فإنه الباب الذي لا يشقى وافده والمورد العذب^(١) الذي لا يظماً وارده .

قيل : ومن خواصه أن من أصيب بنائبة واستند إليه فرج الله تعالى كربه وهون صعبه وإن خلا عن الاستعداد ولم تكن فيه قابلية الاستعداد .

وما أحلى ما قال :

وباب إذا أمه وافد رآه من الغيث [أدنى]^(٢) واندا
له الفتحة دأب ومن شأنه يرد وقاصده لن يردا

ومن محاسن^(٣) المسجد الشريف الباذننج اللطيف فإنه ينزل منه الهواء الرطب خصوصاً في الأيام الحارة فيحصل به رفق بالمحدورين بل ويستغنى به عن نسيمات البساتين وهو في ثلاثة مواضع من المسجد الشريف وعليه فما أحسن ما قال :

يا طيبة نفحة باذننج لم يزل بهوائه لنفوسنا تنفيس
معرى بجذب الريح من آفاقه فكأنه للريح مغناطيس

ومن محاسن^(٤) المسجد الشريف صحنه فإن الجالس فيه أحسن حالاً منه في البساتين مع ما اختص به من مشاهدة الحجرة المعطرة والقبة الشريفة إلى غير ذلك من الفضائل التي لا تحصى والنوافل التي لا تستقصى وفي الصحن نخلة مرصعة حولها درابزين من خشب مربع الشكل وهي من بقايا نخلات كانت هناك قيل كانت بصحن المسجد نخيل مغروسة نحو خمسة عشر .

قال المجد اللغوي : وفي أيام عزيز الدولة ، شيخ الخدام غرس كثير من هذا النخل الذي بالمسجد اليوم وكأنه لم يتعرض أحد لهذه البدعة كذا في المغانم وفي كتاب زهر البساتين فإن قيل كيف ساغ غرس النخل في المسجد وهو من البدع المنهى عنها الجواب ان المسئلة مختلف فيها فمنهم من [كرهه]^(٥) ومنهم من [منع]^(٦) ومنهم من أباح ولا يسوغ الانكار إلا في مسائل الإجماع . وأما حكم ثمرتها فإنها مباحة لجميع المسلمين كالنابت في المقبرة والبيدا وحججة الطريق تتميم في ذكر أبار النبي صلى الله

(٤) في ب [هنالك] .

(٥) في أ [ذكره] .

(٦) في أ [منعه] .

(١) سقط من ب .

(٢) في أ [أدب] .

(٣) غير ظاهرة في أ .

تعالى وسلم عليه وهي كثيرة الا ان المشهور منها سبع وفي ذلك يقول أبو اليمان المراغي:

[وما أجل ما قال]^(١)

إذا رمت آبار النبي بطيبة فعدتها سبع مقالا بلا وهن

«إريس وغرس رومة وبضاعة، كذا بصة قل بئر صاء مع العهن بئر إريس كأنيس وتعرف ببئر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. سقط خاتمه الشريف من يد عثمان. رضي الله عنه. في أيام خلافته. فنزحت فلم يوجد. وعندها حدائق ذات بهجة وماؤها أعذب ماء هنالك وهي^(٢) في غرب مسجد قباء طولها أربعة وعشرون ذراعاً وشبراً. منها ذراعان ونصف في الماء وعرضها خمسة أذرع وطول قفها الذي جلس عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة أذرع وعند البئر اطم عال خراب. يعرف بالحصن. كذا في الجوهر المنظم.

قلت: وقد تجد ذنباء البئر بعد ذلك مرات. وزيل في علو السقف وجعل في قبلي البئر مسجد لطيف. والحصن اليوم مسكن. فلاح البئر المذكورة بئر غرس بفتح أوله ويروي بالضم. جاءها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فدعا بدلو من مائها^(٣)، فتوضىء منه ثم سكبها فيها^(٤)، فما ترفت بعد ذلك. ورأى أنه أصبح على بئر من آبار الجنة، فأصبح على غرس. فتوضاً منها، وبصق فيها^(٥)، وأهدى له غسل فصبه فيها، وهذه البئر بينها وبين مسجد قباء من جهة المشرق نحو نصف ميل. وعند ركنها الشرقي القبلي الحديقة المغلقة. طول بئرها سبعة أذرع وعرضها عشرة أذرع والماء ذراعان. كذا في الدرة الثمينة. ومجال البئر قبلي واشتهر عند أهل الفلاح أن المجاز الشامي أوفق بالصنعة وسره الانحدار الطبيعي ومساعدة الهوى.

وفي الجوهر المنظم ورد يا علي إذا أنا مت فاغسلني من بئر غرس بسبع قرب لم

(١) سقط من أ.
(٢) في أ [فهى].
(٣) في ب [ماء].
(٤) قال ابن شبة: وحَدَّثنا عن ابن أبي يحيى،
عن... أن النبي ﷺ توضأ من بئر (٥) لم أجده.

الأغرس، وأهراق بقيّة وضوئه فيها. انظر تاريخ المدينة المنورة لابن شبة، قيد الطبع بتحقيقنا ١٦١ / ١ (ما جاء في البئر التي كان يُستقى منها).

تحلل أوكيته فغسل^(١) منها كما أمر وكانت خرابًا فجددت [بعد السبعمئة]^(٢). ولها درجة من داخل الحديقة ويقربها مسجد ولها درجة أخرى من خارج الحديقة عمرت عام اثنين وثمانين وثمانماية وكانت عليها حديقة غناء فصارت بورًا كأن لم تكن.

وما أوقع ما قال^(٣):

[بنى]^(٤) الدنيا أقلوا الهم فيها فما فيها يؤل إلى الفوات
بناء للخراب وجمع مال ليغنى والتولد للممات

وبئر رومة بالضم في غربي المدينة بعيدة منها وهي في تراح واسع من الأرض وطي. وعندها بناء من حجارة عظيمة كان ديرًا ليهودية طولها ثمانية عشر ذراعًا وعرضها ثمانية أذرع وماؤها حلو صاف طيب. ورد (نعم القليب قليب المزني)^(٥). وكانت ليهودي يبيع ماءها للمسلمين فقال عليه السلام من يشتري رومة فيتصدق بها فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله فيها شرب في الجنة^(٦). فسأوم عثمان رضي الله عنه اليهودي فأبى عن بيع كلها فاشترى منه نصفها باثني عشر ألف درهم فجعله للمسلمين وصار لكل يوم فكان المسلمون يستقون^(٧) في يوم عثمان ما يكفيهم يومين. فقال اليهودي: أفسدت على [تركّن]^(٨) فاشترى النصف الثاني بثمانية آلاف درهم

(١) قال ابن شبة: حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن أبي جعفر: أن النبي ﷺ غُسل من بئر سعد بن خَيْفَةَ، بئر يقال لها العَرَس بَقَاء، كان يشرب منها. انظر تاريخ المدينة لابن شبة، قيد الطبع بتحقيقنا ١٦٢/١ (ما جاء في البئر التي كان يستقى منها).

(٢) سقط من ب.

(٣) سقط من ب.

(٤) في ب [بنو].

(٥) قال ابن شبة: قال محمد بن يحيى، وأخبرني غير واحد من أهل البلد: أن النبي ﷺ قال: نعم القليب قليب المزني. انظر تاريخ المدينة لابن شبة، قيد الطبع بتحقيقنا ١٥٤/١ (ذكر بئر رومة، وهو في العقيق) تنبيه: ثبت في أ، ب، بدل [المزني] قوله [الموتى] وهو تصحيف طالب العلم/ محمد فارس.

(٦) قال ابن شبة: قال محمد، وحُدِّث عن الوقاص، عن الزهري: أن النبي ﷺ قال: من يشتري رُومَةَ يَشْرَب رُومًا في الجنة، فاشترها عثمان رضي الله عنه من ماله فتصدق بها. انظر تاريخ المدينة لابن شبة قيد الطبع بتحقيقنا ١٥٤/١ (ذكر بئر رومة، وهي في العقيق).

(٧) في ب [يستقون].

(٨) ثبت في ب [ركيتي].

واستقل بها المسلمون، وحول هذه البئر آبار طيبة الماء عجيبة الوضع والبناء بحيث يزعم الناظر إليها أنها من وضع الجنة لغرابة أمرها.

[وما ألطف ما قال^(١)]:

وقد كان أرباب الفصاحة كلما رأوا عجباً عدوه من صنعة الجنة

بئر بضاعة بموحدة مضمومة وتكسر فمعجمة وقيل مهملة وهي في شمال المدينة. صح أنه قيل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه يستقي لك من بئر بضاعة وهي بئر تلقى فيها [لحوم] الكلاب؛ والمحائض فقال: إن الماء طهور لا ينجسه شيء^(٢)، وفي ذلك كما لا يخفى رخصة عظيمة ونعمة جسيمة وصح أنه عليه السلام «بصق فيها وتوضأ من دلو منها ورده إليها ودعا لها»^(٣) وكان المريض يغتسل منها فيبرأ. يكون الماء فيها على قدر ذراعيه وعرضها ستة أذرع وطولها أحد عشر ذراعاً وشبراً وهذه البئر في بستان وماؤها عذب طيب لونه صاف أبيض طيب الرائحة. كذا في الدرّة.

قلت: وعندها اليوم مسجد لطيف وأما البستان فقد صار من أنضر الحدائق وأحسنها.

وللنجم من بعد الهبوط استقامة وللدهر أياماً تجور وتعديل

بئر البصة: بموحدة مضمومة فمهملة مخففة.

وقيل: مشددة من بص الماء رشح. والأول من وبص كوعد إذا بلغ.

خرج إليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغسل رأسه منها بالسدر يوم الجمعة

(١) سقط من أ.

(٢) رواه أبو داود والطبراني وقال ابن شبة: حدثنا هارون بن معروف قال: حدثنا محمد بن سلمة الحراني، عن ابن إسحاق، عن سليل بن أيوب، عن عبد الرحمن بن رافع الأنصاري، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقال له: يا رسول الله، إنه يُسْتَقَى لك من بئر بضاعة، وهي تلقى فيها لحوم الكلاب والمحائض وعُذِر النساء. فقال رسول الله ﷺ: إن الماء طهور لا يُنَجِّسه شيء. انظر تاريخ المدينة لابن شبة قيد الطبع بتحقيقنا ١٥٦/١ ج ١٥٧ (ما جاء في البئر التي كان يُسْتَقَى منها).

(٣) قال ابن شبة: حدثنا محمد بن يحيى عن ابن أبي يحيى، عن يحيى بن عبد الله بن يسار عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ بصق في بضاعة. وقال: حَدَّثَنَا عن ابن أبي يحيى عن أبيه عن أمه، أنها سمعت سهل بن سعد رضي الله عنه يقول: سقيت النبي ﷺ بيدي من بضاعة. انظر تاريخ المدينة لابن شبة قيد الطبع بتحقيقنا ١٥٧/١.

وصب غسالة رأسه وفراقة شعره فيها^(١)، وهي قرية من البقيع على يسار الطريق السالكة إلى قباء في حديقة موقوفة على الفقراء وهي ما بين النخيل، وقد هدمها السيل [وطمها]^(٢) ثم غمرت والماء فيها أخضر وإذا انفصل منها فهو أبيض طولها أحد عشر ذراعاً منها ذراعان في الماء وعرضها تسعة أذرع وهي مبنية بالحجارة حلوة الماء طيبة، وفي الحديقة بئر أخرى في قبلتها أصغر منها رجح بعضهم الكبرى واختار بعضهم الصغرى.

بئر حاء: قال المجد: هي بئر قريبة الرشا ضيقة القنا طيبة الماء وقد أفرد لها بعضهم مصنعاً وفي الدرة الثمينة: في الصحيح من حديث أنس ابن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالاً من نخل وكانت أحب أمواله إليه بئر صاء وكانت مستقبلية المسجد، وكان عليه السلام يدخلها ويشرب من مائها^(٣) فلما نزل قوله تعالى ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] أتى أبو طلحة إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله إن الله تعالى يقول: «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ وَأَنَا أَحِبُّ أَمْوَالِي إِلَى بَيْرِ صَاء وَإِنِهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بَرَهَا وَذَخَرَهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَخْ ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ^(٤). وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين. فقال أبو طلحة: افعل. فقسمها في أقاربه وبني عمه.

قال في الوفا: وكان منهم أبي بن كعب، وحسان بن ثابت فباع حسان حصته من معاوية بن أبي سفيان فقبل له تباع صدقة أبي طلحة فقال ألا أبيع صاعاً من تمر بصاع من دراهم.

قال الحافظ ابن حجر: وبيع حسان لخصته من معاوية دليل على أن أبا طلحة

(١) لم أجده.

(٢) ثبت في أ [وطمها].

(٣) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ٢٨٩/٣. وقال ابن شبة: حدثنا عبد الله بن نافع بن ثابت قال: حدثني مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة، رضي الله عنه أكثر أنصاري بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بئر، وكانت مستقبلية المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. فتصدق بها أبو طلحة رضي الله عنه. انظر تاريخ المدينة لابن شبة قيد الطبع بتحقيقنا ١٥٧/١ (ما جاء في البئر التي كان يُسْتَقَى منها).

(٤) أخرجه البخاري في الزكاة ٣٨١/٣ الحديث ١٤٦١. وأخرجه مسلم في الزكاة ٢/٦٩٣ الحديث ٤٢/٩٩٨. والدارمي في السنن ١/٤٧٧ الحديث ١٦٥٥. والإمام أحمد في مسنده ١٧٤/٣ الحديث ١٢٤٤٧.

ملكهم الحديقة المذكورة. ولم يقفها عليهم، ويحتمل أن وقفها، وشرط أن من احتاج إلى بيع حصته جاز له كما قال بجوازه على وغيره.

قال في الوفا: قلت: وقد اشترط ذلك [علي] ^(١) في صدقته. كما [حكاه] ^(٢) ابن شبة عن نسخه كتاب الصدقة.

وقد اختلف الناس في ضبطه:

فقال صاحب النهاية: بثرحا يفتح الباء وكسرهما ويفتح الراء وضمهما وبالمد فيهما ويفتحهما والقصر.

وقال الزمخشري بيرحا فيعلى [من البراح] ^(٣) وهي الأرض المنكشفة الظاهرة وقيل هي على الإضافة. وحا اسم رجل أو قبيلة فينون أو هو مقصور وهذه البئر اليوم في وسط حديقة صغيرة قريبة من البقيع ومن سور المدينة على طريق سالكة طولها عشرون ذراعاً منها أحد عشر في الماء وعرضها ثلاثة أذرع وشبر وهي في مقابلة المسجد النبوي من جانب الشمال.

بئر العهن: بئر بالعالية مليحة منقورة في الجبل لا تكاد تنزف وتسمى اليسيرة ^(٤) برك عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتوضاً منها وبصق فيها ^(٥) وكانت للأنصار وهي اليوم لآل شدقم من بني حسين أشراف المدينة. عليها حديقة غناء وفيها روضة حسناء.

وقد اختلف في السابعة من الآبار: فقليل: هي العهن وهو المشهور عند أهل المدينة.

وقيل بئر السقيا ^(٦).

(١) سقط من ب.

(٢) في ب [رواه].

(٣) سقط من ب.

(٤) في ب [الكبيرة].

(٥) قال ابن شبة: وحَدَّثَنَا عن ابن أبي يحيى، عن محمد بن حارثة الأنصاري، عن أبيه، أن النبي ﷺ سَمَّى بئر بني أمية من الأنصار (الْيَسِيرَةَ)، وَبَرَّكَ عَلَيْهَا، وَتَوَضَّأَ وَبَصَقَ فِيهَا. انظر تاريخ المدينة لابن شبة قيد الطبع بتحقيقنا ١/١٦١.

(٦) قال ابن شبة: حَدَّثَنَا سعيد بن سليمان وهارون بن معروف، قالا: حَدَّثَنَا عبد العزيز بن محمد، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كَانَ يُسْتَقَى لَهُ الْمَاءُ الْعَذْبُ مِنْ بئر السَّقْيَا. انظر تاريخ المدينة لابن شبة قيد الطبع بتحقيقنا ١/١٥٨.

[وقيل بئر جمل]^(١) ولا تعرف جهتها فضلاً عن عينها.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال في مرضه صبوا علي من سبع قرب من آبار شتى^(٢)، ولا دلالة في الحديث على إرادة هذه الآبار المذكورة.

ذكر عن^(٣) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال في الدرة لما كانت أيام الخندق وكانوا يخرجون مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويخافون البيات فيدخلون كهف بني حرام وهو في غربي جبل سلع^(٤) تجاه الحديقة النقيبية فبات فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى إذا أصبح هبط ونفر العيينة التي عند الكهف وتوضأ منها^(٥).

(١) سقط من ب.

(٢) أخرجه الدارمي في السنن ٥١/١ الحديث ٨١. والإمام أحمد في مسنده ١٦٩/٦ الحديث ٢٥٢٣٣. والهيثم في مجمع الزوائد ٤٥/٩.

(٣) في ب [عين].

(٤) سقط من ب.

(٥) قال ابن شبة: وحَدَّثَنَا عن ابن أبي يحيى عن طلحة بن خدّاش عن عبد الرحمن ومحمد ابني جابر عن عبد الملك بن جابر عن عبد الملك بن جابر بن عتيك، وسعد ابن معاذ: أن النبي ﷺ توضأ من العَيْنِيَّة التي عند كهف بني حرام. قال: وسمعتُ بعض مشيختنا يقول: قد دخل النبي ﷺ ذلك الكهف. انظر تاريخ المدينة لابن شبة قيد الطبع بتحقيقنا ١٦٠/١.

ذكر نسب سيدنا ومولانا رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

قال قائلهم:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم
[وإلى ههنا اتفقوا واختلفوا فيما وراء ذلك]^(١) خاتمة.

قال بعضهم هذا النسب الشريف يكتب لكل شيء لأنه اشتمل على حروف الاسم الأعظم وقد جرب في مهمات كثيرة وما زال السلف يحفظون ويأمرون أولادهم بحفظه والتبرك به. وما أحسن ما قال:

فهات لي ذكر من أحب وخلي
لا أبالي ولو أصاب فؤادي
كل من في الوجود يرمي بسهمه
أنه لا يضر شيء مع اسمه
باب: فيما اشتمل عليه سور المدينة السنية^(٢) وذكر بعض منافذها العذبة الهنية:

بشراك يا ساكن المنازل
تشاهد المصطفى دواما
بمنزل ماله مماثل
من حيث لا مانع وحائل
فالفضل بالشكر غير زائل
فاشكر لمولاك [كل]^(٣) حين
وما أصدق ما قال:

إذا كنت [في]^(٤) طيبة ساكنا
وكنت بعيداً من المسجد

(٣) سقط من ب.

(٤) سقط من ب.

(١) سقط من ب.

(٢) في ب [العية].

فإن فضيلة من قد دنت به داره منه لم تجحد

قيل لم يكن في المدينة المنورة سور في الزمن القديم وأول من بنى بها سورًا بعد خراب أطرافها عضد الدولة وذلك بعد الستين وثلاثمائة في خلافة الطائع بن المطيع^(١) قال المجد اللغوي في المغانم وكان مصلى العيد داخل الباب ويروى أن اسحق بن محمد الجعدي بنى سور المدينة سنة مائتين وثلاثة وستين وجعل فيها أربعة أبواب ويحكى عن القاضي سنان الحسيني^(٢) أنه كان يقول في الخطبة على المنبر اللهم صن من صان حريم بيتك بالسور محمد بن علي بن منصور.

تتميم في أيام الشريف أبي نمي محمد بن بركات شريف مكة المشرفة استولى على الديار المصرية ملك الروم السلطان الأعظم سليم عليه الرحمة والرضوان فجهز إليهما قاصدًا بالاستمرار والاستقرار والاستيلاء على [أقطار]^(٣) تلك الديار. [ومن أحسن ما قال]^(٤):

فلا عد منهم نعمة خلقت لهم ودنيا بهم فيها الحياة تطيب فكان السلطان سليم عليه الرحمة هو أول من ملك الحرمين من آل عثمان وذلك في سنة تسع وعشرين وتسعمائة.

ومن محاسن السلطان سليم قوله على ما حكاه عنه القطب الحنفي في كتابه الاعلام:

الملك لله من يظفر بنيل غنى^(٥) يتركه^(٦) قسرًا ويضمن بعده الدركا لو كان لي أو لغيري قدر أنملة فوق التراب لكان الأمر مشتركاً وفي أيام ابنه السلطان «سليمان» عليه الرحمة والرضوان كان بناء سور المدينة المنورة اليوم. وذلك في سنة تسعمائة وتسعة وثلاثين وبنى على أساس السور القديم في سبع سنوات لتعطيل العمارة في خلال المدة. وكان تمامه في سنة^(٧) تسعمائة وست وأربعين ودائر السور بذراع العمل ثلاثة آلاف واثنان وسبعون وقيل هو ما بين الأبراج والتجويف. أربعة آلاف والمتصرف^(٨) عليه مائة ألف دينار وكتب على الباب الغربي إنه

(١) في ب [المشبع].
(٢) سقط من ب.
(٣) سقط من أ.
(٤) في ب [منى].
(٥) في ب [ينزله].
(٦) في ب [نملة].
(٧) سقط من ب.
(٨) في ب [المصرف].

من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم وقد حصل والله المنة . بهذا السور لأهل المدينة المنورة . كمال ميسرة الأمان . على اختلاف حال الزمان .

يا من لهم في مهجتي والحشا منازل تزهو ببنيان
قلبي لكم سور بديع البنا كأنه السور السليمانى

ومن محاسن المدينة: بل من رحمة الله تعالى وعنايته بها [كونها]^(١) في ولاية صاحب الوقت والزمان . ومصاحب العزة والأمان الهمام الذي إذا نسب إلى النفوس كان العاشر من [البشر أو إلى]^(٢) العقول فهو الحادي عشر .

شمس سماء الخلافة . وقمرها في الليل البهيم . ظل الله تعالى في أرضه . القائم بإحياء سنته وفرضه . ودينه القويم محجة الله الواضحة . ودلالته الناصحة للخالق على التعميم . أمين الله تعالى على خلقه . وخليفته القائم بحقه بتقدير العزيز العليم . الجامع بين شجاعة الليث . وسماحة الغيث . والخلق العظيم . خادم الحرمين الشريفين . سلطان الروم واليمن والعراقين . واسطة عقد آل عثمان السلطان بن السلطان الملك المظفر المنصور المعان المؤيد بالتوفيق والسداد . مولانا السلطان مراد خلد الله تعالى ملكه على تعاقب الآباد . وجعل الممالك في ملكه . وملك عقبه إلى يوم التناد . ولا برحت أيام اقباله مسفرة ووجوه الأنام بتحقيق المرام في أيامه مستبشرة . والله تعالى يجعل صدقاته الشريفة تشفى من داء الحرمان بكل فائدة . وصلاته المنيفة لكل من ضعف عن الوصول إلى استحقاقه عائدة . ما دامت الأيدي بالدعاء له مرفوعة . وقلوب أهل الإيمان على محبته مجموعة .

أجدد عهدي بالدعاء لدولة قديما أمرتني ودام له حمدي
وأحمد عودي بعد بدئي مثنيًا على فضلها فيما أسر وما أبدى

ومن محاسنها بل من محاسن الدهر: تعلق أمورها وأحكامها بصاحب القبلة المرضية . حامى بلد الله الأمين . وبلد جده سيد المرسلين . السيد الشريف . السند المنيف . ناصر الشريعة القويمة سالك المسالك المستقيمة [نور حدقة النبوة والرسالة]^(٣) . نور حديقة الفتوة والبسالة المختص من الله تعالى بعزله العواطف وجميل المنن مولانا السيد زيد بن محسن بن حسين بن حسن زاد الله في شأنه عزة^(٤) ومكانة

(٣) سقط من ب .

(٤) في ب [عزاً] .

(١) سقط من أ .

(٢) هكذا ثبت في الأصل .

[وجعل فوق مكان^(١) أعدائه مكانه ولا برحت ألوية مجده بريح السعادة خافقة. والسنة الأقسام على مدى الأيام بمدائح ناطقة. فلقد طابت بشمائله الشابتة ونوافله الفايقة. طيبة الطيبة. وما حولها من البقاع. وشفى بالأمن من هو بها من الرعايا وسائر الأتباع وأصبح أهلها بحمد الله تعالى يرفلون بوجوده وجوده في حلل الوفا وحلل الصفا. ويتنقلون من مكارمه بعد التتميم والتكميل إلى الاكتفاء.

لوائح وفوائح ولما كانت محبة آل البيت النبوي من أسنى المطالب لا سيما وقد قال الله تعالى في كتابه المحكم ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى﴾ [الشورى: ٢٣] وإذا الأنام توسلت بوسيلة. فوسيلتي حبي لآل محمد. حتى قال أهل التحقيق: أن خواص العلماء يجدون في قلوبهم مزية تامة لمحبهته صلى الله تعالى وسلم عليه ثم محبة [ذريته]^(٢) لعلمهم باصطفاء نطفهم الكريمة وتطهيرهم بمحض فضل الله تعالى من الأوصاف الذميمة وينظرون إليهم اليوم. نظرهم إلى آبائهم. بالأمس [ولو رأوهم]^(٣) ويغضون على انتقادهم. ويزيدون في ودادهم. ويكفون أمرهم إلى بارئهم. كما قال:

[لأحمد أهواكم وأرعى وداكم وحق لآل المصطفى عندي الود]^(٤)
فما كان منكم من جميل فإنكم متابعة والفرع عن أصله يبدو
وما خالف المعروف في ظاهر فقد تولاه رب يرحم العبد إذ يغدو
لاق وراق التنبيه على ذلك، فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

قال مولانا السيد شيخ باعلوي في ديباجة كتابه العقد النبوي: الحمد لله الذي اختص أهل البيت المطهرين من الأرجاس والأدناس المتميزين على من سواهم من الناس. بكل فضل وكرم وباس بخصائص تنقطع دونها أعناق مطامع أهل الالتباس. ومزايا لا يشق لها غبار ولا يحلق لها آثار. عند توجهها إلى الغايات [واشتياقها]^(٥) في جلبة الكمالات حتى وقف من سواهم عن التطاول إلى شيء من معاليهم وقامت القواطع بأنهم الواصلون إلى غاية الآمال حتى مواليهم فمن ذلك ما أشار إليه مشرفهم صلى الله تعالى عليه وسلم بقربهم مع القرآن في وجوب التمسك بهما وانهما لا يفترقان وكتوقف صحة الصلاة على الصلاة عليهم. عند جمع من العلماء الأعيان وكونهم كسفينة نوح عليه السلام من ركبها نجا. ومن تخلف عنها هلك. فالحذر [الحذر]^(٦) أن تكون ممن

(١) في ب [قوت]. (٣) في أ [ولو رأفهم]. (٥) في أ [واشتياقها].
(٢) في ب [ذريتهم]. (٤) سقط من ب. (٦) سقط من ب.

في هذه الداهية الدهيا قد [ارتبك]^(١) وكقوله تعالى ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] الدالة على شرف لا تبلغ غايته الأفهام وكقوله ﷺ: كل سب ونسب وحسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وحسبي^(٢).

وكقوله «إن لكل نبي أب عصة ينتمون إليها إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم وهي عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين بفضلهم. من أحبهم أحبه الله، ومن بغضهم^(٣) بغضه الله»^(٤).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. شهادة أنتظم بها في سلك محبتهم. وأحشر بها معهم في زمرتهم. لا من أحب قوماً فهو معهم وإن لم يعمل بعملهم كما قاله الصادق مشيراً إلى تعازمهم وتعاليتهم وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وحييه وصفيه وخليته. الذي فضله الله على سائر مخلوقاته صلى الله وسلم عليه. وعلى آله الذين حباهم بقربه الأعظم. ونسبه الأشرف الأكرم. وأتحفهم بما من تجبر جهته لا بعلم. وهو ما فيهم من البضعة الكريمة. والدرة الجوهرة اليتيمة^(٥) وعلى أصحابه الذين نقلوا إلينا سنته. وعلى التابعين وتابعيهم من يذكروهم ينزل الله تعالى رحمته. إلى أن قال: ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا في الدار الآخرة فإنهم يحشرون مطهرين. مغفوراً لهم.

وأنشد للقيراطي:

شرف الله طيبة بنبي منه طابت عناصر الشرفاء
حاز فضلاً أبائهم وبنوهم فهو فخر الآباء والأبناء
ثم قال: وللوسائل حكم المقاصد. ومن هنا قالوا: الوسائل في المعنى هي الوسائل للوصول إلى المطالب وهي الشفاعة.

(١) في ب [ارتكب].

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/٤٠٥ الحديث ١٨٩٥٤. والهيتمي في مجمع الزوائد ٩/٢٠٦ وعزاه للطبراني وقال: فيه أم بكر بنت المسور ولم يجرحها أحد ولو يوثقها، وبقية رجاله وثقوا.

(٣) في ب [بغضهم].

(٤) في ب [الثمينة].

(٥) رواه ابن ماجه في المقدمة ٥١/١ الحديث ١٤٣ مختصراً. والطبراني في الكبير ٣/٤٨ الحديث ٢٦٤٧ - والحاكم في المستدرک ٣/١٥٢ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

كما قال :

على الله في كل الأمور توكلني وبالخمس أصحاب العبا توسلي
محمد المبعوث وابنيه بعده وفاطمة الزهراء والمرضى علي
وقال العلامة ابن حجر: من خطبة^(١) عقد نكاح: ابنته على الإمام عبد الله بن عبد
المعطي الطبري. بعد ذكر الأئمة الطبرية. وكيف لا وهم من خلاصة^(٢) الجرثومة
الهاشمية. وعصابة التنزلات المصطفوية والعشرة الطاهرة من كل دنس تطهيرًا أي
تطهير.

والمفروض محبتهم ومودتهم على كل جليل وحقير.

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر^(٣) أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له
والمقرونين بالقرآن الكريم^(٤) في أمن العالم بهما ما داما باقين من كل خطب
جسيم ومدلهم بهيم والمخصوصين^(٥) لما فيهم من البضعة الكريمة والدرة اليتيمة التي لا
يوازي شرفها شرف ولا يلحق رفيع شأوهما سلف ولا خلف بأنهم الأعزة في كل زمن
والمقروع لهم عند ترادف الفتن وتكاثف المحن.

[وما أَلطف ما قال]*:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف^(٦) من الطراز الأول
حقق الله تعالى لنا بآل نبيه وصلة المحبة التي طبعنا عليها وأعرضنا عن كل فخامة
تقطع عنها نظرًا إليها إذ لا فخامة إلا منهم ولا زعامة إلا عنهم ومن ثم قال عمر للحسن
رضي الله تعالى عنهما اعتذارًا إليه واعترافًا بالحق الواجب عليه والله ما أنبت الشعر على
رؤوسنا بعد الله إلا أنتم وقال للحسين وقد قال له وهو صغير أنزل عن منبر أبي والله إنه
لمنبر أبيك وما أنبت الشعر على رؤوسنا إلا أبوك فرضي الله تعالى عنه إذ أقر المجد في
نصابه وردّه إلى إهابه وجعلنا ممن أعطى كل ذي حق ما تستحقه مرتبته وتستدعيه منقبته
إلى أن قال صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله المطهرين به [من]^(٧) من كل دنس
وعيب الآمنين بباهر جاهه من كل ريب الوارد فيهم ان فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله

(٥) في ب [المخصوص].

(٦) في ب [الأنوف].

(٧) سقط من ب.

* سقط من أ.

(١) في أ [خطبته].

(٢) في ب [خلوصه].

(٣) في ب [قدركم].

(٤) في ب [العظيم].

وذريتها على النار^(١) لكن لا ينبغي للشریف أن يقع منه بذلك اغترار فقد قال محمد الجواد وأبوه علي رضي وجد جده زين العابدين وهؤلاء من أكابر أهل البيت الطاهرين المطهرين إن ذلك الحديث خاص بأولاد فاطمة رضي الله تعالى عنها من غير واسطة وكأنهم نظروا لما في حديث آخر مع عدم النظر لتلك الرابطة وهو «يا فاطمة بنت محمد ويا صفية بنت عبد المطلب ويا عباس عم رسول الله صلى الله وسلم عليه يا بني هاشم يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله، قوا أنفسكم من [النار]^(٢) لا أغني عنكم من الله شيئاً»^(٣) [وفيه ما فيه]^(٤) إذ فاطمة رضي الله تعالى عنها مذكورة في الحديثين فتعين أن الأول فيه النظر لمظهر الفضل والجمال والثاني فيه النظر لمظهر العدل والجلال وقال [في الفتاوى]^(٥) المتفرقة ولا يغض عن ذات الشریف بل عن الوصف المذموم مع اعتقاد تطهيره ولا يقع في حقه فقد قيل مثل الشریف إذا أقيم عليه الحد الشرعي مثل ابن أمير تلوث قدماه بقدر فغسله عن أجل خدم أبيه وما على من رأى سماً أن يطرحه ولا يتحساه وقال الشيخ الأكبر في الباب التاسع والعشرين من الفتوحات ما معناه. وترى ما يقع من بعضهم من المظالم كأخذ المال والقتل ونحو ذلك من الأمور السماوية كالموت والغرق ولا تقع في حق أحد منهم تنبيه كثيراً ما تسول للإنسان نفسه محبة أهل البيت النبوي فيعتقد صدق الدعوى ومن ناقش نفسه في ذلك تجلت شموسه وانجلت عروسه

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ١٥٢/٣. وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وأورده الهيثمي في المجمع ٢٠٥/٩ وعزاه للطبراني والبخاري بنحوه، وقال وفيه عمرو بن عتاب وقيل ابن غياث وهو ضعيف.

(٢) سقط من ب.

(٣) أخرجه البخاري في التفسير ٣٦٠/٨ الحديث (٤٧٧١). وأخرجه مسلم في الإيمان ١٩٢/١ الحديث ٣٥٠ (٢٠٥). وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٠٩/٦ الحديث ٢٥٥٩٠. والبيهقي في الكبرى ٤٥٩/٦ الحديث ١٢٦٤٩. والبغوي في شرح السنة ٣٢٨/١٣ الحديث ٣٧٤٣. والسر في الأمر بإنذار الأقربين أولاً أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع وأن لا يأخذه القريب للقريب من العطف والرافة فيما بينهم في الدعوة والتخويف، فلذلك نص له على إنذارهم. وفي الحديث فوائد منها: جواز تكفية الكافر وفيه خلاف بين العلماء قال الحافظ: كذا قيل وفي إطلاقه نظر، لأن الذي منع من ذلك: إنما منع منه حيث يكون السياق يشعر بتعظيمه بخلاف ما إذا كان ذلك لشهرته بما دون غيرها كما في هذا أو للإشارة إلى ما يؤول أمره إليه من ذهب جهنم. ويحتمل أن يكون ترك ذكره باسمه لقبح اسمه لأن اسمه كان عبد العزي. قال الحافظ: ويمكن جواب آخر وهو أن الكنية لا تدل بمجردا على التعظيم بل قد يكون الاسم أشرف من الكنية ولهذا ذكر الله الأنبياء بأسمائهم دون كناههم. انظر فتح الباري (٨/٣٦٢).

(٤) سقط من ب.

(٥) غير مقروء في أ.

وإذا طلع الصباح فلا حاجة إلى المصباح قال بعضهم إذا رأيت المبتلي من أهل البيت ورأيت في نفسك الرحمة له والرأفة به وعزمت على مساعدته على الزمان من غير استنكاف أحواله الغير المحتملة فذلك دليل المحبة وأما مراعاة الشريف إذا كانت له حاجة تقضيها وملاحة ترتضيها فالحكم يومئذ بدور العلة.

وكل يرى طرق الضلالة والهدى ولكن طبع النفس للنفس قائدا

ومن محاسن المدينة تعدد [الحكام]^(١) بها وفيه لطف إلهي بالرية وذلك لأنه إذا حدث بها أمر لا يقوم له ساق إلا باتفاق آرائهم وفيه سر الإجماع البعيد من الخطأ في طريق الاجتهاد.

وما أوقع ما [قال]^(٢) «تخالفت الأهواء»^(٣) والحق واحد» وكل إلى رأي من القول راجع وهذا اختلاف جر للناس راحة» كما اختلفت في الراحتين الأصابع ومن محاسنها بل من محاسن الدهر التفرقة السلطانية وهي الحنطة^(٤) الواصلة من أوقاف مصر المحروسة فإنها تجمع في الوكالة السلطانية وتجتمع لها الكتبة مع القاضي وشيخ الحرم النبوي وتفرق على أكثر أهل المدينة والمجاورين وغيرهم بمقتضى [الدفاتر]^(٥) وكانت تفرق قبل هذه السنين على رأس كل شهر لكل شخص حصّة ومقدارها ثلاثة أمداد مدنية وهي مقدار القوت الكافي للإنسان في الشهر ثم آل الأمر إلى أن صار يكتب للرجل الواحد المنفرد نحو الستين حصّة بالوجهة وغيرها ومن ولد له من ضعفاء المدينة لا سبيل إلى كتابة اسمه ولا إلى إثبات رسمه وبموجب هذه الحركة تغيرت هاتيك البركة، وكان يقال:

فلا تطلبن من عند يوم وليلة خلاف الذي مرت به السنوات

وها نحن نطلب ما مرت به تلك السنون، فتجده منظوماً في سلك ما لا يكون وكانت جملة الأسماء أولاً تناهز ستة آلاف فتجاوزت وإن خلا أكثرها عن المسميات عشرين ألفاً، والله يضاعف لمن يشاء وساعد [ذلك]^(٦) عدم الوصول الحبوب من مصر المحروسة بحيث كانت التفرقة في جميع سنة سبع وأربعين وألف نصف حصّة وانقطع الخير.

(١) سقط من ب. حذف السلطانية.

(٢) في ب [تطأرت].

(٣) سقط من ب.

(٤) سقط من ب.

(٥) غير مقروء من أ.

(٦) في ب [الآراء].

(٧) ثبت في أ [الحنطة السلطانية] والصواب

ولله در القائل :

نحن قسمنا الرزق بين الوري
وسلم الأمر لأحكامنا
فأدب النفس ولا تعترض
فكل عبد رزقه قد فرض
ومن محاسن المدينة :

منهل السوق، وهو المقابل للمدرسة الزمنية في الرحبة التي عند باب السلام فإنه يستقي منه أكثر أهل المدينة الشنية والذي ساقها إلى ذلك الموضع الحسين بن أبي الهيجاء في حدود الستين وخمسائة وجعل لها درجاً متسعاً وقيل أسامة من أمر الشام ولعله جدها وتعرف بالعين الزرقا لأن مروان الأزرق بن الحكم هو الذي أجراها وهو وال على المدينة المنورة، وأصلها من غربي قباء من ثلاثة آبار بئر النبي صلى الله تعالى وسلم عليه وبئر الرباط والتي في بئر عدن وهي تجري إلى المصلى وعليها فيه قبة يخرج منها الماء في وجهين شرقي وشمالي، وعلى ذكر الزرقا قال في الوفا وتسميه به لأن مروان الذي أجراها كان أزرق العين وكان القياس أن يقال عين الأزرق، وقال القيراطي شعر :

ما لعين سودا مني نصت
أي زرقا بان لي من سقاها
بعد حبي لعينها الزرقا
ما اختفى نوره عن الزرقا
فما أحلى ما قال :

مدينة خير الخلق تحلو لناظري
يقولون من زرق العيون شامة
فلا تعذروني إن فتننت بها عشقا
وعندي أن اليمن في عينها الزرقا
والمناهل اليوم بالمدينة المنورة منهلان بالمصلى ومنهلان بالذكي ومنهلان بالقلعة
ومنهلان بالساحة ومنهل بالحارة ومنهل بالثنية والمنهل المذكور وكلها تعرف بالعيون
وكلها من عين الأزرق والعين التي أجراها محمد باشا وقد أحسن عمارتها آل عثمان
وجعلوا لها خداماً وجعلوا لهم أرزاقاً على ذلك فهي في الحقيقة من حسنات آل عثمان
خلد الله تعالى دولتهم إذ لولاهم لاندurst آثارها . فائدة قال الواقدي كان بالمدينة على
زمن معاوية صوافي كثيرة وكان يجد بالمدينة المنورة وأعراضها آية وخمسون ألف وسق
ويحصد مائة ألف وسق من الحنطة كذا في الخلاصة^(١) ومن محاسن ما اشتمل عليه
السنور حمام الوزير محمد باشا فإن فيها نفعا عاما ورحمة من الله تعالى وأنعاما وهي
حسنة الوضع والبناء المحكم مشيدة الأروقة القائمة على النمط الأقوم .

(١) غير مقروء في أ.

ولاقا إن يلاق فيها^(١)
مراى من السحر كله حسن
كالقلب فيه السرور والحزن

قد حسنت من جميع نواحيها
يا حسن حماننا وبهجتها
ماء ونار حواهما كنف
أو [كما قال]:

أي ماء لها وأية نار
ورويها عنه صحيح البخارى

إن حمامنا التي نحن فيها
قد نزلنا بها على ابن معين
أنشد لنفسه بن رشيق:

لأجل نعيم قد رضيت ببيوس
فأبكي ولا يدري بذاك جليس

ولم أدخل الحمام بعد فراقهم
ولكن لتجري [عبرتي]^(٢) مطمئنة
وأنشد في تعجيل الخروج:

قبل أن يأخذ منك
حدث الحمام عنك

خذ من الحمام واخرج
حدثن عنه وإلا

يروى عن الإمام جعفر الصادق، رضي الله تعالى عنه أنه قال، إذا دخلت الحمام فقل عند نزاع الثياب اللهم انزع عني ربة النفاق وثبتني على الإيمان إذا دخلت البيت الأول فقل اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وأذاه اللهم اذهب عني الرجز وطهر جسدي وقلبي ثم ضع من الماء الحار على هامتك ورجليك وخذ منه جرعة إن أمكنك [فإنه]^(٣) ينقي المثانة ولا يشرب فيه الماء البارد ولا الفقاع فإنه []^(٤) [المعدة ولا تغسل بالماء البارد]^(٥) ولكن صبه على قدميك وإذا جرحت فإنه يذهب الشقيقة ولا تدخلها على الريق ولا تسلق فيها فإنه يذيب شحم الكلا وتعمم عند خروجك شتاء وصيفاً وعنه رضي الله عنه يوم الحمام يوم الأربعاء وعن علي كرم الله وجهه يوم الحمام يوم الخميس ويوم الجمعة يوم الطيب. لطيفة. خرج الحسن بن علي رضي الله [تعالى]^(٦) عنهما من الحمام فقال له رجل، طاب استحمامك، فقال له يا لكع وما تصنع بالآست هاهنا قال فطاب حمامك قال إذا طاب الحمام فما راحة البدن قال فطاب حميمك قال ويحك أما علمت أن الحميم العرق قال فكيف أقول، قال قل طاب ما طهر

(٤) غير ظاهرة في أ وب.

(٥) سقط من ب.

(٦) سقط من ب.

(١) في ب [ولاق أن يقال].

(٢) في أ [عبري].

(٣) في أ [سخانه].

منك، وطهر ما طاب منك وعن الصادق إذا قيل لك طاب حمامك فقل أنعم الله بالك
كذا في مكارم الأخلاق.

ومن محاسن المدينة أنه لا يتمرد فيها أحد ويتجاوز الحد إلا عجل الله الانتقام منه
وأخذ من حيث يشعر ومن حيث لا يشعر وكان يقال إن من أسماء المدينة، الفضاحة
وذلك منه لا يكون بها شيء إلا وتحدث به الألسنة وكان يقال ما أضمرت الليالي أظهرته
الأيام وما [أسترته]^(١) السريرة [أبدته]^(٢) [الأسرة]^(٣) للآنام وكيف يفوت هذا الناس
شيء وما في القلب يديه^(٤) العيون وكان يقال:

اصنع جميلاً ما استطعت فإنه لا بد أن يتحدث السمار
تنبيه:

قال بعضهم: ينبغي لكل عاقل أن لا يقع في حق أخيه المؤمن، ولو وقف له على
فاحشة إلا بحق الشرع ولا يعيره بها فإنه لا يدري ما يفعل به وقد قال الله تعالى ﴿إن
الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله
يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [النور: ١٩] وقال عليه السلام من غير مؤمناً بفاحشة كان على
الله أن يوقعه في مثلها^(٥) أو كما قال:

هي المقادير فلمني أو فذر إن كنت أخطأت فما اخطأ القدر
قال الإمام [الغزالي]^(٦) في فضل بيان علاج الغضب من كتاب الأحياء* روى أبا
ذر قال لرجل في خصومة بينهما يا ابن الحمرا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى
وسلم عليه فقال يا أبا ذر بلغني أنك اليوم عيرت رجلاً^(٧) بأمه^(٨) فقال نعم قال فانطلق

(١) في ب [أسترته].

(٢) سقط من ب.

(٣) في ب [الأسنة].

(٤) في ب [تبديه].

(٥) أخرجه الترمذي في صفة القيامة ٦٦١/٤ الحديث ٢٥٠٥. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب.
وذكره البغوي في شرح السنة ١٤٠/١٣ ما بعد الحديث ٣٥٦٢.

(٦) سقط من ب.

* انظر الأحياء (١٧٠/٣ - ١٧١).

(٧) قال الحافظ: وقيل إن الرجل المذكور هو بلال المؤذن مولى أبي بكر. انظر فتح الباري
(١٨١١).

(٨) قال الحافظ: في السياق، دلالة على جواز تعديه [عيرته] بالباء وقد أنكره ابن قتيبة وتبعه
بعضهم وأثبت آخرون أنها لغة. انظر فتح الباري (١٠٩/١).

فأرضي صاحبك فانطلق أبو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى وسلم عليه فقال يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر ثم اعلم بأنك لست بأفضل من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بعمل ثم قال إذا غضبت فإن كنت قائماً فاقعد وإن كنت قاعداً فاتكىء وإن كنت متكئاً فاضطجع^(١).

وعنه عليه السلام العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحرى الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه. إذا تلمس للناس عيباً تجد لهم عيوباً ولكن الذي فيك أكثر يحكى عن بعض السلف، أنه [راى] بمكة ما لا يرتضي من سنائها، فأنكره، واضطرب فيه فكره فلما كان الليل، راى قائلاً (ينشد هذه الأبيات):

إذا نحن شيئاً لا يدبر ملكنا سوانا ولم نحتج مشيراً مدبراً
فقل للذي قد رام ما لا نريده وأتعبت نفساً بالذي يتعذر
لعمرك ما التصريف إلا لواحد ولو شاء لم يظهر بمكة منكراً
وفي كتاب المقاصد الحسنة، للحافظ السخاوي «بسفهاء مكة حشو الجنة» حديث تنازع فيه عالمان في الحرم فأصبح الطاعن فيه وقد اعوج أنفه^(٢).

ورأى قائلاً يقول له سفهاء مكة من أهل الجنة ثلاثاً فاعترف بالكلام فيما لا يعنيه ويقال: إنه ابن أبي الصيف اليماني وأنه كان يقول إن ثبت فإنما هو إسفاء مكة. تصحف على الراوي ومعناه المحزون على [تقصيرهم]^(٣) انتهى بمعناه والكلام في مثل ذلك كثير وفي الجامع الصغير المدينة خير من مكة وفي المواهب بسنده المدينة أفضل من مكة وعن مالك رحمه الله تعالى ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة، وإذا كانت المدينة الشريفة بهذا المكان من الفضيلة والشرف فلا غرو [أن]^(٤) يطيب بها من حلها فمن أهله الحاضرة الشريفة للحلول بها والتشرف بتربها فكيف بأشرافها وأبناءها الذين هم غراسها ولله در القائل.

كفى شرفاً أني مضاف إليكم وإني بكم أدعى وأرعى وأعرف
إذا بملوك الأرض قوم تشرفوا على نسبه منكم من الطيب أعرف
وقال آخر:

(١) أخرجه البخاري في الإيمان ١٠٦/١ الحديث ٣٠. وأخرجه مسلم في الإيمان ١٢٨٣/٣ الحديث ٤٠ (١٦٦١).

(٢) انظر/ المقاصد الحسنة للسخاوي (ص/ ٢٥١). الحديث ٥٦٤.

(٣) في ب [المحزونون].

(٤) سقط من ب.

إذا لم تطب في طيبة عند طيب به طيبة طابت فأين أتطيب
وإذا لم يجب منها رينا^(١) الدعاء ففي أي حي للدعاء يجيب
من محاسن المدينة:

أنها عون بغريبها، حتى على أهلها وفيه سر لا يثار وأنه لا يرد إليها أحد من
الآفاق ويتأملها إلا ويختارها حتى على وطنه بل وينشد بلسان الحال في هذا المجال:

رأيت بها ما يملأ العين قرّة ويسلي عن الأوطان كل غريب
رأيت مكتوباً على اسطوانة في المسجد الأقصى سنة اثنين وأربعين وألف.

إذا كنت في القدس الشريف تشوقت إلى مكة نفسي بحج وعمرة
ولو كنت فيها قالت النفس طيبة أعيش بها في كل روح النبوة
ولو كنت فيها زاد للأهل شوقها فمن لي بأهلي والبلاد الشريفة
وقال آخر:

تطالبنني نفسي مقاماً بطيبة فأذكر معفي أهلها فاقصره
حياء من التقصير في حق بعضهم وإرضاء كل منهم متعذر
ويغلبني شوقي إليها فأنثني أقدم رجلي تارة وأؤخر.
أنشد لنفسه قاضي القضاة تاج الدين السبكي:

إذا كنت جار المصطفى ونزله فيقبح بي شوقي لأهلي وأوطاني
أرحل عن دار به^(٢) الخير كله وفيها هوى القاصي وأمنية الداني
حلفت يميناً إنها خير منزل لأكرم نزال وأشرف جيران
ولست بناس أهل ودي وإنما إذا فزت بالباقي فمالي والفا^(٣)
فيا رب بلغ من أحب وصولها ليزداد إيماناً كما زاد إيماني
وأنشد لنفسه ابن جابر الأندلسي:

هناؤكم يا أهل طيبة قد حفا بالقرب من خير الوري حزتم السبقا
فلا يتحرك ساكن منكم إلى سواها وإن جار الزمان وإن شقا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلفا^(٤)
فبشراكم نلتم عناية ربكم فها أنتم في بحر نعمه غرقا

(١) في ب [بالفا^(٣)].

(٢) في ب [الخفقا^(٤)].

(١) في ب [من جهاد].

(٢) في ب [بها].

ترون رسول الله في كل ساعة
متى جئتم لا يغلق الباب دونكم
فيسمع شكواكم ويكشف ضرركم
[بطيبة مشواكم وأكرم مرسل
وكم نعمة لله فيها عليكم
أمنتم من الدجال فيها فحولكم
وكذلك من الطاعون أنتم بمأمن
فلا تنظروا إلا لوجه حبيبكم
حياة وموتاً تحت رحماه أنتم
فيا راحلاً عنها لدنيا يريد لها
وتخرج عن حوز النبي وحرزه
لئن سرت^(٤) تبغي من كريم إعانة
هو الرزق مقسوم وليس بزائد
فكم قاعد قد وسع الله رزقه
فعش في حمى خير الأنام ومت به
لقد أسعد الرحمن جار محمد
قصيدة غزلية نبوية:

سقى منازل علوي^(٥) كل غيداق
وزارها كل يوم لا يبارحه
فكم وصلت بها الغيد الحسان وقد
غيدا يشابهن غزلان الصريم إذا
من كل سحارة الإلحاظ فاتنة الأل
ورب كحلاء^(١٠) تعمى* كلما رشقت

ومن يره فهو السعيد به حقاً
وباب ذوي الإحسان لا يقبل الغلقا
ولا يمنع^(١) الإحسان حرّاً ولا رقاً
يلاحظكم فالدهر يجري لكم وفقاً^(٢)
فشكراً وفضل الله بالشكر يستبقا
ملائكة يحمون من دونها الطرقا
فوجه الليالي لا يزال لكم طلقا
وإن جاءت الدنيا ومرت فلا فرقاً
وحشراً فستر الجاه فوقكم ملقاً
أطلب ما يفنى وتترك ما يبقى
إلى غيره تسفيه^(٣) مثلك قد حقاً
فأكرم من خير البرية ما تلقا
ولو سرت حتى كدت أن تخرق الأفقا
ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقا
إذا كنت في الدارين تطلب أن ترقا
ومن جار في ترحاله فهو الأشقا

من السحاب ملت الودق^(٦) دفاق
من النسيم سحيراً^(٧) كل خفاق^(٨)
حسن الرحي وصل مشتاق لمشتاق
خطرت يوماً بالإلحاظ وإحداق
لفاظ ممشوقة كالغصن معناق^(٩)
قلبي بسهم من الإلحاظ رشاق

(٧) في ب [سجراً].

(٨) في ب [حقاق].

(٩) في ب [مضاق].

(١٠) في ب [كحلاء].

* صمى الصيد يصمى مات مكانه والأمر فلاناً
حل به. انظر القاموس المحيط ٣٥٣/٤.

(١) في ب [يسمع].

(٢) سقط من ب.

(٣) في ب [لتسفيه].

(٤) في ب [لئن نثرت].

(٥) في ب [علواً].

(٦) في ب [الورق].

هيفاء نطق منها^(١) الحلى إن خطرت
قد شغفني سقم من سقم مقلتها
خود وهبت لها قلبي^(٢) وما سمحت
ولم ترق لصب شفة^(٣) سقم
قد خانت العهد مني وهي عالمة
وأعرضت مذ رأت شيبى ولاح لها
ورب قائلة كم أنت ذو غصن
فقلت خلي^(٤) ملامي واقصري عذلي
ومن سقى الناس كأس البغى مسرعة^(٥)
إن القناعة ثوب من تجليبه^(٦)
ومن ألم بطه وهو معتمد
ذاك الذي عجزت عن مدحه فكري
عليه صلى إله العرش ما طلعت

ومن نبويات الشيخ عبد الرحمن البرعي:

عاهدوا الربع ولو عا^(١) وغراما
كلما مروا على إطلاله
نزلوا بالشعب من شرقيه
ينشر الطل عليهم لؤلؤا
إذا هبت صبا نجد لهم
يا رفيقي بنواحي رامة
والإيثلات المظلة^(٢) بها
كم بدور في حدور المنحنى

يومًا يصمت منها الحجل في الساق
وفي مجاجتها^(٣) بريء وترياق
منها بطيف لذي الظلماء طراق
في حبها موثق من غير اطلاق
أنى على عهدا ما خنت ميثاقي
خفوق^(٤) رأيه إقتاري واملاقي
ذاو بلا ثمر فيه وأوراق
فلست متهمًا^(٥) في الرزق خلاق
فسوف يترعها المسقى للساق
لم يخش ما عاش من فقر وإملاق
على نداء سما من فوق آفاق
وحبه لم يزل في مهجتي باقي
شموس إقباله من أفق اشراق

فوفوا للربع بالعهد ذماما
سفحوا الدمع بذي سفح سجاما
مستظليين أراكا وبشاما^(١)
يفخر اللؤلؤ حسنا وانتظاما
أفهمتهم عن ربا نجد كلاما
غنيني بالابرق لفردق راما
أيها الإيل سقين الغماما
يستعير البدر منهم التماما

(٧) في ب [منها].

(٨) في ب [مترعة].

(٩) في ب [تجليبه].

(١٠) في ب [ولو علو].

(١١) في ب [وبستاما].

(١٢) في ب [ولإيلاف المطلاني].

(١) في ب [ينطق عنها].

(٢) في ب [مجاجتها].

(٣) سقط من أ.

(٤) في أ [سنة].

(٥) في ب [حقوق].

(٦) في ب [قلى].

حبهم حل سويد مهجتي
أيها اللائم أذني لا^(١) تعي
أولع الحب بلحمي ودمي
والفتى^(٢) العذري^(٣) لا ينفك عن
ليت شعري هل أرى شعبهم
ما عليكم سادتي من حرج
إن تناءت دارنا عن داركم
هيجتني نسمة نجدية
كلما ناحت حمامات الحمى
وأحبابي^(٤) الأولى عاهدتهم
عرضوا السكر علينا مرة
تملت أرواحنا من ذكرهم
يا ندامي فؤادي عندكم
همت فاستعذبت^(٥) تعذبي بعدكم
أنتم من دمي المسفوح في
فاصرموا جبلي وإن شئتم صلوا
أنا راض بالذي ترضونه
كنت بالشعب وكنتم جيرتي
قسماً بالبيت والركن الذي
إن في طيبة قوم جارهم
روضة الجنة في أوطانهم
كل من لم ير فرضاً حبهم
هم نجوم أشرقت^(٦) الكون بهم
فتحوا الأرض بعليا بأسهم

وفادى بعدما فت* العظاما
زخرف القول فدع عنك الملاما
فعلام اللوم في الحب علاما
عهد الحب ولو ذاق الحماما
بعد بعدي وترى عيني الخياما
لو تدرون لبالينا القداما
فاذكروا العهد وزورونا مناما
تركت قلبي عميداً مستهما
في أراك الشعب ناوحت الحماما
علقوا عقلي بمن أهوى هياما
فانتهى الكأس وما فضوا الختام
لم نر الراح ولا ذقنا المداما
ما فعلتم بفؤادي يا نداما
فاجرحوا قلبي ولا تخشوا آثاما
أوسع الحل فلو كان حراما
ما ألد الحب وصلاً وانصراما
لكم المنة عفواً وانتقاما
لو صفوا لي ذلك العيش وداما
طاب تقبيلاً ومسحاً واستلاما
في محل النجم يعلو أن يساما
وترى آثارهم يبرىء الجذاما
فهو في النار وإن صلى وصاما
بعدما كانت نواحيه ظلاماً
واستباحوا يمتاً منها وشاما

(١) في ب [واني].

(٢) في أ [الفيء].

(٣) في ب [المعز].

(٤) في ب [اجيابي].

(٥) في ب [فاستعذبت].

(٦) في ب [وأشرق].

* الانفثات الانكسار. انظر القاموس المحيط

فيهم الشمس الذي أنواره
الأعز المنتقى من هاشم
المداني قاب قوسين الذي
ارتضاه الله نوراً للهدى
خصه منه بدين قسيم
وكتاب أحكمت آياته
[يهتدي كل من استهدى به]^(٢)
فرض العمرة [والجج لنا]^(٣)
يا رسول الله ياذا الفضل يا
يا أبا القاسم يا أحمد يا
يا وجيه الوجه في الدارين يا
جد على عبد الرحيم المتلجى
وأقلني من^(٤) عترتي يا سيدي
ورفاقي الكل قم بي وبهم
نحن في روض ثناكم نجتني
لو سما المجد لأقصى غايته
يدك العليا على كل يد
وكسى روحك منه رحمة
تقتضي حقك مني دائماً
لطيفة :

لم يطق من بعده الحق انكثاماً
طيب العنصر يسمو أن يساماً
كان للأملاك والرسول إماماً
وانتقاه لدم^(١) الأعداء حساماً
نسخ الأديان ندباً والتزاماً
عصمه الله لمن رام اعتصاماً
سبل الرشد ويعمى من تعاماً
وصلاة وزكاة وصياماً
رحمة عم بها الله الأنما
بهجة المحشر جاها ومقاماً
شافع الخلق إذا البدوا خصاماً
لحمى عزك يا غوث اليتامى
واكتساب الذنب من خمسين عاماً
في الملمات إذا احتجنا القيامة
ثمرات المدح نشرًا ونظاماً
كنت للمجد سناء وسناماً
زادك الله علوًا واحتراماً
وصلاة ترتضيها وسلاماً
وتعم الآل والصحب الكراماً

قال القاضي أبو المحاسن يوسف نجم الدين الزرندي الأنصاري الحاكم بالمدينة
الشريفة والناظر في أمر الحسبة خادم السنة والحديث وذلك في سنة ثمان وأربعين
وسبعمائة : من طريق المحاضرة وطريق المذاكرة إن الحرمين الشريفين اجتمعاً في ميدان
الفخر ومن دونهما حجازه وليس معهما لغيرهما في هذا المقام على الحقيقة مجاز فتسم
حرم المدينة شرفاً من الشرف عال ثم قال الحمد لله الذي فضلني على سائر البلاد
وجمع لي بين ظريف الفضل والتلاد وشرفني بحلول خير العباد وأشرف كل حاضر وباد

(١) في ب [وانتضاه بدم].

(٢) غير مقروء في أ.

(٣) غير ظاهر في أ.

(٤) سقط من أ.

والبسني مفاخر الفاخرة وأعلى مقامي في الدنيا والآخرة وجعل تربتي شفاء من السقام وغباري دواء من الجذام فلي الشرف على كل اقليم، والفضل في الحديث والقديم وبإسمي ينوه على كل خطيب وعرف تربتي أطيب من كل طيب فالمقام بي في المكاره جنة وفي روضة من رياض الجنة وحسبي فخراً بالمنبر الذي علت مراقبه وحاز جميع الشرف براقبه فإلى مسجده تشد الرحال من كل قرية وخلاه والصلاة فيه كما قد علم بألف صلاة فلي السناء الباذخ والشرف الذي هو بأرض المسجد راسخ فلا غرو إن سبقت في هذا المضمار فلحق الخيل بالركض المغار واقسم من غاباتي بالأسود ومن لا باتي بالحرار السود ومن أزهار رياضي برش البرود ومن أغصان نخيلي وأشجاري بكل أملود، ومن رماح بساتيني بالعالية ومن سواقي جناني بكل ساقية جارية وجارية ساقية لكُمالي^(١) فوق كل كمال وجمالي أبهى من كل جمال وحسبي من الشرف الذي لا يجد بالطول والعرض إن ما ضم أعضائه الشريفة بالإجماع أفضل الأرض والفرق ما بين الدرهم والدينار في الصرف كالناس ألف منهم بواحد وواحد كألف.

سقى الله يشرب من بلدة وطاف بها مستفيض السحاب
بلاد تسامت بمن حلها وطابت وفيها الدعاء يستجاب
وقال آخر:

رعن الله طيبة من بلدة وساق السحاب لأعتابها
فقد جمعت كل فضل جز يل ولا يدخل الفضل بابها
وقال:

إذا اهتزت مناكب ذي افتخار بقرب مليكه وعلو داره
فإنني لا أزال أهز عطفي بجيرة أحمد حامي جواره
وبالجملة فإن المدينة المنورة وإن كانت كثيرة اللاواء^(٢) فإن تحت ذلك فوائد يطول شرحها ومتاجر يتضاعف ربحها وكيف لا يحتمل المشتقات من أحب أن يتمتع بسيد أهل الأرض والسموات وينال ما وعد من جزيل المثوبات وجليل الهبات وانجاز وعده الصادق له بشفاعته وشهادته وبلوغ قصده في المحيا والممات وكم عسى تكون شدة المدينة ولأواها وإلى متى تستمر مشقتها وبلواها لو تأملت يا هذا لوجدت في البلاد ما هو في الشدة وشظف العيش مثلها بل أشق وأهلها لا يختارون عليها وهم على ذلك الحال بل وينشدون في ذلك قول من قال:

(٢) في ب [اللاداء].

(١) في ب [كُمالي].

بلاد ألفناها على كل حالة وقد يؤلف الذي ليس بالحسن
وتستحسن الأرض التي لا هواها ولا ماؤها عذب ولكنها وطن
ورب امرئ ألقى هواه على أمر فلم ير منه غير ما يورث الحزن
وربما يوجد فيهم القادر على الانتقال فلا ينتقل والقوي على^(١) الرحلة فلا يرتحل
بل يؤثر وطنه مع إمكان الارتحال والقدرة على التحول والانتقال.

فيا وطني إن فاتني بك سابق من الدهر فلينعم بساكنك البال
فلن أستطع في الحشر إنك زائر وهيهات لي يوم القيامة إشغال
على أن المدينة مع شظف العيش بها في غالب الأحيان قد وسع الله تعالى فيها
على بعض السكان وكثيراً من استوطنها حسن فيها حاله وتنعم بها باله وكان من قبل في
زوايا الخمول كثير الفاقة قليل المحصول فإن من الله تعالى على المرء يمثل ذلك هنالك
وهو عنوان السعادة وترجمان الشهادة وإلا فمن وفقه الله تعالى صبره فيها ولو عاى أحر
من الجمر وأمر من القهر فيستجلي مرارة غصتها ليستجلي عروس منصتها وإن كان يلقي
يسير من لآوائها ليوقى كثيراً من مصائب الدنيا وبلوائها فإن غاية المضرة المسرة والمبرة
وقد روى عنه عليه السلام أنه قال من قضى نهمته في الدنيا حيل بينه وبين شهوته في
الآخرة^(٢). وقال ينادي منادي دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه أخذ
حتفه وهو لا يشعر^(٣)، وقال من أصبح وهمه الدنيا فليس من الله في شيء ومن لم
[يهتم]^(٤) بأمر المسلمين فليس منهم^(٥). وعنه عليه السلام اللهم من أحبني فأقل ماله
وأمت ولده^(٦) وعن جعفر الصادق أنا أهل البيت من أحبنا فليتعبد للبلاء جلبابا وما
أحسن ما قال :

(١) سقط من أ.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ٤٥ / ٨ الحديث ٧٩١٢. وأورده الهيثمي في المجمع ٢٥١ / ١٠
وقال: فيه إسماعيل بن عمرو البجلي وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور وبقية رجاله رجال
الصحيح. وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ٩٧ / ٤ برقم ١٤.
(٣) أورده المنذري في الترغيب والترهيب ٩٦ / ٤ الحديث ٩، وقال رواه البزار وقال لا يروى عن
النبي ﷺ إلا من هذا الوجه.

(٤) سقط من ب.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور للحاكم والبيهقي ٢٣٨ / ٣.
* وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٥١ / ١٠ وعزاه للطبراني وقال فيه يزيد بن ربيعة الرحبي وهو
متروك.
(٦) لم أجده.

إذا كان شيء لا يساوي جميعه
واشغل^(١) جزء منه كلك والذي
فظوبى لمن^(٢) حل بهذه العالم والديار
وقضى فيها ما بقي من الأنفاس والأعمار فيما بين المسجد المؤسس على التقوى
والروضة التي هي من رياض جنة المأوى:

ومن يعيش هكذا فقد جعلت
ومن فاتته العين هدى شوقه الأثر
لذاذة الخبر^(٣) أنشد لنفسه أبو عبد الله محمد^(٤) الفيومي:

إنني إذا برحت دار المصطفى
طالعت في تاريخها السامي لكي
اللهم اجعل لنا بها قرارًا ورزقًا حسنًا ولا تحرمنا شفاعتها الذي شمل
الكائنات نوافل ومننا وصلى وسلم عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين والتابعين
لهم بإحسان إلى يوم الدين آمين.

أنشد الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض:

تيقنت أن لا منزلًا بعد طيبة
وما اختص وقت دون وقت بطيبة
ولله در القائل:

ما ذكر الطير للأوطان أوطارا
كلا ولا لمعت بالسفح بارقة
ولا سرت نسمة من طيبة سحرا
لا تذكرت أيامي بروضتها
يا ساكني طيبة من^(٥) بعد بعدكم
ولا رأت مقلتي من بعد طلعتكم
فكلما رمت بالأفكار رؤيتكم
ولست أعجب من غدر الزمان بنا

إلا وشاهدت قلبي هام أوطارا
إلا وسح سحاب الدمع مدرارا
إلا وأصبح نشر الكون معطارا
إلا وأجريت في الخدين أنهارا
لم يألّف القلب لا ريعًا ولا دارا
بدور ثم ولا شمسًا ولا أقمارا
تصورت جارحات^(٦) القلب أبصارا
والدهر ما زال بالإنسان غدارا

(١) في ب [فاسمك].

(٢) في ب [بمن].

(٣) في ب [الحير].

(٤) سقط من ب.

(٥) سقط من ب.

(٦) في ب [خارجات].

لو أن ما بي من الأشواق نحوكم
كم أرقب القرب والركبان أسألها
يا سادتي إني من بعد بعدكم
وما تغير غير الجسم من سقم
وقال آخر:

أضحى على الفلك الدوار ما دارا
لعل أسمع في الأخبار أخبارا
أمسي وأصبح مشتاقًا ومحتارًا
ولا جرى غير دمع قد بكى الجارا

يا أهل طيبة^(١) لا زالت شمائلكم
أنفاسكم والنفوس الغر لا برحت
ما أمكم زائر إلا وآب بما
فأنتم الطاهرون الطيبون ومن
لا عيب فيكم سوى أن التنزيل بكم
جميلكم جل أن يخص وفضلكم
كفاكم بجوار المصطفى شرقًا
لولاكم خير الله الكرام لما
والله جل اسمه بالقرب خولكم
لا زلتم وأمان الله يكلؤكم
وكيف أخشى الرزايا إن تلم بكم
عليه صلى إله العرش ما سجعت
والله الطهر أرباب الكمال ومن
فائدة:

كالروض باكره سار من الديم
كالزهر والزهر في لطف وفي كرم
يربوا على فكره من كل مغتنم
لا ريب في مجدهم من سالف القدم
يسلو عن الأهل والأوطان والحشم^(٢)
في الناس أشهر من نار على علم
وجار ذي الجاه أنى كان لم يضم
كنتم له جيرة من سالف الأم
وزادكم بسطة في العلم والهم
فما يحاذر في حرز من اللم
وأنتم في حمى المختار في حرم
ورق الحمائم بين الضال والسلم
وآلام وجميع الصحب كلهم

زعم بعضهم أن السر^(٣) في ضعف وجدان من في المدينة المنورة وفتور شوقه
المطلوب يضاعفه القرب الصوري كما هو شأنه. وإن قيل:

وما أعظم ما يكون الشوق يومًا
إذا دنت الخيام من الخيام
حتى أن من ذهب إلى أطراف المدينة، من بساتينها وحدائقها وجد من نفسه
الوحشة وقلة الأمان ولا تطيب نفسه بغيبته أكثر من ثلاثة أيام وكذلك كره بعض العلماء
كثرة الزيارة مخافة الوقوع في السامة والملل فينبغي أن يغيب أحيانًا ليجدد عهود
الأشواق ويرجع رجوع المحب المشتاق.

(١) في ب [ياساداتي]. (٢) في ب [والخصم]. (٣) سقط من ب.

باب في ذكر المصلى والنقا والعقيق المؤذن بطيب اللقا

ورعى الله الأبرق والمصلى وبان الحي ما شجعت حمامه^(١)
فتلك^(٢) الصب المعنى بها الأرواح صارت مستهامه
على عرب بها مني سلام يكون المسك من قبلي ختامه

المصلى: في الأصل اسم لموضع الصلاة ثم صارت بالغلبة علمًا على مصلى العيد ثم أطلق على سبيل التوسع على ما حوله، اطلاق اسم الجزء على الكل ومن محاسنه عمارة الأمير علي وهو في غربي المسجد المذكور، وللمصلى ذكر في الشعر فمن ذلك:

ولي من فقد جيران المصلى وغرام لا يقرر له قرار
فلو خيرت لم اختر سواهم ومن لي أن يكون الجار
النقا: بالفتح والتخفيف مقصورًا، ما بين وادي بطحان والمنزلة التي بها السقيا له ذكر في الأشعار العربية والمولدة [فمن ذلك]^(٣):

ألا يا سائرًا في قفر عمر يكابد في السرى وعزًا وسهلا
بلغت نقا المشيب وجرت عنه وما بعد النقا إلا المصلا
وقالت محاسن الشعراء:

هاتيك يا صاح ربا لسلع ناشدتك الله تعرج معي
وانزل بنا بين^(٤) بيوت النقا فقد غدت أهله المربع
حين نطيل اليوم وقفًا على الساكن أو عطفًا على الموضع^(٥)
وقال الشاب الظريف:

(٤) سقط من ب.

(٥) سقط من ب.

(١) في ب [ما سجت حمامًا].

(٢) في ب [مواطن].

(٣) في ب [في مسلك ذلك].

ولقد رأيت برامة بأن النقا
ما ذاك من ورع ولكن من رأى
قال البهازير:

ولي فيه قلب بالغرام مقيد
ومن فرط وجدي في الماء وثغره
وقال ابن الحلوي:

يقولون يحكي البدر في الحسن وجهه
كما شبهوا غصن النقا بقوامه
وقال آخر:

قرب الديار يزيد شوق الوالة
أو بشر الحادي بأن النقا
فهناك عليك الصبر من ذي صبوة
لا سيما إن لاح نور جماله
وبدت على بعد رؤس جباله
وبدى الذي يخفيه من أحواله

وأما بطحان فقال الشرف المناوي في كتاب كشف المناهج هو بضم الباء الموحدة
وسكون الطاء المهملة موضع^(١) بقرب المدينة كذا^(٢) قاله النووي وغيره.

وضبطه ابن الأثير بفتح الباء وقال أكثرهم بضمها ولعله الأصح انتهى وفي
القاموس بطحان بالضم أو الصواب الفتح وكسر الطاء موضع بالمدينة.

سقيًا لسلع ولساحته والعيش في أكناف بطحان
أمسيت من شوقي إلى أهلها أدفع أحزانًا^(٣) بأحزان

[وأول بطحان الماجشونية وآخره السيح]^(٤) وعند الحديقة الماجشونية وآخر
السيح^(٥) حضرة تعرف بتراب الشفاء وقد جربها العلماء وغيرهم للشفاء من الحمى شربًا
وغسلًا لكن الشرب هو الوارد عند البخاري وغيره لما أصابت الحمى بني الحارث قال
لهم النبي صلى الله تعالى وسلم عليه «أين أنتم من صهيب قالوا ما نصنع به قال تأخذون

(٤) سقط من ب.

(٥) سقط من أ.

(١) سقط من ب.

(٢) في ب [كما].

(٣) في ب [أخرًا].

من ترابه فتجعلونه في ماء ثم يتفل أحدكم ويقول بسم الله تراب أرضنا بريق بعضنا^(١)
شفاء لمریضنا بإذن ربنا^(٢) [ففعّلوا ذلك]^(٣) فتركهم الحمى».

تنبيه: السیح بالفتح وسكون المثناة من تحت مصدر ساح یسیح اسم لما حول
مساجد الفتح وأما السیح بالضم والنون الساكنة وقيل بضمّتين أطم لبني الحارث على
ميل من المسجد وهو أدنى العالیة سمیت به الناحية وبه منزل الصديق رضي الله تعالى
عنه بزوجه الأنصارية المنحني بالضم ثم السكون وفتح الحاء والنون له ذكر في الغزل
بأماكن المدينة وهو عند أهلها اليوم يقرب المصلی في القبلة شرقي بطحان وهو الآن
منزل عرب الشام عند ذهابهم إلى الحج وأما بعد رجوعهم فمزلهم شرقي وادي سلع
وكان بالمنحني منازل لأهل الخير حتى قال فيه:

خدر على الخط والمنحنا بها يغفر الله عمن جنا

(١) * أخرجه البخاري في الطب ٢١٧/١٠ الحديث ٥٧٤٥. * ومسلم في السلام ١٧٢٤/٤
الحديث ٥٤ (٢١٩٤). * والبغوي في شرح السنة ٢٤٤/٥ و٢٢٥ الحديث ١٤١٤.

(٢) * قال الشيخ النووي: معنى الحديث أنه أخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة ثم وضعها على
التراب فعلق به شيء منه ثم مسح به الموضع العليل أو الجريح قائلاً الكلام المذكور في حالة
المسح. انظر شرح صحيح مسلم للنووي ١٨٤/١٤. قال القرطبي: فيه دلالة على جواز الرقي
من كل الآلام وأن ذلك كان أمراً فاشياً معلوماً بينهم. قال: ووضع النبي ﷺ سبافته بالأرض
ووضعها عليه يدل على استحباب ذلك عند الرقية. ثم قال: وزعم بعض علمائنا أن السر فيه
أن تراب الأرض لبرودته ويسه يبرئ الموضع الذي به الألم ويمنع انصباب المواد إليه ليبسه
مع منفعة في تجفيف الجراح واندمالها. قال: وقال في الریق: انه يختص بالتحليل والانضاج
ولبراء الجرح والورم لا سيما من الصائم الجائع. قال الحافظ: وتعقبه القرطبي أن ذلك إنما
يتم إذا وقعت المعالجة على قوانينها من مراعاة مقدار التراب والریق. وملازمة ذلك في أوقاته
وإلا فالثقة. ووضع السبابة على الأرض إنما يتعلّق بما ما ليس له بال ولا إثر، إنما هذا من
باب التبرک بأسماء الله تعالى وآثار رسوله، وأما وضع الإصبع بالأرض فلعله لخاصية في ذلك،
أو لحكمة إخفاء آثار القدرة بمباشرة الأسباب المعتادة. وقال البيضاوي: قد شهدت المباحث
الطبية على أن للریق مدخلاً في النضج وتعديل المزاج وتراب الوطن له تأثير في حفظ المزاج
ورفع الضرر، فقد ذكروا انه ينبغي للمسافر أن يستصحب تراب أرضه إن عجز عن استصحاب
مائها، حتى إذا ورد المياه المختلفة جعل شيئاً منه في سقائه ليأمن مضرة ذلك، ثم إن الرقي
والعزائم لها آثار عجيبة تتقاعد العقول عن الوصول إلى كنهها. وقال التوربشتي: كان المراد
بالتربة الإشارة إلى قطرة آدم، والريقة الإشارة إلى النطقة كأنه تضرع بلسان الحال إنك اخترعت
الأصل الأول من التراب ثم أبدعته منه من ماء مهين عليك أن تشفى من كانت هذه نشأتها.
انظر فتح الباري (٢١٩/١٠). قال الشيخ النووي: قيل المراد بأرضنا أرض المدينة خاصة
لبركتها وبعضنا رسول الله ﷺ لشرف ريقه فيكون ذلك مخصوصاً - وفيه نظر. انظر شرح
صحيح مسلم للنووي (١٨٤/١٤).

(٣) سقط من ب.

فيا جيرة القبر من يشرب
وقولوا قدمت على أحمد
فبشارك ما ترتجي حاصل
وقيل:

يا جيرة نزلوا بوادي المنحنا
وغيري إذا طال الزمان سلاككم
إن صبح لي ذاك الوداد ودام. لني
وتلطف الذهبي حيث يقول:

تولى شباب كأن لم يكن
ومن عاين المنحنا والنقا
[وقال آخر]:

كفى مودنا باقتراب الأجل
وموت الأخلاء ما بعده
إذا ارتحلت قرناء الفتى
[الشيخ شرف الدين بن الفارض]:

سقىا لأيام مضت مع جيرة
وأما على ذاك الزمان وطيبة
حيث الحمى وطني وسكان النقا
وأهيله أربي وظل نخيله
ما رنحت ريح الصبا شيخ الربا

أجير ومحب إليكم دنا
شفيع العصاة وكنز الغنا
ويهنيك هذا مقام الهنا

ما للمتيم عن محبتكم غنا
وتغيرت أحواله إلا أنا
برضاكم فتحت أبواب الهنا

وأقبل شيب علينا تولى
فما بعد هذين إلا المصلى

شباب تولى وشيب قد^(١) نزل
بقاء يؤمله من عقل
فلا شك في أنه قد رحل

كانت ليالينا بهم أفراحا
أيام كنت في^(٢) الغرب قراحا
سكنى ووردي الماء فيه مباحا
طربى ورملة واديه مراحا
إلا وأهدت منهم أرواحا

وقد اشتمل النقا على حدائق ذات بهجة فمن أحسنها بثر ودى^(٣) بن الأمير جمال
الحسين^(٤) فإنها اشتملت على الشجر المتفرع والغرس المتنوع والعمارة الحسنة
والأوضاع المستحسنة وماؤها أعذب ماء هنالك قال في الوفا ولعلها بثر أبي عنبة التي
عرض رسول الله ﷺ عسكره عليها في جيش بدر ورد من استصغر^(٥) وهي على ميل من

(٥) أخرجه البخاري في المغازي ٣٣٩/٧
الحديث ٣٩٥٦. والإمام أحمد في مسنده
٣٦٥/٤ الحديث ١٨٦٥٨. وفي موضع
التخريج أن من استصغر هو البراء - رضي =

(١) سقط من أ.
(٢) في ب [من].
(٣) في ب [وادي].
(٤) في ب [الحسيني].

المدينة المنورة ومن محاسن النقا زمزم فإنها حديقة ذات نخيل وأشجار وعمارة تناجت في ساحتها الأطيّار قال في الوفا بئر أهاب بصق فيها النبي صلى الله تعالى وسلم عليه^(١) وهي بئر زمزم ولم يزل أهل المدينة قديمًا وحديثًا يتبركون بها وينقلون إلى الآفاق من مائها وفيه أنها بئر فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم احتفرتها لما أخرجت من بيت جدتها فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها وهي الآن من أحسن الحدائق الخضرة ذوات^(٢) الأشجار الأنيقة النظرة وماؤها ليس بالعذب الخالص وما أحسن ما قال:

أكرم بزمزم إذ غدا متفجرًا بمعين ماء للمفاسد يصلح
حاوي الملاحه والعذوبة والشفاء فلذلك يحلو للقلوب ويملح
ولأبي العلا سليمان المغربي فيما قال:

لك الحمد أمواه البلاد بأسرها عذاب وخصت بالملوحة زمزم
وفي الخبر لا تقوم الساعة حتى تبلغ المساكن اهاب وفي رواية لا تقوم الساعة
حتى يبلغ البناء شجرة ذي الحليفة وهي على ستة أميال من المدينة وقال الأسدي خمسة
أميال ونصف ميل والميل ألف باع على المشهور وهو ثلث الفرسخ وأنشدوا:

إن البريد من الفراسخ أربع ولفرسخ فثلاث أميال ضعوا
والميل ألف من الباعات قل والباع أربع أذرع فتتبعوا
ثم الذراع من الأصابع أربع من بعدها عشرون ثم الاصبغ
ست شعيرات فبطن شعيرة منها إلى ظهرها^(٣) لأخرى توضع
ثم الشعيرة ست شعرات غدت من شعر بغل ليس فيه تضعضع
وقال عمر الوزير محمد باشا بذي الحليفة: البئر المنسوبة إلى علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه على يد نقيب السادة الأشراف بالمدينة المنورة السيد أحمد بن سعد
الحسيني في سنة تسعمائة واثنتين وثمانين وجعل لها درجات بعرض حافتيها بحيث
صارت المواشي تردها فتكرع منها وفي قبلي ذي الحليفة وادي الحساء وهو واد فيه آبار
ومزارع شتى وهو المذكور في شعر أبي رواحة يخاطب ناقته.

== الله عنه - وأن ذلك وقع عند حضور القتال (١) لم أجده.
فعرض من يقاتل فرد من لم يبلغ، وكانت (٢) في ب [النضرة].
تلك عادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٣) في ب [ظهر].
في المواطن. انظر فتح الباري (٧/٣٣٩).

إذا أدنيتني وحملت رحلي
فشأنك فأنعمي وخلاك ذم
ومن محاسن النقا:

المغسلة بالغبين المعجمة قال المجد هي بكسر السين المهملة وكمنزله جبانة
بطرف المدينة يغسل فيها كذا ذكره أهل التاريخ [ومن أوعظ ما قال]^(١):

كذا عادة الدنيا فهل ناظر
كفى عظة أن كلما جئت بلدة
وقد صارت هذه الجبانة حديقة كبيرة نضيرة وتعرف اليوم بالمغسلة بفتح السين
على خلاف القياس وهي من قبلي النقا من غربي بطحان ومن محاسن بطحان حديقة
أمير جليل والمسلحة وما اشتمل عليه ذلك الجزع من البساتين الفاتقة والمنارة الرائقة.

فائدة [شجر]^(٣) البان [شجر]^(٤) يقارب الاتل ومنه نوع قصير دون شجر الرمان
يدخل في الغوالي والأطياب كان ينبت بنواحي النقى [وبارق]^(٥) والابرق ورامه مواضع
بالعقيق.

وأنشد لنفسه الشيخ عبد اللطيف التكريتي:

ما شاقه البان ولا يشوقه
حن إلى المعنى القديم فأنثنى
يهوى باكتاف الحمى محجبا
بدر خبايا أضلعي بروحه
ملكته طرفي [وقلبي]^(٧) فغدا
يا أهل ذياك الحمى نزيلكم
هلا سألتكم بالغضا عزواله
مزق ثوب الصبر يوم بينكم
وحقكم ما أم غير بآبكم
كلا ولا راق له منذ نأى

مذ لمعت ببارق بروقه
وشوقه إلى اللوى يسوقه^(٦)
حكاه من غصن النقا وريقه
ظبي وسفح مدمعي عقيقه
أسيره هذا وذا طليقه
يحمل أن ترى له حقوقه
فارقه يوم النوى فريقه
ولذ في حبكم تمزيقه
ولا سرت إلى سواكم نوقه
عن حبكم مغنا ولا يروقه

(١) في ب [وقد قال].

(٢) في ب [يصدر].

(٣) سقط من أ.

(٤) سقط من ب.

(٥) سقط من ب.

(٦) في ب [يشوقه].

(٧) في ب [قلبي وطرفي].

ولا تعني بكم حادي السرا^(١) إلا انثنى^(٢) ودمعه خلوقه
يود لو زاد على أحداقه
يا طيبا منزله بطيبة
صلى عليك الله ما انهل الحيا
ومن محاسن المدينة . العقيق وهو واد على ثلاثة أميال من المدينة وقيل على

ميلين منها كذا في كشف المناهج للشرف^(٤) الناي وفي القاموس العقيق الوادي جمعه
اعقه وكل مسيل^(٥) [شقه]^(٦) ماء السيل وموضع بالمدينة انتهى وقد وصف بأنه الوادي
المبارك وفي خبر يحننا ونحبه وهواء سجسج^(٧) لا حر فيه ولا برد ومن شعر الزبير فيه :

قم بنا يا أنيس قبل الشروق نحتسيها^(٨) على رياض العقيق
يحكى عن أعرابي أنه قال : دخلت العقيق فوجدت قلبي يمتلأ سرورا^(٩) لا أعرف
له سببا غير طيب ترابه وعذوبة هوائه وانفلاج^(١٠) جوه .

[ومن أحسن ما قال]^(١١) :

ولقد صبوت إليه حتى كدت من فرط التصابي
يجد الجليس إذ دنا ربح الصبابة من ثيابي
قال في الدرة الثنية في أخبار المدينة : وادي العقيق اليوم ليس ساكن فيه وفيه بقايا
أبنية من مدرسة تجد النفس برؤيتها أنسا كما قال أبو تمام وما زرنا من تود :

ما ربع فيه معمورا يطيف به غيلان أبهى ربا من ريعها^(١٢) الذهب
ولا الجدود وإن آدمين من حجل أشهى إلى قلبه من خدها الترب
فائدة : حاجر موضع بغربي^(١٣) النقا من وادي العقيق وهو المذكور في الأشعار
وأشيد لنفسه الشيخ عبد السلام بن يوسف ولله دره :

على ساكني بطن العقيق سلام وإذا أسهروني بالفراق وناموا

(١) في ب [الثوى] .

(٢) في ب [انثى] .

(٣) في ب [عبوقه] .

(٤) في ب [المشرف] .

(٥) في ب [ميل] .

(٦) في ب [سميح] .

(٧) في ب [نحسها] .

(٨) في ب [نورا] .

(٩) في ب [وأنفس وانفساح] .

(١٠) سقط من ب .

(١١) في ب [وما زرنا من تود] .

(١٢) في ب [رامها] .

(١٣) في ب [بقربي] .

خطرتم على النوم وهو محلل
إذا نبتتم عن حاجر وحجرتم
فلا ميلت ريح الصبا فرع بانه
ولا قهقهت فيه الرعود ولا بكى
فما لي وما للربيع قد بان أهله
ألا ليت شعري هل إلى الرمل عودة
وهل تهله^(٢) من بئر عروة عذبة
ألا يا حمام الأراك إليكم
فوجدني وشوقي مسعد ومؤانس

وحللتكم التعذيب وهو حرام
على السمع أن يدنو إليه كلام^(١)
ولا سجعت فوق الغصون حمام
على حافتيه بالعشاء غمام
وقد فوضت من ساكنيه خيام
وهل لي بتلك البانتين لمام
أداوي بها قلبًا يراه أرام
فما لي في تغريدكن مرام^(٣)

ونوحي ودمعي مطرب ومدام
قال في الخلاصة: بئر عروة هذه ميمونة مأثورة، وكان الزوار لا يتجاوزون العقيق
حتى يتزودوا من مائها وفيها يقول السري بن عبد الرحمن الأنصاري:

كفنونني إن مت في درع اروى
سخنه في الشتاء بارده في الصيف
وقال إبراهيم بن موسى الزبيري:

واستقوا لي من بئر عروة مآى
سراج في الليلة الظلماء

ليت شعري هل العقيق فسلع
فإلى مسجد الرسول فما حا
فبنوا مازن على العهد أم
قال أبو قطيفة:

فقصور الجماء فالعرستان
زا لمصلى فجانبًا بطحان
ليس كعهدي في سالف الأزمان

القصر ذو النخل فالجماء بينهما
والمراد القصر الذي ابتناه سعيد بن العاص بن أمية أحد مشاهير الأجواد بصره
عرصة العقيق وكان بنوا أمية يمنعون البناء في العرصة خنا بها فاحتفر بها سعيد وغرس
النخيل والبساتين وكان نخلها أبكر شيء بالمدينة وتسمى عرصة الماء وابتنى مروان بن
الحكم بعرصة البغل قصرًا واحتفر بها عيّنًا.

أشهى إلى النفس من [أبواب جبرون]^(٤)
والمراد القصر الذي ابتناه سعيد بن العاص بن أمية أحد مشاهير الأجواد بصره
عرصة العقيق وكان بنوا أمية يمنعون البناء في العرصة خنا بها فاحتفر بها سعيد وغرس
النخيل والبساتين وكان نخلها أبكر شيء بالمدينة وتسمى عرصة الماء وابتنى مروان بن
الحكم بعرصة البغل قصرًا واحتفر بها عيّنًا.

وفي ذلك يقول الوليد:

بالسفح بين العقيق والسند

لم أنس بالعرصتين مجلسنا

(١) في ب [أزيدوا نواله كلام].

(٣) في ب [مكرم].

(٢) في ب [قهلة].

(٤) في ب [إيوان جبرون].

وفي الخبر: يا عائشة جينا من هذا العقيق فما ألين موطأه وأعذب ماؤه قالت: يا رسول الله أفلا تنتقل إليه قال «كيف وقد ابتنى الناس»^(١).

وعنه عليه السلام «نعم المنزل العرصة، لولا كثرة الهوام»^(٢).

قال المطري: العقيق ما بين الحرم إلى غربي بئر رومة، ومنه الجرف وسيأتي ولم يزل العقيق نخلاً وأعناّباً، حتى خربت تلك العيون، ولم يبق من عمارات العقيق إلا بعض الآثار وبقايا رسوم الآبار وما زالت النفوس ترتاح برؤيتها والأرواح تنتعش بطيب نسمتها ومن أحسن بساتين العقيق بئر مهدي فإنها حديقة غرسها زاهر وأنسها باهر وماؤها عذب وهواؤها رطب وفيها للنفوس مسرة ولأهلها بها أكرم مبرة انتهى^(٣) وأما سيل العقيق فإنه أعظم سيول المدينة وأحلاها وأجملها وأجلاها [منا]^(٤) بحر النيل عند إقباله إلا كثرة وأوشاله وما الفرات وحلاوته عندما ترون العين طلاوته لقد اختصت به أهالي المدينة حتى كان عندهم يوم الزينة وبالجملة فإنه إذا سال بالسلسال واديه وتعطر بأزهار بساتينه ناديه هرعت وجوه الناس إليه وعولت في صفاء الوقت وترادف المسرات عليه فتضرب حوله الخيام ولا سيما إن تحجبت الشمس بالغمام فترى الناس حوله ينتهزون فرصة اللذات ويتتهبون أوقات المسرات.

قال أبو عبيدة: العقيق ينفق من قبل الطائف ويروى أنه أقام في بعض الأعوام نحو خمسة عشر يوماً وهو في قوة الجريان بحيث لا يمكن سلوكه ومن المعميات في السيل:

إذا ركب البیداء يخشى ويتقى	ولم يثنه طعن ولم يلوه ضرب
ويأكل ما يلقيه عند لقائه	ومن أعجب الأشياء ليس له قلب
وله أيضاً:	

ما اسم شيء إذا تصحف جمع	وهو يصطاد ما من البحر يجلب
وهو لا طائر وليس بوحش	ثم إن رمت قلبه ليس بقلب
يريد أن هذا الاسم وهو لفظ سيل إذا تصحف كان شبكاً جمع شبكة وهو معدود	
لصيد السمك في البحر وهو غير الطير والوحش وقلب سيل ليس وهو مادة النعمة ^(٥)	
ولابن المعلم ^(٦) .	

(١) لم أجده. (٢) في ب [ماء].
(٢) لم أجده. (٣) سقط من أ.
(٤) في ب [التمعية]. (٥) سقط من ب.
(٦) سقط من أ.

كم قلت إياك العقيق فإنه
وأردت صيد مها الحجاز فلم يسد
واختصره آخر فقال:

ضربت^(١) جاذره بصيد أسوده
أعدك القضا فرحت بعض صيوده

أبصرت ظبيًا في الحمى
أملت أن أسطاده
وقال غيره:

بين اللوى وزروده
فغدوت بعض صيوده

قلبي الخفوق ومدمعي الجاري دم
وإذا تآلف بارق من بارق
لطيفة:

مهما جرى ذكر العقيق أو اللوى
فهناك ينشر من هواه ما انطوى

في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني نقلًا عن الهيثم بن عدي قال: حدثني
عبد الله بن العباس الهذلي عن رجل من بني عامر قال مطرنا مطرًا شديدًا ارتبعناه ودام
المطر ثلاثًا ثم أصبحنا في اليوم الرابع على صحوه فخرج الناس يمشون على الوادي
فرأيت رجلًا جالسًا على حجر فقصدته فإذا هو المجنون جالسًا يكي فكلمته طويلًا وهو
مطرق ثم رفع رأسه وأنشد بصوت حزين لا أنسى حرقة:

جرى السيل فاستبكاني السيل إذ جرى
وما ذاك إلا حيث أيقنت أنه
يكون اجأًا دونكم فإذا انتهى
فيا ساكني أكناف نخلة كلكم
زاد مغلطاى

وفاضت له من مقلتي غروب
يكون بواد أنت منه قريب
إليكم تلقى طيبكم فتطيب
إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

أظل غريب الدار في أرض عامر
وإن الكثيب الفرد من أيمن الحمى
ولا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر
قال وهي من قصيدة أولها:

ألا كل مهجور هناك غريب
إلي وإن لم آت^(٢) لحبيب
حبيبًا^(٣) ولم ينظر إليك حبيب

ألا أيها البيت الذي لا أزوره
هجرتك مشتاقًا وزرتك خائفًا

وهجرانه مني إليه ذنوب
وفيك علي الدهر منك قريب

(١) في أ [حبيينا].

(٢) في ب [آية].

(٣) في ب [ضرب].

سأستعطف الأيام فيك لعلها
قلت

ولعل تكرار اسم الحبيب في القافية غير مذموم فإنه لا يضر شيء مع اسمه وعلى
ذكر المطر في التهنية به .

لله يوم قد همت سحبه بسفح روض طيب النسمة
وظبي أنس حن قلبي له إذ قال لي تهنيكم الرحمة
فائدة :

سيل الحجاب كان بمكة المشرفة واحتجب دورًا كثيرة وأحاط بالكعبة وكان في
إمارة عبد الملك بن مروان سحر يوم التروية من عام ثمانين وحكى السيوطي في تاريخ
الخلفاء، انه جاء سيل في أيام عبد الله بن الزبير طبق البيت الحرام فكان يطوف سجاته
وهو أول من كسى الكعبة الديباج وكان له مائة غلام لكل غلام لغة ليست لصاحبه فكان
يكلم كل غلام بلغته وللصيفي الحلبي :

بقدر لغات المرء يكثر نفعه وتلك له عند الممات أعوان
فهافت على حفظ اللغات مجاهدًا فكل لسان في الحقيقة إنسان
وفي سنة إحدى وسبعين وتسعمائة، طاف بالبيت سيل عظيم خرب الدور وأخلى
البقاع وعلا على الركن اليماني مقدار ذراع وفي سنة ٩٧١ وفي سنة تسع وثلاثين ألف
دخل مكة سيل لم يعهد مثله بحيث هدم الدور وذهب بالمال والرجال ودخل إلى
المسجد وطاف بالبيت بحيث كان تاريخه رقى إلى قفل بيت الله وبسببه انهدمت الكعبة
وعمل الناس في ذلك التواريخ والاشعار وكثر اللغط في عام تاريخه غلط وفي سنة
أربعين بعد الألف كان بناء البيت الشريف ومن التواريخ المنثورة^(١) فيه ورفع الله قواعد
البيت وكانت هذه الفضيلة مما اختص بها السلطان الأعظم والخاقان المكرم واسطة عقد
آل عثمان والمخصوص بالمناقب التي يعجز عنها البيان المسدد في الاصدار والايراد،
مولانا السلطان مراد أصلح الله تعالى بما مضى اهتمامه فساد العباد وعم يعدل سيرته
البلاد ولا انفك منشور عزه مكتوبًا على جبهة الشمس وجماجم أعدائه مندرسة كأن لم
تفن بالأمس فيا له من أثر نعفو دونه المآثر ويا له من تاريخ خير يبقى مع الدهر الداهر
وأكرم بها فضيلة اختصه الله تعالى بها دون آبائه وشرقًا يسطر خبره في صدر قرطاس
أبنائه :

(١) في ب [المنشورة].

هكذا هكذا ولا فلا [لا]^(١)
ومن تاريخ الفاسي لغيره:

بنى الكعبة الغراء عشر وكرتهم
ملائكه الرحمن آدم ابنه
وجرهم يتلوهم قصى قريشهم
ومن يعد من آل عثمان قد بنى
وذيل بعضهم فقال:

وخاتمهم من آل عثمان بدرهم
فائدة:

طرق الجند غير طرق المزاح

ورتبته حسب الذي أخبر الثقة
كذلك خليل الله ثم العمالقه
كذا بن زبير ثم حجاج لاحقه
مراده حماء الله من كل طارقه

مراد المعالي أسعد الله شارقه

الخلائق جمع خليفة، مزارع وقصور لغير واحد من آل الزبير يمر بها سيل العقيق
كذا في تاريخ الوفاة ومن بعدهم من آل عثمان قد بنا مراد حماء الله من كل طارقه صح.
أنشد أبو حيان الشاطي لنفسه:

بأن القلب بينكم العتيق
ودموع مقلتي العقيق

ترمون الحجاز وما علمتم
والفاظي العذيب وفي ضلوعي الحمى
وقال آخر:

عين بها روض النعيم منعم
ولأجل عين ألف عين تكرم

ولقد أتيت إلى العقيق فشاقتني
[فلأجلها من أهلها]^(٢) أنا مكرم
ومن كتاب زهر الربيع وباب

أشغلاني عن كل غصن وفريق
ذو اشتياق إلى النقا والعقيق

حدثاني عن قامت ورضاب
وصفا لي ثغر الحبيب فإني
الشاهد:

في قوله صفا لي ثغر الحبيب، فإنه أدمج فيه وصفه بالنقا والعقيق.

وما أحلى قول ابن نباتة:

منازله بالقرب تبهى وتبهر

إذا لم تغض عيني العقيق فلا رأت

(٢) في ب [فلأجلها من أهلها أنا مكرم].

(١) سقط من ب.

وإن لم تواصل عادة السفح مقلتي فلا عادها عيش بمعناه أخضر
قال ابن حجة في كتاب كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام بعد إيراد البيتين
فيه انظر أيها المتأمل إلى صحة الاشتراك في الاستخدامين وانسجام البيت الأول مع
الثاني، وسيلان الرقة من هذا القطر النباتي والتشبيب المرقص بالمنازل الحجازية والغزل
الذي يليق أن تصدر به المدائح النبوية ومن الشعر المنسجم المحرك للأشجان.

أبكى إذا ذكر العقيق بمثله لعهود جيرته وحسن [المعهد]^(١)
فسقى الحيا تلك البقاع فتربها لجلاء عن القلب مثل الأئمد
السري الرفا:

إذا ذكر العقيق لنا سرنا عقيق الدمع سحا وإنهمالا
وسال من معالمه محيلاً فتطلب من إجابته محالا
سعد الدين بن عربي:

هذا العقيق فما لقلبك يخفق أتراه من طرب إليه يصفق
بانث له بانث سلع فانشنى وله إلى نسماتهن تشوق
ومن محاسن المدينة:

البركة المباحة وهي بركة الأمير بيدي وهي قبلي جادة العقيق وعندها حديقة
وكان عليها بناء حسن لعبت به الرياح وبركة الأمير قاسم على بئر الأعجام وهي من قبلي
مسجد السقيا وعندها سبيل ومشربه على حديقة لطيفة وكانت مقيلاً للأعيان ومنتزهاً لمن
تناءت به الأوطان فدارت بها الليالي، حتى صارت كالرسم الخالي وكل عمارة تغدو
خرايبا، عمارتها بتكرار الرياح العسيرة^(٢) وهي بركة عظيمة عليها عمارة حسنة واويان
لطيفة وهي من قبلي جادة النقا وبركة الوزير داود باشا وهي في غربي عمارته عند مقسم
العين الزرقا وهي منهل الركب المصري وبركة المصلى وهي الكائنة في شرق حوسن
عمر أنفدي وبركة الوزير مصطفى باشا وهي الكائنة في غربي بستانه في شمال باب
السور الشامي وهي منهل الركب الشامي ولكل واحدة من هذه البرك أوقاف وخدمة
وناظر ومن محاسن المدينة عمارة السلطان مراد عليه رحمة الله، رب العباد، فإن عليها
مدار المهاجرين، والفقراء والمجاورين وكان لها خبز يصلح للقرا وكان يطبخ فيها اللحم
ويفرق على الفقراء، وكان الفقير إذا نال نصيبه من الأرز المطبوخ في ليلة الجمعة

(١) في ب [المعهد].

(٢) في ب [العتيرة].

والاثنين استخرج منه من السمن ما يكفيه إلى يومين وبالجمله فلا غير الله تعالى بها الحال ولا أخلاها من الخيرات والنوال، إذ لكل زمان مجال ولكل دهر دولة ورجال وقد أفرد بعض الفضلاء مؤلفاً بخصوصها وبين فيه تفاصيل جملها بنصوصها وفي معنى هذه العمارة، العمارة الخاصكية ومن محاسنها الرباط وضعا ونفعا فلا زالت بالخيرات عامرة وللفقراء بجزيل^(١) الإحسان غامرة ومن محاسن المدينة حمام الوزير داود باشا فإنه حسن في وصفه عام في نفعه وعنده حديقة لطيفة متينة^(٢) وعمارة ظريفة، منازل ليلي كلهن منارة لطرفي وقلبي في حماها مخيم.

(١) سقط من ب.

(٢) سقط من أ.

باب في ذكر سلع ومساجد الفتح وما اشتمل عليه ذلك السفح

حديث الغواني لست أنكر طيبه ولكن كلام العامرية أطيّب
سلع بالفتح ثم السكون آخره عين مهملة، جبل بالمدينة المنورة قال الأصمعي
غنت حياله جارية يزيد بن عبد الملك وكانت من أحسن الناس وجهًا ومسموعًا وكان
شديد الكلف بها وكانت نشأت بسلع.

لعمرك إني لأحب سلعة لرؤيته كذا أكتاف سلع
تقر بتربته عيني وإني لأهوى أن يكون يريد نجمي
فتنفس الصعدا فقال لها لما تنفسين والله لولا رؤيته لنقلته إليك حجرًا حجرًا
فقلت له وما أصنع به، إنما أردت ساكنيه:

وما كنت أهوى الدار إلا بأهلها على الدار بعد الصاغين سلام
وكان العباس رضي الله عنه يقف على سلع فينأى غلمانهم وهم بالغابة وذلك من
آخر الليل وبينهما ثمانية أميال قال المجد، الغابة ماء على بريد من المدينة في سافلتها
وهو محمول على أثناء الغابة لا أدناها وقبل هي على ستة أميال وعليه، فالمراد أولها
وهي مفيض أودية المدينة وكانت بها أملاك لأهل المدينة استولى عليها الخراب وبيعة
في تركة الزبير بألف وستمئة ألف.

لنا ملك ينادي كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب
وكم لله من ميليك ينادي صبيحة كل يوم للمعاد
يقول لأهل دنيانا جميعًا لدوا الموت وابنوا للخراب
ويروى أنه عليه السلام قصر الصلاة في الغابة^(١) وإليها تنتهي عين معاوية ولم يبق
منها اليوم غير مجاريها وعلى ذكر صوت العباس^(٢) قال في القاموس أبو عروة رجل كان

(١) لم أجده.

(٢) في ب [صدت].

يصيح بالأسد فيموت فيشق بطنه فيوجد قلبه قد زال عن موضعه وللطبراني في الكبير
سيبلغ البنيان سلعا ثم يأتي على المدينة زمان تمر السفر على بعض أقطارها فتقول [قد
كانت]^(١) مرة عامرة وذلك من طول الزمان وعفو الأثر وفي خبر ليخرجن أهل المدينة،
خير ما كانت تصفا زهواً وتصفا رطباً، قيل من يخرجهم منها قال أمراء السوء وفي رواية
[اعمر ما كانت]^(٢) وذلك في آخر الزمان.

يا صاح إن اسود الغاب همتهما يوم الكريهة في المسلوب لا السلب
وأما سليح بالتصغير، وهو جبل صغير وعليه اليوم القلعة السلطانية وكان عليه قبل
ذلك، حصن أمير المدينة الشريف جماز بن شيخة الحسيني وفي حدود السبعين وستمائة
كذا في زهر الرياض وأما كهف سلع، فقد كان عليه السلام يبيت فيه ليالي الخندق^(٣)
وهو على يمين المتوجه من المدينة إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية في مقابل
الحديقة النقيبية على يمين الصاعد عليه وأعلى منه كهف صغير في جهة المشرق وتقدم
ذكر العينية وكانت بسلع قصور مشيدة ومساكن عديدة، ومنازة حسنة الأوضاع والمسالك
وللشعراء فيها تشبيب فمن ذلك:

قصور لعمري حباة مضت سقى الله سلعا وما حولي
ولم نر بالنخل تلك القصورا ومن القصائد النبوية في ذلك:

بين سلع والمصلى عرب حيث ساروا ففؤادي معهم
اتهم السير بهم أو أنجدا يا سقى الغيث ربوعا باللوى
كلها راح عليها وغدا بعدت عيني وفي تلك المنى
قرب الله لنا ما بعدا وحياة الحب لولا قمر
حل في ذاك الحمى ما قصدا أنشدوا قلبي في معهدهم
فهو لا يترك ذلك المعهدا ودعوا شوقي إلى أن يقدا
مثلهم لم تر عيني أحدا رينا سلعا وسل عن جيرة
فحديثي ولك النفس فدا فإذا جئت فعرض عندهم
فهو الماء الذي يروي الصدا ورد الماء الذي في حيهم

(١) في ب [كان]. (٢) في ب [أشهر ما كانت]. (٣) لم أجده.

بعد ذاك المورد العذب لقد
 قل لهم لا صبر عنكم فإذا
 بيننا موعد وصل وهم
 ما رأينا أحداً إلا انثنى
 وبدا من دون سلع قمر
 أشرق من نوره الأرض لنا
 كيف صبري على حبيب قد غدا
 إن عيشاً قد مضى في قربه
 أيها الحادي دع العيس ونم
 رقد القوم عليها وهي من
 لو تراها راقصات في الفلا
 ذكرت سلعةً وسلع منتهى
 ليس من يسهر في كسب العلا
 لا تقل ما لي زاد فالذي
 ختم الرسل به رب الورى
 وهو عنهم خير في بعثه
 وجد الناس وهم في حاجة
 وجلا عن كل قلب وجلا
 سلم الله على خير الورى
 وعلى الآل سلام عاطر
 وقال الشيخ أبو بكر الرداد:

لي باكناف طيبة بين سلع
 وحبيب إذا نألف برق
 يا أهيل الحمى وبان المصلى
 طال فقدي وباع جهدي قصير
 فالدراك المدراك يا أهل نجد
 وعسى عطفه تسكن جانبي

بت لا تطلب نفسي موردا
 كان بعد لا تطيلوا الأمد
 عرب لا يخلفون^(١) الموعد
 طرباً يوم رأينا أحدا
 حبه في جلدي قد خلدا
 فكان الليل صبح قد بدا
 بالمعالي والمعاني مفردا
 لست أنساه ولو طال المدا
 [قد كفاهها سوقها]^(٢) عمن حدا
 شوقها قد منعت أن ترقدا
 قد شجاها صوت حاد أنشدا
 أمل الساري إذا ما اجتهدا
 مثل من يرقد فيمن رقد
 أنت ترجو كم فقيراً زودا
 وبه في رتبة الفضل ابتدا
 وهو في الفضل عليهم مبتدا
 فننوى كل نوال وجدا
 وفدا من ذنبه من وفدا
 وعلى أصحابه أهل النداء
 وثناء من محب سرمداء

والقوالي مسامر وشجون
 من سنا أرضه تفيض العيون
 وقباب النقا بكم استعين
 وبكم أصعب الأمور يهون
 قبل أن تذهب البقايا الغبون
 وعسى عودة بها أستكين

(١) في ب [يخلفوا].

(٢) في ب [كفا عاشقوها].

وقال القيراطي :

عرض إلى ركب الحجاز اسائله
فاتني أن أرى الديار بطرفي
فليعلي أرى الديار بسمعي
فليعلي أرى الديار بسمعي
وأما مساجد الفتح وهي من غربي سلع، فالأول المرتفع على قطعة منه يسمى
مسجد الأحزاب، ومساحته عشرون ذراعاً في سبعة عشر صحناً أنه صلى الله تعالى وسلم
عليه صلى فيه ودعا فيه عليهم يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء^(١)
وهذا هو الأصل في تخصيص هذا اليوم بزيارة هذه المساجد، وسمى مسجد الفتح لقوله
عليه السلام ابشروا بفتح الله ونصره^(٢)، لأن سورة الفتح به نزلت والمسجد الذي يلي
الأعلى قبله مسجد سلمان رضي الله تعالى عنه ويعرف بمسجد علي كرم الله وجهه
ومساحته ثلاثة عشر في ستة عشر، والثالث مسجد الصديق رضي الله تعالى عنه والرابع
في قبلة الثالث، على قطعة من جبل سلع، ويعرف بمسجد أبي ذر رضي الله تعالى عنه،
صح أنه عليه السلام صلى في كل من هذه المساجد^(٣) وفي غربي المسجد الثالث
صهريج يمتلي من سبل أبي جيدة وعليه ايوان لطيفة يقال له من عمارة إبراهيم آغا وفي
غربي الصهريج، حديقة لطيفة وسبيل عمر في سنة ثمان وأربعين وألف وخلفه إلى
جانب المغرب حدائق وبساتين ومزارع وفي شرقي سلع حول مناخ الراكب الشامي،
حدائق ذات بهجة من أحسنها الزكي وهي حديقة ذات نضارة وعمارة وهي عند مشهد
السيد محمد الزكي وبه عرفت وهي في قبلة ثنية الوداع وعلى ذكر الثنية فما أحسن ما
قال :

جلا ثغر أو اطلع لي نيابا^(٤)
وأنشد ثغره الأصحاب فخراً
يسوق بها المحب إلى المنايا
أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
وقال صدر الدين بن الفيومي :

جلا مسواك خير در
وأنشد صحبة تيهًا وعجبًا
فجل بذاك واكتسب المزاي
أنا بن جلا وطلاع الثنايا
ومن الحدائق المعتبرة هنالك الحديقة القيرسلية وهي قبلة مسجد الراية والحديقة
المكارية والحديقة السنانية والحديقة الحمامية والحديقة الفيرزية وعمارة الوزير
مصطفى باشا منارة كأنها جنان يسلموا بها عن همه الجنان.

(١) لم أجده .
(٢) ورد في دلائل النبوة للبيهقي ٤٠٣/٣ .
(٣) لم أجده .
(٤) في ب [نيابا] .

باب في ذكر قباء ومحاسن هاتيك الربا

يقولون لي صفها فأنت بوصفها خبير أجل عندي بأوصافها علم
قبا بالضم يمد ويقصر، على ميلين من المدينة المنورة وفي آثار البلاد وأخبار
العباد للقزويني، قبا قرية لطيفة على ثلاثة أميال من المدينة بها ما يلد العين من حسن
منظر وما ترضيه النفس من شهواتها.

زمردة خضر أتدرين قرطها بلؤلؤة بيضاء من زهراتها
وأقول في ذلك، وإن لم أكن هنالك:

ما أطيب الأيام فيها تنقضي والعين قد قرت بوصل حبيبها
ما للعيش إلا في حماها ليت لي مأوى ولو في سفحها ورحيبها
وبالجملة، فإنها رياض رق أديمها، وراق نسيمها، ونم طيبها وترنم عندليبها
وتحركت عيدانها، وتمايلت أغصانها وتفوقت أزهارها وصوت هزارها تسلسلت^(١)
جداولها وتبلبلت بلابلها وهذا ما أملته الخمائل يغمرها والنسمات برمزها وأشارت إليه
الأزهار بلسان حالها وترحمت عنه الأطياف في حلولها وارتحالها وقال الماء الذي جعل
منه كل شيء حي، ألا يا أهل الحي، من طالع مثالي فهم ضرب أمثالي ومن أعجم عليه
اشكالي فليس من اشكالي والحمد لله البعيد في قربه، القريب في بعده [المتعالي في
جده عن هزل القول وجده الموجد ما كان عدما]^(٢) المودع كل موجود كلما جاعل
العقل، حكما يميز بينه الشيء وضده، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما
يمسك فلا مرسل له من بعده؛ فلله أول مسجد أسس على التقوى وفي الله قلوب على
الطاعة تقوى، في حضرة ما أبهاها وروضة ما أشهاها الجداول قد سلت بأيديها كل
عصب صقيل صبيغ فضة بيد الضحى وذهباً بيد الأصيل والأغصان كأنما خلقت منابر
لخطباء الحمام وصورت أوراقها محاجر لدموع الغمام والطير ما بين متطلع من وكنه
وقائم على غصنه من كل مغوف الطيلسان، ومطوق، يزهو طوقه على طوق العقيان:

(١) في أ [وتسلسلت].

(٢) سقط من أ.

يصلن بنوحي نوحهن وإنما
فلله هاتيك الحقائق، وقد سقاها ماء النعيم، وألبسها نعماء النسيم ونقل الشمال
إلى الشميم طيها وتحركت بالأشواق إليها قلوب العشاق ولا تحرك الأغصان حين حرك
رطيها ولقد طالت حيرة البليغ في وصفها وما عسى أن تحمل الشمال من طيب عرفها:

فيا حسن هاتيك الرياض وطيها
ولا سيما تلك السواني فانها
أطارحها شجوي وصارت كأنما
وما بين هاتيك النخيل منارة
وفي سفح ذاك الجزع أي كواكب
سقى سفحها وبل من الغيث هاطل
فكم قد نعمنا في ظلال رياضها
فمن لي بها مع من ود دنوه
أنشد لنفسه الشيخ أبو عبد الله الفيومي:

لله يوم في قبا قد مر لي
وتمتعت في روضة أحداقنا
وقال العفيف التلمساني:

يا سائق العيس نحو كاظمه
وقل قضى ذلك المشوق بكم
ومن سحريات الحقائق:

ما نلت ليلة وصلي طيب السمر
لقد أتيت على ما كان في خلدي
لله ليلة أنس بات معتنقي
ذاك الذي أوتي القرآن معجزة
لولاه ما فاز بالفخر الجميل قبا
أكرم به مسجداً ظل الفخار به
والروض قد لعبت أيدي النسيم به

(١) في ب [في].

والعذب قد راق والساقى يطوف به
والطير قد رقصت في وكرها طرباً
يهنيك يا قلب هذا الوصل وابتهجي
وانت يا فيه الإسلام ما برحت
وأنت يا ليلة الأنس التي لطفت
ما أطيّب العيش لولا بن حاسدة
الليل ما بين أهل الوصل مختصر
ومن ذلك في هذه المسالك:

نشر الريح ما طوى كم زهر
وتغنت سواجع الايك فيها
في رياض الجزع تزهر وتزهى
وكذا الملفحات جادت وأبدت
يستوي في المصيف عند استواها
ما ألد الحياة فيها وأحلى
ونديم من الصفا ومدام
[ومدبر من الوفا كاس حب
ومغن من العين وسماع
وأمان من الرقيب وقرب
هذه عيشة الكرام وفيها
واسألوا إن بلغتموها أمانا
ومن تلك الأوصاف في هاتيك الأصناف:

على الجداول فما روض من الزهر
أغنت برنتها عن زخمة الوتر
يا نفس واغتنمي من صحة العمر
روحي فذاك تقرر عن سائر الغير
لقد حللت محل السمع والبصر
ما أطول الليل لولا فرحة الظفر
لو طال ما طال منسوب إلى القصر

فزكا عرف ما شدا كل نشر
وكذا الدوح هزه صوت ممري
قد بدا من كمامها نشر زهر
يا نديمي من طلعتها خير بشر
كل ضيف لها وعبد وحر
خطر أتى بين أثل وسدر
من وداد يروق من صفو صدر
مع طيب يفوق أطيّب عطر
من لسان الثنا بحمد وشكر
من وقار وبعد ما كان يزرى
فأقبلوا يا أولى الصبابة عذري
من صروف الردى ومن سوء غدري

أموت وأفنى ان تغنى مع السحر
أطارت فؤادي حيث كانت من الشجر
بليت بأنواع الشجون وبالفكر
وكنت متى هب النسيم على خطر
وأني بها طول الحياة على حذر
أصبت به لم يغفلوني من النظر
ونلت بهم كل الأماني مع الظفر

إذا غرد القمري بكيت وإن بكى
وإن سجعت فوق الغصون سواجع
وإن صوتت بين الأراك بلائيل
وإن هب نشر الروض زاد بي الهوى
أبى العيش صفواً والمحبة راحة
رعى الله أهل الجزع لو علموا الذي
وكنت بهم في طيب عيش ولذة

فيا قلب صبراً علي أخطي وصلهم واسلم في باقي الزمان من الغير
ومن كتاب الحقائق الغالية - في قبا والعالية الحمد لله الذي كرمني بوصال من
الهوى وشرفني بمسجده المؤسس على التقوى، وفضلني على جميع الضواحي وكلمني
دون سائر النواحي [وأحمدته على^(١)] ما منحني به من حلول الرسول وأشكره لما نحلني
من آثاره غاية السؤال، والصلاة والسلام على من تشرفت به البطاح والربا وعمرت
بحلوله حلة قبا وعلى آله وأصحابه وشيعته وأحزابه وعنه عليه الصلاة والسلام صلاة في
مسجد قبا كعمرة^(٢) وفي الأثر لأن أصلي في مسجد قبا ركعتين أحب إلي أن أتى بيت
المقدس مرتين وكان عليه الصلاة والسلام يأتي قباء راكباً وماشياً فيصلّي فيه ركعتين^(٣)
والأولى أن يزار يوم السبت لأنه عليه السلام كان يأتيه كل سبت^(٤) وسبب اختصاصه به
انه عليه السلام كان يفقد بعض أهل قبا يوم الجمعة، فيسأل عن المفقود فيقال له انه
مريض فيذهب يوم السبت لزيارته^(٥) وفيه رد لمن منع زيارة المريض في يوم السبت.

وأشدد في اجارة لنفسه بجلب المحروسة الشيخ فتح الله البيلوني:

السبت والاثنين والأربعاء تجنب المرضى بها أن تزار
بطيبة يعرف هذا فلا تقيل فان العرف على المنار
وما أوقع ما قال:

-
- (١) في ب [الحمد لله رب العالمين].
(٢) * أخرجه ابن ماجه في إقامة الصلاة ٤٥٢/١ الحديث ١٤١١. والحاكم في المستدرک ٤٨٧/١
وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
(٣) أخرجه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٨٣/٣ الحديث ١١٩٤. وأخرجه
مسلم في الحج ١٠١٦/٢ الحديث ٥١٦ (١٣٩٩). اعلم أن قباء: بضم القاف ثم موحدة
ممدودة عند أكثر أهل اللغة وأنكر السكون قصره لكن حكاه صاحب العين. قال البكر: من
العرب من يذكره فيصرفه ومنهم من يؤنثه فلا يصرفه. وفي المطالع: هو على ثلاثة أميال من
المدينة. وقال ياقوت: على ميلين على يسار قاصد مكة وهو من عوالي المدينة وسمى باسم
بئر هناك. انظر فتح الباري (٨٢/٣). وقوله [راكباً وماشياً]: أي بحسب ما تيسر، والواو
بمعنى أو. انظر: فتح الباري ٨٣/٣.
(٤) أخرجه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٨٣/٣ الحديث ١١٩٣. ومسلم في
الحج ١٠١٧/٢ الحديث ٥٢٠/١٣٩٩. ومن فضائل مسجد قباء ما رواه عمر بن شبة في
[أخبار المدينة قيد الطبع بتحقيقنا محمد فارس] بإسناد صحيح عن سعد بن أبي وقاص «لأن
أصلي في مسجد قباء ركعتين أحب إلي من أن آتي بيت المقدس مرتين، لو يعلمون ما في قباء
لضربوا إليه أكباد الإبل». انظر فتح الباري (٨٣/٣).
(٥) لم أجده.

وللناس عادات وقد ألفوا بها لها سنن يدعونها وفروض فمن لم يعاشرهم على العرف بينهم فذاك ثقیل عندهم وبغیض وفيه حكمة زیادة أهله فيه، لزیادة علم المؤتی فيه، لأنه یزید علمهم یوم الجمعة ویومًا قبله ویومًا بعده مسئلة فی سنة أربع وثمانمئة جدد برسبای علی ید شیخ الخدام قاسم المحلی غالب مسجد قبا وسقطت منارته سنة سبع وسبعین وثمانمئة فجددت مع عمارة المسجد النبوی علی ید الشمس بن الزمن بعد هدم المنارة للأساس مع ما یلیها من سور المسجد إلى آخر بابه الغربی وأعيد مع سد الطیقان التي كانت مفتوحة فيه مما یلی السقف تشبه طیقانه الباقية وجدد بعض سقفه^(١) وفي حدود الثلاثین [بعد الألف]^(٢) جددت أيضًا عمارته علی ید شیخ الحرم النبوی محمد مجد^(٣) وهو الآن فی نضارة هذه العمارة فلا زال معمورًا بدوام الإسلام ولا برح مغموم الأکتاف بالغمام.

تتمیم: لما قدم النبی ﷺ المدينة نزل فی بني عمرو بن عوف علی کلثوم بن الهمد فمکث عندهم الاثنین والثلاثاء والأربعاء والخمیس وأخذ مرید کلثوم فعمله مسجدًا وأسسہ وصلى فيه إلى بیت المقدس وهو مسجد قباء^(٤).

وجاء فی الأثر أن الخضر علیه السلام یصلي فی کل جمعة فی خمس مساجد المسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد بیت المقدس ومسجد قباء ویصلي فی کل ليلة جمعة فی مسجد الطور.

وصلى علیه السلام إلى الاسطوان الثالث من مسجد قباء فی الرحبة ولم یزل یزور المسجد مدة حیاته وصح أنه علیه الصلاة والسلام کان یستقبل بیت المقدس^(٥) حتی نسخ ذلك فأتى آت قبا وهم فی صلاة الصبح فأخبرهم وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الکعبة وكانت القبلة قبل صرفها عند الاسطوانة الثالثة فی الرحبة. فائدة قال السهيلي إن الصحابة رضي الله عنهم أخذوا التأریخ بالهجرة من قوله تعالى لمسجد أسس علی التقوی من أول یوم وهل هو مسجد قبا أم مسجده صلى الله تعالى وسلم علیه قولان أرجحهما الثاني ومن محاسن هذا المسجد بثره التي ماؤها من أحلى المیاء وأعذبها وطیب الهواء الرطب واختلافه فی أروقتة.

(٥) أخرجه البخاري فی الصلاة ٦٠٣/١ الحديث ٤٠٣. وأخرجه مسلم فی المساجد ٣٧٥/١ الحديث ٥٢٦/١٣. وأخرجه الإمام أحمد فی مسنده ١٥٤/٢ ج ١٥٥ الحديث ٥٩٣٩.

(١) فی أ [عققه].

(٢) فی ب [وآلف].

(٣) فی ب [حجر].

(٤) لم أجده.

وكان يقال :

شيئان أحلى من عناق الخرد وألذ من شرب القراح الأسود
وأعز من رتب الملوك عليهم حلل الحرير مطرزا بالعسجد
سود الدفاتر أن أكون نديمها أبد الزمان ويرد ظل المسجد^(١)

ومما يتبرك به بقبا دار سعد بن خيثمة في قبلة مسجد قبا لأنه ورد أنه عليه السلام اضطجع فيه^(٢) وخلفه من الجانب الغربي مسجد ينسب لعلي كرم الله وجهه وأمامه من الجانب القبلي مسجد ينسب لفاطمة بنت رسول الله ﷺ وأما مسجد الضرار بقبا فقد عفا أثره وهفا خبره وأما أهل قبا فهم الذين قال الله في حقهم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والخلف في بركة السلف وعن عويمر بن ساعدة أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لأهل قبا - إن الله تعالى قد أحسن الثناء عليكم في كتابه العزيز فقال فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ما هذا الطهور فقالوا ما نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا^(٣) وعن زيد بن أسلم الحمد لله الذي قرب منا مسجد قبا ولو كان بأفق من الآفاق لضربنا إليه أكباد الإبل وعن بعض الأكابر أن المكروب إذا نادى يا أهل قبا فرج الله تعالى عنه^(٤).

وما أحسن ما قال :

يحركنا ذكر الأحاديث عنهم ولولا هواهم في الحشا ما تحركنا
ولولا معانيهم تراها قلوبنا إذا نحن أيقاظ وفي النوم إن نمنا
لدبنا أسى من لوعة وصباة على أن في المعنى معانيهم معنا
فقل للذي ينهى عن الوجد أهله إذا لم تذق وشراب الهوى دعنا
وسلم لنا فيما أدعينا فإننا إذا غلبت أشواقنا ربما بحنا
ولله در القائل :

حديث ذاك الحمى روي وريحان فلا تلمني إذا كررت ألحاني
روض به الدوح والريحان قد جمعا وخضرة ما لها في حسنهما ثاني

(١) سقط من ب .

(٢) لم أجده .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥١٦/٣ الحديث ١٥٤٩١ . والحاكم في المستدرک ١٥٥/١

وقال هذا حديث صحيح ووافقه الذهبي .

(٤) سقط من أ .

الماء والزهر والأطيار يرقص في
فالوصل دان وطيب الحال ينشدنا
وقال آخر:

على تلك الربوع وساكنيها
يكرره لساني بل كتابي
وأدعوا الله مع سرف المعاصي
ومن محاسن قبا الحسنية وهي في شرقي المسجد حديقة حسنا أنيقة غناء جامعة
بين العمارة والنضارة رياضها زاهية زاهرة وحياضها باهية باهرة قد عذب ينبوعها
وأشرقت ربوعها ورق فيها النسيم وتأرج بهاء الشميم».

والماء يخفي سجلي في التدفق صوته
والوقت ينشد من يحاول صفوه
وما أحسن ما قال:

رعى الله أياما بها قد تصرمت
ليالي وصال لو تباع شريتها
وفي هذه الحديقة بركة بدبعة في وصفها محكمة في صنعها محفوفة بالأشجار
والأزهار مباحة للفقراء والزوار وأخرى فائقة في أنسها رائعة في نفسها عليها إيوان مشيد
الرواق وعمارة تروق الأحداق وعلى ذكر البركة أنشد لنفسه بن تميم:

لقد قابلتنا بالعجائب بركة
كان الذي يرنو إليها بلحظة
وقال آخر:

وبركة للعيون تبدو
كأنها إذا صفت وراقت
في غاية الحسن والصفاء
في الأرض جزء من السماء

مسئلة

إن قيل لم كان القائم على الماء يرى أعلاه أسفله وأسفله أعلاه ويرى السماء
تحت الماء مع أنها فوقه الجواب إن معرفة ذلك متوقفة على معرفة قاعدة من علم
الهندسة^(٢) وهي أن الشعاع الخارج من العين إذا اتصل بجسم صقيل كالماء لم يثبت
عليه لصقاله وزلق عنه إلى الجهة المقابلة للرائي إن لم يكن الصقيل أمامه بحيث تكون

(١) سقط من ب.

(٢) في ب [الهندسية].

زاوية الالتقاء على الصقيل مثل زاوية الانعكاس في المساحة من غير زيادة ولا نقصان فهاتان الزاويتان في السعة واحدة فيتصل طرف الشعاع بالقائم ثم يجري فيه خياله إلى الماء فينقطع فيه وكان القائم وقع على سطح الماء والقائم إذا وقع يصير أسفله أعلاه فلذلك ترى السماء تحته وكل ما هو أعلى من صاحبه يراه أسفله فلو أقيم الما واقفاً كالمرأة رأى على هيئته فالقائم في القائم في منعكس لأن موضوع الانطباع وهو الماء أسفل والقائم وهو شعاع العين أت إليه فكأنه انطبع فيه وهو قائم فأخذه وانبطح والانبطاح في الحقيقة إنما هو وجه الماء لا في عمقه والحس لا يمكنه ضبط ذلك فيغلط فيه الوهم فيراه في جوفه كأنه قد غرق بعد الانبطاح على وجه الماء في الماء ولو غرقت الشجرة كان رأسها أسفل وهو ضرورة وكل ما هو على مثل السماء وغيرها يرى أسفل وما أحسن ما قال:

أرى مستقيم الطرف ما دمت عندكم وإن مال طرفي عنكم فهو أحول
وقال آخر بلسان أهل التوحيد:

بانعكاس الشعاع في المرأة وانعطاف الصدى على الأصوات
أيقن القوم إنه ليس في الكسوف سوى مقتضى سور الذات
مسئلة: والشيء بالشئ يذكر بالاستطراد أو بالمناسبة من غلط الحس أن الشخص
الماشي قد يرى القمر تحت السحاب متحركاً إلى غير جهته التي يتحرك إليها بالذات
وذلك على رأي القائلين بالشعاع وأنه المتحرك وفيه كلام طويل يطلب من بابه وأما رؤية
الشمس كبيرة وصغيرة فلأن في جهة المشرق والمغرب رطوبات تتصاعد فتتفقد سففاً
فترى فيها الشمس كبيرة بسبب الرطوبات ورؤية النار البعيدة كبيرة وهي صغيرة والجمال
ونحوها في السراب طوالاً ونظائر ذلك تطلب من علم المناظرة وفيه لابن الهيثم كتاب
في سبع مجلدات ومن أحسن حقائق قبا بل حقائق المدينة بالإجماع القويم مصغر القائم
قاله كما قيل:

روض كمخضر العذار وجدول نقشت عليه يد النسيم مبارداً
والنخل كالهيئ الحسن تزينت فليس من أثمارهن قلائداً
أو كما قال:

رياض إذا ما ذقت كوثر مائها أهيم كأنني قد ثملت بأسفنت
ومن يجتهد في أن^(١) في الأرض روضة تماثلها قل^(٢) أنت مجتهد ومخطيء

(١) في ب [بان].

(٢) في ب [فلا].

امثل شوقًا فأشكلها في ضمائري
فتتبع عيني ذلك الشكل بالنقط
ولله در القائل :

لم لا أهيّج إلى الرياض وحسنها
والزهر حياني ثغر باسم
وبالجملة فإنها ذات رياض تسلسلت^(١) جداول مائها وقصور تزين الأفق بنجوم
سمائها بها النخيل التي لا تحصى والأشجار التي لا تستقصى غياضها مشهودة وحياضها
مورودة بين مبان^(٢) وثيقة، ومغان أنيقة قد اشتمل على عمارات حسنة وأوضاع بديعة
مستحسنة وبثر هي أوسع الأبار دولابًا.

ومنارة تزهر محاسن واعجابًا
ويصلح أن يقال فيها:

انظر إلى البركة الفيحاء التي اكتنفت
كأنما هي والأبصار ترمقها
وقال آخر:

قد قلت في البركة الفيحاء وقد جمعت
إن كان في الفلك الأعلى يرى قمرًا
والذي انشأ هذه الحديقة الغناء هو السيد الشريف أحمد بن سعد الحسيني نقيب
السادة الأشراف بالمدينة المنورة ومن الأبيات المكتوبة باللازورد في سقف إيوانه تغمده
الله تعالى برضوانه.

مجلس السعد عامر بالتهاني
جمع الحسن والبها فتسامى
وتباهى بمن حوى وتنأهى
فهو عين البنيان حقًا كما قد
إن يكن مغرد البنا فلا عز
قال قد حزت كل معنى وحسبي
جاوز المدح في معانيه حتى
عندما تم رونقًا وجمالاً

(٢) في ب [بين متان].

(١) في أ [تسلسلت].

انشد الحال في علاه ونادى
من صروف الزمان لا تخش ضيماً
ولسان السعود أرخ فيه
ومنها. ولله در قائلها:

يا ابن سعد لقد بلغت الامان
أنت جار لسيد الأكوان
عش مقيماً بدار سعدك [(١)

يهنيك يا أشرف المجالس
في طيبة في جوار طه
يشاهد المصطفى دوماً
منشيك من سادة كرام
قد طاب أصلاً وطاب فرعاً
وكم من المجد شاد بيتاً
لا زال في عزه مقيم
قالوا فأرخ لنا بناه
تاريخه أحمد بن سعد

حللت في أطيب المغارس
جوار عز بلا مقاييس
من حل عليك وهو جالس
ليس له في العلا منافس
وحاز من معظم النفائس
حماء بالبيض واللوابس
يرفل في أجمل الملابس
فقلت قولاً له مجانس
قد حل في أرفع المجالس

وخلف هذه الحديقة من جانب الشمال حديقة من أحسن الحدائق وأبهجها تسمى
القائم وهي لآل شاهين قال في زهر الرياض إلا أنه يحسن أن يقال فيهما من حيث
التسمية اعكس تصيب لأن القويم أوسع منه دائرة وأكثر نخلاً وأنضر كرماً خلا ما اشتمل
عليه من المساكن الطيبة العامرة قلت ولعل التصغير هنا مما اريد به المحبة والتعظيم.

كما قال ثعلب:

بذيالك الوادي أهيم ولم أقل
ولكن إذا ما حب شيء تعلقت

بذيالك الوادي وذياك من زهدي
به أحرف التصغير من شدة الوجد

ومن محاسن حدائق قبا الشدقا والشديقا والبستان وبثر عذق والبويرة فإنها عيون
تلك الأماكن ومنازة هاتيك المساكن.

ومن محاسن قبا بثر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال في زهر الرياض وإبتنى
الشمس بن الزمن بعد عمارة مسجد قبا البركة والسبيل المقابلتين له بحديقة العيني وقد
صارا للوزير محمد باشا مع بثر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليه وحديقتهما وحصنها.

(١) ثبت في أ، ب [هين].

قلت وهي الآن من أحسن أماكن قبا عمارة ونضارة وفيها إيوان كأنه كما يقال إيوان كسرى .

فائدة إيوان كسرى على مرحلتين من بغداد بناه الملك ابرويز في نيف وعشرين سنة طوله مائة ذراع في عرض خمسين في سمك مائة بالأجر الكبار والجص وطول الشرافة خمسة عشر ذراعاً كذا في كتاب تحفة الأصحاب ونزهة الألباب نكتة من لطائف أخبار الملوك عن بعض رسلهم انه دخل على كسرى فرأى في إيوانه اعوجاجاً فسأل عن سببه ف قيل له أنه كان مكان بيت لعجوز فقيرة فسألها الملك بيعه وأرغبها فامتنعت فتركه وبنى الإيوان كما هو عليه الآن فقال هذا الاعوجاج خير من الاستقامة وكان كسرى وضع في إيوانه سلسلة ذات أجراس وجعل طرفها خارجاً عن القبة ونادى من كان مظلوماً فليحرك السلسلة ليعلم به الملك فيزيل ظلامته . قال العسكري وهذا هو الأصل في قولهم حرك عليه السلسلة .

ويحكى أن كسرى كان جالساً في إيوانه فإذا حية قد دنت من عش حمامة في بعض شرف الإيوان لتأكل فراخها فرمى الحية بسهم فقتلها وقال هكذا نفعل بعدو من استجار بنا ثم إن الحمامة جاءت بجب في منقارها فألقته بين يديه فأخذه وقال ازرعوه فنبت ريحاناً لم يعرف فقال نعم ما كافتنا به الحمامة .

كل الأمور إذا نظرت إعارة إلا الشناء فإنه لك باقي
لو أنني خيرت كل فضيلة ما اخترت غير مكارم الأخلاق
واشتهرت بثر النبي صلى الله تعالى وسلم عليه كالشهداء بالعنب الجيد وبالجملة فإن قبا من الكروم أنواعاً مختلفة منها المدني وهو أنواع منه البرني ويقال له المراودي وهو أجودها لرقته وحلاوته وهو يحاكي الزيني من أعناب الشام ومنه البيض وهو دونه ومنه السكر وهو متوسط ومنها الحجازي وهو أنواع منه البياضي ويختلف في الرقة والغلظ ومنه السوادي وهو أحسن منه ومنه الخمري وهو أجود ولا عجم لصغاره وفي كتاب البركة في السعي والحركة أن نوحاً عليه السلام شكى من الغم فأوحى الله تعالى إليه أن كل العنب الأسود انتهى وأحسن العنب ما كان في حدائق قباء ثم العالية ثم جفاف^(١) ثم باقي بساتين المدينة وكان بالعقيق كروم كثيرة ويحكى أنه كان لسعد بن أبي وقاص بالعقيق كرم تباع ثمرته بألف دينار فبلغه أن شبان المدينة يصنعون منه الخمر فقطع أصول كرمه تميم مانون كقانون ورائونا مقصور اسم سيل^(٢) من جبل في يمانى

(١) سقط من ب .

(٢) في ب [جبل] .

غير يمر بالعصب ويعترض قباء يمينًا فيدخل الشدقاء والبستان ثم يخرج إلى العليقة ثم يمر بصرارة شاهين ثم يشارك سيل وادي بطحان المعروف بأبي^(١) جيده من غربي القصيبة في قبلي المصلى وسيل بطحان يأتي من^(٢) على سبعة أميال من المدينة يمر بالصيحاني المعروف بأب عشرة ثم بجفاف ثم بالقصة بالفاء وهو موضع في غربي الماجشونية ثم بالمصلى ومساجد الفتح ثم بالغابة وينتهي مع السيول إلى البحر ومن محاسن حدائق قباء العليقة بضم العين المهملة وفتح اللام تصغير علة بالضم وهو منتزه بديع في حدة حسن وبمحاسنه يذهب عن القلب الحزن عليه من بهاء البدر نور وضوء الشمس يكسوه الشعاعا وماؤه العذب في أقصى درجات الحلوى وهوأؤه الرطب من أطيب ما تشتهيئه الملاء وبالجمله فكل هاتيك الحدائق ذات رياض وحياض وأشجار وأزهار.

ومن رام لي بها اللوى حيناً
وثنت نحوها الثنية قلباً
وما أحسن ما قال
ليس النزاهة في المنازل كلها
إلا^(٣) إذا ما كنت وسط حديقة
ولله در القائل :

يا من يلوم على الهوى
لا يشغلك^(٤) غير ما
وقال آخر :

يعنفني أهل البلاغة حيثما
وينهون مثلي عن عكوفي على الهوى
وقال :

لا تلمني على الوقوف بدار
جعلوا لي إلى^(٥) هواهم سبيلاً
وخلف هذه الحديقة من جانب الشمال حديقة مورقة الأشجار مونة الشمار

(١) في ب [لابن].

(٢) في ب [الغال].

(٣) سقط من ب.

(٤) في ب [بابن].

(٥) سقط من ب.

(٦) سقط من ب.

خفيفة^(١) الماء العذب لطيفة الهواء الرطب وتعرف بالسرارة بفتح السين المهملة وتشديد الراء قال في زهر الرياض ولا يعرف اليوم بالسرارة غير هذه الحديقة وما حولها وبها نخلة مثنية يقال إنها انثنت للنبي صلى الله تعالى وسلم عليه حتى تناول منها^(٢). وهذا على المشهور^(٣) لا على ما هو المسطور والناس يتبركون بها لذلك ويشترون ثمرها بأعلى ثمن وليست من حر النخل بل من أوسطه ويسمى جنسها الوحشي بصيغة مقابل^(٤) الإنسي والحديقة المذكورة بيد آل شاهين من الأشراف الوحادة الحسينيين انتهى.

قلت وإذا صح خبر النخلة فينبغي أن تكون من حر النخل بل يجب أن تكون من أعلاه كما قال :

وأكرم إحداق الحدايق منشداً لعين تجازي ألف عين وتكرم
وما زال الناس يهدون تمر المدينة المنورة إلى الآفاق ويتبارك به كل محب
ومشتاق وأنشدوا :

أفضل تهديّة أمثالنا من طيبة مدفن خير الأنام
بعض تميرات إذا أمكنت تبركاً ثم الدعا والسلام
وقال آخر :

خير الهدية من مدينة أحمد دعوات صدق عند قبر المصطفى
بركاتها ترجى ويرجى نفعها وبها الشفاء لمن يكون على شفا
وقد أدركت جزوعاً بالية مجموعة في هذه الحديقة يتبرك الناس بها ويزعمون أنها
بقايا تلك النخلة وأولادها وقد وضع عليها مسجد لطيف وذلك في حدود نيف وعشرين
ألف وخلف هذه الحديقة من جهة الشمال حديقة معطرة بالأزهار مشتملة على أعناب
ونخيل وأشجار تعرف بجزع العرصات^(٥) ولعلها المعنية بقوله :

إلى الله أشكو بالمدينة حاجةً وبالجزع أخرى كيف يلتقيان
وبالجملة فإنها بقعة تأرجت بطيب تربها وأشرق أرضها بنور ربها وطلعت أهلة
بدورها من آفاق السعود وتواصلت نفحات الهوى المقصور بها ولا تواصل نسمات
الهوى المحدود.

(١) في ب [خفيه].
(٢) لم أجده.
(٣) في ب [هو].
(٤) في أ [مفانيل].
(٥) في أ [الفرمات].

فهى الروضة المورقة الأشجار والغیضة المونقة الأزهار
 فلو أننى فى جنة الخلد بعدها ذكرت ولا أنسى للذاتها أنسا
 فى لها من رياض تعطرت بأرجها^(١) الأنفاس، وقال لسان التصديق فى جواب
 الاستفهام عنها لا بأس رياض أشجارها باهىة باهرة، وحياض أزهارها زاهية زاهرة.
 وقال آخر:

رياض بها الحصباء در وتربها عبير وأنفاس الشمال شمول
 تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق وصح نسيم الروض وهو عليل
 رياض أثمارها باسقة وغياض أطيارها ناطقة فلو تأملت فى أغصان رياضها الأنيقة
 لرأيت كلاً بمفرده حديقة فمدعى نضارتها عند أهل النظر مسلم وعلي محاسنها سالم من
 أن يوصف إلا بأنه موثق معلم قد فجرت على أرضها ينباع البديع عيوناً وانشأت على
 رياضها من أغصان التفريع فنوناً فطفقت تخطر بأكمام ثمرها وجعلت ترمق بأحداق
 زهرها ولقد أغدقت سحابها وتنمقت رحابها وهب نسيمها واهتز وسيمها وطالما أوقع
 القلب فى شرك الهوى تغريد هزارها وضاعف للصب غرامه طيب أزهارها هوى روضة
 قد طبق الأفق طيها.

هوى تذوق العينان منه وإنما هوى كل نفس حيث حل حبيبها
 فىا حسننها من رياض غدا جنوني فنوناً^(٢) بأفنائها
 جرى الماء فيها على رأسه لتقبيل أذيال أغصانها
 أو هي كما قال:

روض كأن ترابها أبداً بسماء الورد يسقى
 وكأن تربة أرضها جذبت من الكافور عرفاً^(٣)
 أو كما قال:

رياض بكاهها المزن وهي بواسم فناحت بغير الحزن فيها الحمام
 وأودعت الأنواء فيهن سرها فنمت عليهن الرياح النواسم
 يبيت الندى فى أفقها وهو نائر^(٤) ويضحى على أجيادها وهو ناظم
 كأن الأقاصى والعقيق تقابلا خدود جلاهن الصبا ومباسم

(١) فى ب [أرجها].

(٢) فى ب [جنوني جنوناً].

(٣) سقط من ب.

(٤) فى ب [ناشراً].

كأن بها للنرجس الغضِ أعيننا
 كأن ظلال القصب فوق غديرها
 كأن غناء^(٢) الورق الحان معبد
 كأن نثار^(٣) الشمس تحت غصونها
 كأن بها الغدران تحت جداول
 كأن ثمارًا في غصون نوسوست
 كأن القطوف الدانيات مواهب
 كأن بنان المصطفى قد لمسنه
 نبي انى غيثًا وغوثًا ورحمةً
 أما بثرها فقد اشتملت على بناء بديع محكم حتى كأن أحجارها فيها عقد منظم
 يعجز أبناء الصناعة عن تصور شكلها فضلاً عن الاتيان بمثلها يغض لها حسن مائها
 الغزير العذب بأن تكون من أحلى ما يشتهي القلب ويشهد لها بالشراحة ما اشتملت عليه
 من الملاحظة وما تناهيت في وصفي محاسنها ألا وأكثر مما قلت ما أدع.

ولقد أحسن التحليل من قال:

الماء قد عشق الغصون^(٥) فلم يزل
 حتى إذا فطن النسيم إنني له
 فإذا أتاه مهيمئًا بعتابه
 وأما بساينها في حسن تركيبها وترنم عندليبها فهي للأحزان تنفيس وللأشجان
 مغناطيس ان جرت محالها بالماء أجرت الدمع كالدماء وإن أسمعت غناءها جددت
 للنفس عنائها فهي منبع الشجو والغرام ومجمع اللهو والمرام.

أبدًا هكذا تأن بشجو
 أو هي كما قال:

وسانية كانت غصونًا وريقةً
 غدت في رياض الجزع تبكي وتشتكي
 وما أحسن ما قال:

(٤) في أ [أفرغت].

(٥) في ب [الغيون].

(٦) في ب [بديع].

(١) في ب [إذا ما اظهرت].

(٢) في ب [خفاء].

(٣) في ب [نثار].

يا يومنا بالجزع هل من عودة
فهواك لا يبدو السلو لطيبة
وقال آخر:

وبالجزع حي كلما عن ذكرهم
تمنيتهم بالإبرقين^(٢) ودارهم
وقال:

وبالجانب القبلي بالجزع شادن
إذا خطرت في خاطري منه سلوة
وقال:

عسى بالجانب القبلي يسري نسيمه^(٤)
فما اعتضت^(٥) عن تلك الربي غير حسرة
وقال:

أهيل^(٦) الحمى والجزع يهنيكم المغنى
بعدتم فأبعدتم عن النفس أنسها
ومن غراميات الشاب الظريف:

عفى الله عن قوم عفا الصبر عنهم
وبالجزع أحباب إذا ما ذكرتهم
تجنوا كأن لا ود بيني وبينهم
ومشبوب ناري وجنة وجناية
ألم وما في الركب منا متيم
وليس الهوى إلا التفاتة طامح
خليلي ما القلب هاجت شجونه
أظن ديار الحي منا قريبة

ليت الليالي للوصال^(١) تعيد
والله يبدي ما يشاء ويعيد

أمات الهوى مني فؤادي وأحياء
بوادي الفضا يا بعد ما أتمناه

له من فؤادي نائب وشفيع
تعرض شوق دونها وولوع^(٣)

من الروض بالعرف الذي كتب أغرني
عليها ودمع يستهل ويذرف

وصوت القماري والهزار إذا غنى
كأن الهنا لفظ وأنتم له معنى

فلو رمت ذكرى غيرهم خاني الفم^(٧)
شرفت بدمع في أواخره دم
قديمًا وحتى ما كأنهم هم
تعلمه إعطافه كيف يظلم
وعاد وما في الركب إلا متيم
يروق لعينه الجمال المنعم
وغادره^(٨) داء من الشوق مؤلم
ولا فمنها نسمة تنسم

(١) في ب [اعتنقت].

(٢) في ب [أصيل].

(٣) في ب [الدهر].

(٤) في ب [وغمره].

(١) في ب [للوصل].

(٢) في ب [بالإبرق منى].

(٣) في ب [ووداع].

(٤) في ب [بنسيمه].

ولله در القائل :

لا تلتفت بالله يا ناظري
ما السرب ما البان وما لعلع
يا قلب فاصرف عنك وهم النقا
[جمال من سميئة دائر
وإنما مطلبه في الذي
أصبحت فيه مغرمًا حائرًا
أنشد لنفسه أبو البركات السعدي :

وكم رمت كتم الحب عمن أحبه
إذا اختلج النبر المصون بخاطري
فتبدو ولا تبدو سرائر لوعتي
وقال الشيخ حسن البوريني :

تعشقت منه حالة لست قادرًا
تيقنت أني فيه أصبحت مغرمًا
ومن أشعار كتاب مصارع العشاق :

ولقد أقول لمن تعشق أغيدًا
ما مذهبي عشق الجمال مقيدًا
وفي المعنى للصيفي الحلبي :

ولقد تعرض للمحبة معشر
قالوا أتعشق رب كلا ملاحه
الحسن حيث وجدته في حيز
وقال الشيخ الشتيري :

أيا ساهيًا دع عنك رملة عالج
وكن قاصدًا للحق تحظ بنيله
فائدة: الجزع بالكسر.

لأهيف كالغصن الناضر
ما الخيف ما ظبي بني عامر
وخل عن سرب حمى حاجر
ما حاجة العاقل في الدائر^(١)
هام النورى في حسنه الباهر
لله در المغمرم الحياثر

وكيف يكتم الحب عن ساكن القلب
تقلب مني القلب جنبًا إلى جنب
وتخفى ولا تخفى وفي الحال ما ينبي

على وصفها إذا لم يذقها سوى قلبي
ولكني لم أدر ما سبب الحب

أو غادةً وغدا أسير وثاق
بل عشقه ديني على الاطلاق

عدموا من اللذات ما أنا واجد
فأجبتهم أن المحرك^(٢) واحد
هولي بإسباب الصبابة قائد

ونجدًا ولا تندب اراكا ولا خطًا
فما ثم إلا الحق لكنه غطا

(٢) في ب [المحرف].

١ في ب هذا البيت مؤخر عن الذي يليه.

وقال أبو عبيدة: اللائق به أن يكون مفتوحاً منعصف الوادي ووسطه أو منقطعه أو منحناه، أو لا يسمى جزءاً حتى تكون له سعة تنبت الشجر أو هو مكان بالوادي لا شجر فيه، وربما كان رملًا، ومحلة القوم، والمشرف من الأرض إلى جنبه طمأنينة جزع الأرض والوادي، كمنع قطعة أو عرضًا، والجزع ويكسر الخرز اليماني الصيني، فيه بياض وسواد، تشبه به العين، والتختم به يورث الهم والحزن والأحلام المفزعة ومخاصمة الناس كذا في القاموس (*).

وما أحسن ما قال:

ألا إن وادي الجزع أضحى ترابه من اللمس كافورًا وأعواده ندا
وما ذاك إلا أن^(١) عليا عشيةً تمشت وجرت في جوانبه بردا
ويطلق الجزع بالكسر اليوم على مواضع بالمدينة المنورة أشهرها جزع قباء وما في
غربي قباء، وقبلتها من الآبار فماؤه أعذب أمواء المدينة المنورة فائدة الماء همزية عن
الهاء وهو جوهر لطيف سيال يتلون بلون أناته، وفي شرح الهمزية لابن حجر قيل لا
لون له وإنما يتكيف بلون مقابلة والحق خلافه فقليل أبيض وقيل أسود والأسودان التمر
والماء.

وما أحسن ما قال:

في خده عرق بدا ذا حمرة لصفائه
هذا يحقق قولهم الماء لون إنائه
قال البصير في التذكرة، الماء اجل^(٢) العناصر البدنية بعد الهواء على الأصح لبقاء
البدن بدونه أكثر من بقائه بدون الهواء وتختلف باختلاف الأصل والسن والمزاج
والزمان، أجوده الخالص من ماء المطر القاطر وقت صفاء الجو ولم يخالطه مكدر
فالجاري مكشوفًا من البعد في أرض حرة أو حجر إلى الشرق أو الشمال النقي الأحجار
المهري لما طبخ فيه بسرعة الخفيف الوزن ونيل مصر أجمع لهذه الصفات ثم دجلة ثم
جيحون فالمطر فالمطبوخ فماء العين المستعمل فالبئر وكل ما تحرك أو جرى فجيد،
والصحيح عدم اختصاصه بدرجة في البرودة، يبلغ القداء أقصى الأعماق لأنه غذاء على
الصحيح لعدم انعقاده، حافظ للرطوبات الإفراط منه يرخى ويعد ويهزل، كما أن تركه
يجفف ويورث السدد. والجاري منه مغمورًا أو في رصاص، وطويل المكث والمكبرت

* انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ١٢/٣ - (١) سقط من ب.

(٢) في ب [أجن].

والمجاور للرمل والتراب وأصول الشجر والحشائش ردى يعفن الأخلاط، وغدير المطر إذ صفته الرياح جيد جدًا ينفع المجرور والمكدود، والكبريتي يعقب الحكمة والجرب شربًا ويمنع منهما غسلًا كمالح وزاجي، وماء الشب يقبض ويمنع تولد القمل غسلًا وماء الحديد سواء أخذ من معدنه أو طفى فيه يقوى الأعضاء ويحبس الاسهال والدم ويمنع الخفقان والزحير، وأما ماء الذهب والفضة أعظم فيما ذكر خصوصًا بالطفى، وماء النحاس مضر وأخبث منه ماء الرصاص ولا بأس بماء القصدير. وللماء الصحيح لذة ودخل في تدبير الصحة إذا استعمل بشروطه فهو لا يؤخذ قبل هضم فإنه مفسد للأغذية مبرد للمعدة، مصعد للأبخرة، وأن لا يستعمل الفاسد منه بلا مصلح، كأكل البصل قبله وبعده ومزجه بالخل وأن يكون بداعية صادقة فما شرب قبل خمس عشر درجة تمضى من الأكل الصفراوي وضعفها لدموي، وخمسة وأربعين لسوداوي وستين لبلغمي كاذب لا اعتداد به، شديد النكايه ولا بعد فاكهة فإنه يفسد الدم ولا بعد حمام وجماع فإنه يورث الرعشة والخدر ولا نوم لمن نام ولم يأخذ كفايته منه^(١)، ولا قائمًا ولا متكئًا والحر يفسد ولا يروي بل يغير اللون، والثلج والبرد أقل رطوبة من باقي المياه ويأخذ العطشان قبل الأكل وفي خلاله جائز بقدر الداعي، ولا يجوز على الريق إلا صيفًا أو زمن الطاعون انتهى.

ويروى انه عليه الصلاة والسلام أكل طعامًا وشرب ماء باردًا في الصيف وقال يا بردها على الكبد^(٢)، حكاه في كتاب البركة. وعنه عليه الصلاة والسلام إذا شرب أحدكم الماء فليشرب أبرد ما يقدر عليه لأنه أطفئ^(٣) للمرة وأنفع للغلة^(٤). وكان يأكل البرد ويقول يقتل الدود في الإنسان، وعنه عليه الصلاة والسلام الشرب في اثر الدسم داء في البطن^(٥). ويقال ان وجع الكبد من العب وهو جرع الماء من غير مص. وشرب عليه الصلاة في نفسين. وروى عنه عليه الصلاة والسلام من شرب الماء على الريق انتقضت قوته^(٦). وعن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه من شرب الماء بالليل وقال

(١) سقط من ب.

(٢) وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن أحب شراب عنده الحلو البارد الفرقدي (١٨٩٥) - للإمام أحمد ٢٤١٨٤

(٣) في ب [طفى].

(٤) لم أجده.

(٥) لم أجده.

(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط ٥١/٥ - ٥٢ الحديث ٤٦٤٦. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٩/٥، ٩٠ وقال فيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف.

ثلاثاً عليك السلام من ماء زمزم وماء الفرات؛ لم يضره وعن الباقر رضي الله تعالى عنه شرب الماء من قيام بالنهار أمرى وأصح^(١) وبالليل يورث الماء الأصفر. كذا في مكارم الأخلاق.

وأنشد الحافظ ابن حجر العسقلاني:

إذا رمت شرباً فاقعد تفز بسنة صفوة أهل الحجاز
وقد صححوا شربه قائماً ولكنه لبيان الجواز

تتميم اجتماع عند كسرى من الحكماء عراقي ورومي وهندي وسواي فقال كسرى ليصف كل منكم الدواء الذي لا داء معه فقال العراقي هو أن تشرب كل يوم على الريق ثلث جرع من الماء الساخن، وقال الرومي هو أن يسف كل يوم قليلاً من حب الرشاد وقال الهندي هو أن تأكل كل يوم ثلاث حبات^(٢) من الاهليلج الأسود والسواي ساكت وكان أصغرهم وأحدثهم.

وكان يقال:

عليكم بآراء الشباب فإنها فروع ذكاء لم تنل قدم العهد

فقال له الملك ألا تتكلم فقال أيد الله الملك، الماء الساخن يذيب شحم الكلا ويرخي المعدة وحب الرشاد يهيج الصفراء، والاهليلج الأسود يحرك السوداء، قال فما الذي تقول أنت فقال الدواء الذي لا داء معه أن لا تأكل حتى تجوع ولا تشرب حتى تظمأ فإذا أكلت أو شربت فارفع يدك عند الشبع واقطع شريك قبل الري^(٣) فإنك لا تشكو إلا علة الموت، فصدقه^(٤) كل منهم فيما ادعاه، وكان يقال الاحتماء في وقت الصحة خير من شرب الأدوية وقت المرض. وكان يقال الطب حفظ صحة موجودة أورد صحة مفقودة، الأول متيسر والثاني متعسر أو متعذر ومن المجربات درهم مستكا^(٥) يطبخ في رخل ماء صاف^(٦) في فخار جديد إلى أن يذهب ثلثه للاستسقاء والقيء والغثيان والزحير ويقوي الهضم، ويجدد الفخار في كل مرة ويذللها الأذخر وتعديله الجوز كذا في التذكرة. وقد طال الكلام وخرج عن سلك النظام ولربما ساق المحدث بعض ما ليس النديم إليه بالمحتاج وهذا وإن كان من قبيل الجمل المعترضة

(١) في ب [فصدقه الملك وصدقه].

(٢) في ب [مصلحاً].

(٣) سقط من أ.

(٤) في أ [أصبح].

(٥) في ب [قليلاً].

(٦) سقط من ب.

ينبغي أن يكون من حشو اللوزينج . فإن الحاجة إليه ماسة وبمراعاة مثل ذلك سلامة الحاسة وذلك من أعز مطالب العقول كما هو مسطور منقول .

تسل عن كل شيء بالحياة فقد يهون عند بقاء الجوهر العرض
يعوض الله عما أنت متلفه وليس للنفس إن أتلقتها عوض
ومن محاسن حدائق قباء الصمد، وحوسان، والجعفرية وكانت غرة في جبهة
هاتيك الأماكن، إلا إنها قد ذهبت بهجتها وأخلفت ديباجتها، وبقايا رسومها تشهد لها
بالنضارة السابقة والعمارة الفائقة .

كفى أسفاً بالواله الصب أن يرى منازل من يهوى على غير ما يهوى
ولولا غرام لي بطيبة لم أكن أذل لمن يسوى ومن لم يكن يسوى
وقال آخر:

منزل حقه على قديم من زمان الصبا وعصر البطالة
أنا أدري به وإن كنت فيه سائلاً عنه أقتفي أطلاله
ومحال من المحيل جواب غير أن الوقوف فيه غلاله^(١)
ولله در القائل:

قف نسأل الطلل الذي لا يعلم وقلوبنا في رسمه تتكلم
وأهال له طلالاً برامة بينما هو بالحياء منهن إذا هو معدم
وعلى البلى فقد يروق كأنما قطع الغمام عليه برد معلم
ومن أعمال قباء العصب بضم أوله وفتح ثانيه واد في حرتها الغربية، واد عليه
للمحاسن رونق وبه طيور طاب عيش نديمها وقد اشتملت العصب على حدائق ذات
بهجة من أحسنها سلطنة، وهي حديقة حسنة الترتيب، بديعة الوضع العجيب كثيرة
النخل الباسق والشجر المتناسق ذات بناء شديد وإيوان مشيد وبركة وسيدة وأوضاع
حسنة بديعة، وبئر شميطة بضم الشين المعجمة وهي روض فسيح الجنان مخضرة
الأرجاء والرحاب بها الأشجار المؤتلفة والأزهار المختلفة والعمارة الحسنة والنضارة
المستحسنة، والماء العذب والهواء الرطب فلا زالت كذلك، روضة من هاتيك المسالك
وقطعة^(٢) ربحان السفري وهي حديقة لطيفة وفيها حصن قديم قال في زهر الرياض،
العصب في غربي قباء بها النخيل والبساتين المعتبرة، ابتكر عمارتها السيد أحمد بن

(١) سقط من الأصل واستدركت في الهامش . (٢) في ب [قطيفة] .

سعد نقيب السادة الأشراف، وبعض بني السفر وفيها مسجد التوبة صلى فيه النبي صلى الله تعالى وسلم عليه^(١). قلت وقد اندرس هذا المسجد بحيث لم يبق له أثر، ولم يكن له عند أحد من أهل المدينة خبر، ولم تزل الآثار تعفو رسومها، وتحدث من بعد الأمور أمور.

(١) لم أجده.

باب

في ذكر العالية، ورياضها الفائق نشرها على العبير والغالبة، وفيه ذكر جفاف وقربان ومحاسنهما السائرة بهما الركبان، ان الحقائق في الحدائق قد بدت، فاجنوا بها الثمرات من أشجارها. قال في الوفاء العالية من المدينة، ما كان في جهة قبلتها من قباء وغيرها على ميل فأكثر، وأقصاها عمارة على ثلاثة أميال وأربعة إلى ثمانية أو ستة على الخلاف في ذلك انتهى. ووجه التسمية جلي، وذلك لأن السيول تنخر^(١) من تلك النواحي العالية إلى سوافل المدينة، فعلى ذلك يقال نزلنا من العوالي إلى المدينة، وطلعنا من المدينة^(٢) إلى العوالي، ولا عبرة بمن يقول لا يقال نزلنا المدينة لأنها محل الطلوع لأن ذلك من الأدب المولد المستبرد، فإن الله تعالى يقول «رب انزلني منزلاً مباركاً» وبملاحظة ذلك ساغ لمن كان في السوافل أن يقول نزلت المدينة وعليه عمل أهلها، وتطلق الحدائق على ما في العالية من البساتين والعوالي على القرية فقط وبالجمله فإن العالية رياض مخضلة^(٣) الربا وغياض معتلة الصبا بها النخيل الباسقة والأشجار المتناسقة والأغصان التي تتناوح عليها الأطيوار وتتباكى في روضها الأمطار.

مهما اتجهت رأيت روضاً^(٤) ماؤه
الريح يكتب والجداول أسطر
والطير يقرأ والنسيم مردد
ومعاطف الأغصان هزتها الصبا
وهزاره يصبو إلى شحرورة
يتلو على الأغصان أخبار الهوى
والورق في الأوراق يشبه شجوها^(٥)

متسلسل يعلو عليه ويخفق
خط له نسج الغمام محقق
والغصن يرقص والغدير يصفق
طرباً فذا عار^(٦) وهذا مورق
ويجاوب القمرى فيه مطوق
فيكاد صامت كل شيء ينطق
شجوي وأين من الخلى^(٧) الموثق

(٥) في ب [هذا عار].

(٦) في ب [لشجوها].

(٧) في ب [الحالي].

(١) في ب [تنحدر].

(٢) سقط من أ.

(٣) في ب [مخضلة].

(٤) سقط من ب.

وقال آخر:

منازل أحبابي ومربي عشيرتي
لويت عناني في حماها عن اللوى^(١)
ولذ عناق الفقير لي بغنائها
سقى سفحها إن قل دمعي سحابة
ويا أسطر النبت التي قد تسلسلت
ولا زال ذلك الروض بالطل معجمًا
وقال ولله دره:

سقى الله في أرض العوالي منازلها^(٢)
درت أنني قد^(٤) حببتها متنزها
وفيهما لقد رق النسيم وحيثما
وقلت أنا في ذلك وإن لم أكن هنالك:

نشأت بفضل الله في ظل دوحة^(٥)
فإن شئت في صفح العوالي وإثباتًا
فها تيك دار الحبيب وهذه
وقلت في تفضيل العالية وفيه نظر:

فضل العوالي بين ولأهلها
من لم يقل أن الفضيلة طنبت
إنني قضيت بفضلها وأقول في
وقلت في تقسيم الشوق:

إذا كنت في أرض العوالي تشوقت
ولو كنت فيها قالت النفس ليت لي
فيا ليت أني كنت شخصين فيهما
وقلت بلسان حال الأحوال:

وأوطان أوطاري ورضى سخطي
وهمت بها لا بالمحصب والسقط
وفي غيرها لم أرض بالملك والرهط
مكللةً بالقطر منهلةً النقط
بصفحتها لا زالت واضحة الخط
ومن شكل أنواع المسرة في ضبط

قطعت^(٣) بها دهر الربذا من العمر
فمدت لتلقاني بساطًا من الزهر
ذهبت وجدت الماء في خدمتي يجري

سمت بنبي كنت من بعض عترته
بدار الذي طابت وطالت بهجرته
بها ممن هي يا صاح من حول حجرته

فضل قديم نوره يتهلل
أرض العوالي وهو حق يقبل
وادي قبا الفضل الذي لا يجهل

لأرض قبا نفسي وفيها المؤمل
بأرض العوالي يا خليلي منزل
وما ليت في التحقيق إلا تعلل

(٤) سقط من ب .

(٥) في ب [رومة] .

(١) في أ [الوي] .

(٢) في أ [منازها] .

(٣) في ب [فطمت] .

أراك تغالي في العوالي وفي قبا وأنت على وهم الخيال تعول
إني كم تكن تهوى الذي أنت سائر إلى غيره إذ أنت عنه تحول
فكن سائراً في لا مقام فإنما تقلب من شأن لسان وترحل
ومن محاسن حدائق العالية سميحة بضم أوله، قال في الوفاء، بئر سميحة بئر
بالمدينة عليها نخل لعبيد الله بن موسى.

قال كثير عزة:

كأن دموع العين لما تحللت محارم بيضا من تمنى جمالها
قبلن غروباً من سميحة اترعت بهن السواني واستدار محالها
(القابل الذي يلتقي الدلو تخرج من البئر فيصبها في الحوض)^(١)، وقد غرس
بعض أهل المدينة اليوم على سميحة هذه حديقة، فصارت من أحسن الحدائق. انتهى.
(وماء هذه البئر من أحسن)^(٢) مياه ذلك الجزع وإن لم يكن بالعذب الخالص.

وأشددوا:

وفي مائها قد قيل بعض ملوحة ومنها مياه العين أحلى وأملح
فقلت لهم قلبي يراها ملاحه فلا برحت تحلو لقلبي وتملح
ومن أحسن المياه هنالك بئر النصيري بضم أولها، وعليها حديقة غناء، ومن
أحسن حدائق العالية الدويمة والشجيرة والفقير بالتصغير، ومغلة^(٣) بصيغة اسم الفاعل،
والبوعي وفي قبلته مسجد بني قريظة بضم القاف، وهو عشرون ذراعاً في مثلها، وحوله
حدائق وبساتين ومزارع وفي الجهة الشامية منه المشربة روى عنه عليه الصلاة والسلام
أنه صلى في مشربة أم إبراهيم^(٤)، وهي أكمة بين النخيل قد حوط حوله بلبن، والمشربة
البستان، قيل كان بستاناً لمارية القبطية.

وفي الصباح المشربة بالفتح، الغرفة، وكذلك المشربة بضم الراء، والمشارب
العالى قال في الجواهر المنظم، المشربة ولدت فيها مارية إبراهيم بن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وموضعه اليوم مسجد، وهو أربعة عشر ذراعاً، في مثلها. انتهى.
وعندها حدائق من أحسنها المرجانية والمالكي وأم غانم.

حدائق أنبتت فيها الغواصي ضروب النور رائقة البهاء

(٣) في ب [مقالة].

(٤) لم أجده.

(١) سقط من ب.

(٢) سقط من ب.

فما يبدو بها النعمان إلا نسبناه إلى ماء السماء
ومن أحسن حدائق العالية الدوار، بضم أوله وتشديد الواو، والمسمارية وما
حولها والبغوة، فإن فيها البغية.

فائدة قال في الوفاء، زهرة بالضم ثم السكون، بين الحرة الشرقية، والسافلة مما
يلي القف، كانت من أعظم قرى المدينة، وكان بها ثلاثمائة صانع، وهي مما يلي العالية
بالقرب من الصافية وفي^(١) الدور الثمينة.

القف بالضم والتشديد، وأصله ما ارتفع من الأرض وغلظ، وكان فيه إشراف
على ماء حوله، وأحجار كالإبل البروك، وهو علم بواد بالمدينة عند المشربة وبه حسنا،
وأما جفاف فهو واد طاب روح نسيمه، وصح مزاج اقليمه رياضه زاهرة وحياضه باهرة،
ونخيله باسقة وأشجاره متناسقة.

واد حريري الرياض فكم به من حارث يغدو به همام
ممتد أردية الظلال فروضه باكي العيون وثغره بسام
أو هو كما قال:

منزل طيب وماء معين وثرى أرضه يفوح عبيرا
وإذا المرء قدر السير منه فهو ينهائ بلأسمه أن يسيرا
فلا زال كذلك ولا برحت معمورة بعمارته هاتيك المسالك، قال في زهر الرياض
جفاف بالكسر وفائين، جهة من العالية به الحدائق الحسنة والمنتزهات البهية المستحسنة
ومن حق تلك المنازل والربوع، ان تكتب تراجمها باللجين أو بالدموع، وفيها قلت
متذكر السالف العيش الطيب، فلا زالت بها شاء اييب الغيث الصيب.

سقى الله في وادي جفاف بنائلا لهن جفاء رائق اللون والحسن
بران على ساقى النشير ثوابت^(٢) وأخرى مع الأعناب في ساحة العهن
وقال آخر:

جفاف بواديها رياض نواضر بها ينجلي عن قلب ناظرها الهم
على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم
وقال:

في زمان الربيع أهل جفاف في نعيم إذ تزهر الأزهار

(١) سقط من أ.

(٢) في ب [ثابت].

في قصور وسط الجنان تراها
وقلت:

تحن إلى وادي جفاف جوانحي
واني لأهوى الجزع وهو ممتع
وقال:

عرج ركابك عن جفاف إنها
في كل أفق من بديع رياضه
وقال:

يا سائرًا والريح يعثر دونه
[إن جئت من وادي]^(١) جفاف منزلاً
ورأيت في الروض المفوق^(٢) اغيدا
بلغ منازلہ التحية إنني
ومن أحسن حدائق جفاف الحمرة، والنواعم، فإنها من أعظم حدائق ذلك الوادي
وأكرم بساتين ذلك النادي، وهي القائل فيها بعض واصفيها.

عيون المها بين النواعم لو تدري
فيا ساكني أكناف طيبة ماؤكم
ولولا بقايا طعمه في مذاقتي
فوأها على سكنى النواعم دائماً
فكم مر بي فيها حلاوة ليلة
وفي غيرها كم كنت أقضي لياليا
وقال آخر:

وجوه في النواعم إن تبدت
وجوه لا تزال تضيء حسناً
ومن أحسن حدائق جفاف العهن، وهو أحد الآبار السبعة كما تقدم، والعهين
بالتصغير والنشير، وهو روض تغنت أطياره فتمايلت طرباً أشجاره.

وهي تجري من تحتها الأنهار

وإن كان ممن قل فيه نصيبي
ومن لي بجزع في رباه حبيبي

واد تذلل له الرقاب وتخضع
قمر يغيب وألف بدر يطلع

والبرق يبسم أدبه يتألق
لي نحوه حتى الممات تشوق
في الكون مثل جماله لا يخلق
أبدًا بحسن بهائها أتشوق
ومن أحسن حدائق جفاف الحمرة، والنواعم، فإنها من أعظم حدائق ذلك الوادي
وأكرم بساتين ذلك النادي، وهي القائل فيها بعض واصفيها.

جلين الهوى من حيث أدري ولا أدري
إذا ذقته ذقت الرحيق من السكري
لما ظهرت هذي الحلاوة في شعري
خلافًا لمن قال آها على مصر
فكانت شبيه الخال في وجنة الدهر
تمر بلا نفع وتحسب من عمري

يقول الصب قد حصل المرام
لمثل جمالها خلق الغرام
ومن أحسن حدائق جفاف العهن، وهو أحد الآبار السبعة كما تقدم، والعهين
بالتصغير والنشير، وهو روض تغنت أطياره فتمايلت طرباً أشجاره.

(٢) في ب [المضيق].

(١) في ب [إن جئت واد].

إذا تكسر ماؤه أبصرته في الحال بين رياضه يتشعب
وفيه^(١) إيوان مشيد البنا وبركة متسعة حسناء في روضة تروق أعين البشر قد تناسق
فيها^(٢) الشجر، وسجع على أفنانها القمري من على جداول كاللجين تجري.

وسانية^(٣) حنت وأنت وقد غدت
ترقص عطف الغصن تيهًا لأنها
وقال ابن تميم:

وبركة ماء يملأ العين صفوها
ويسرح منها في الخمائل جدول
وقال:

وحديقة ينساب فيها جدول
يبدو أخیال غصونها في مائه
ولقد أحسن التخیل من قال:

كأنما الماء وقد جفت به
مرآة غيد قد وقفن حولها
وقال القيراطي:

سقى الله بستانًا حللنا بدوحه
تراقصت الأغصان فيه ونقطت
وقال البدر الذهبي:

لله روض فائح نشرها
الطير فيها شيق مغرم
وقال ابن الوكيل:

تغننت في دوي الأوراق ورق
فكم بسمت ثغور الزهر عجبًا

(٤) في ب [تمقت].

(٥) في ب [تجيد بالروح فتأ بعد فن].

(١) جاءت مكررة في أ.

(٢) سقط من ب.

(٣) جاء في ب [وايفك].

وقال:

ورب حمامة في الدوح صارت
أقسامها الهوى مهما اجتمعنا
وقال الصفدي:

لا تقيسوا بي الحمامة حزناً
أنا أملئ الغرام على ظهر قلب
وقال ابن لؤلؤ:

ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن
قامت تطارحني الغرام جهالة
وأنا الذي أملئ الجوى عن خاطري
وقال آخر:

يا طالما سجعت وهنا بذى سلم
وتنشني نسمات الغور حاكية
وقال الأزدي وأجاد:

لأمر ما بكيت وهاج شوقي
[لأن بياضها كبياض شيبى]^(٤)
ومن سحريات الرياض:

إذا هبت نسيم الروض ليلاً
ووافق أن يكون البدر صاح
لطيف كامل في الحسن فرد
وكان مع السواني صوت قمري
وصوت الماء يسكب في الجوابي
ورن^(٥) الطير حتى كاد يزري
وفاح لكل رهحان شده

[تجيد النوح فناً بعد فن]^(١)
فمنها النوح والعبرات مني

أنا فضلي تدري به العشاق
وهي تملي وحولها الأوراق

يعقوب والألحان عن اسحاق
من دون صحبي باللوى ورفاق
وهي التي تملي عن الأوراق

ورقاء تعجم شكواها فأفهمه]^(٢)
علم الفريق فأدري ما تترجمه

[وقد سجعت على الأيك الحمام]^(٣)
فمنعني نوحها قرب الحمام

عليك وأنت في بعض الحقائق
وعندك شادن كالبدور فائق
عطير طيبة من كل فاتق
يغني في الهوى حسن الطرائق
يفوق بصوبه صوب الغدائق
بأوتار عليها الدق^(٦) رائق
وراح به مع الأرياح عائق

(٤) سقط من ب.

(٥) في ب [ورد].

(٦) في ب [الدق].

(١) في ب [ففي الأفنان طرب وفن].

(٢) سقطت هذه الأبيات من ب.

(٣) سقط من ب.

وسار البدر مرتحلاً سحيراً
وجاء الصبح يسعى في إنطلاق
وأصبحت الزهور على كمام
وقد أصبحت في خير وبر
فذاك العيش عيش أولى التصافي
فدونك فاغتتم صفواً وحافظ
ومن ذلك من هذه المسالك:

إذا أصبح الجو زاه وقد
ورق النسيم وأرخى الندى
فكن من بني الوقت واحرص على
وخل مليح لطيف طريف
وحاد يجود على كل عود
يزين المقام إذا ما استقما
وكن في البساتين واطرح بها
وإن اسبل الغيث اذياه
وذلك يوم يزيد الهناء
فخذ نصيح صب خبير بما
ولا تمنع البسط أوقاته
ولقد أبلغ الواعظ بقوله:

لقد كادت الدنيا تقول لأهلها
خذوا بنصيب من نعيم ولذة
ولا تتركوا يوم السرور إلى غد
إلا أن أهني العيش ما سمحت به
[وأصل ذلك]^(٢) قوله تعالى: ﴿ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن
الله إليك﴾ [القصص: ٧٧].

وما أحسن ما قال:

ونادى الثريا أنت طالق
وأذن فجره سبحانه خالق^(١)
تحاكي في النظارة كل شارق
معافى أمناً من كل عائق
وأرباب اللطائف والحقائق
على شكر العطا إن كنت حاذق

تحجبت الشمس خلف الحجاب
كواكب طل تزين الرحاب
نديم أديب وطى الجنباب
يعاني الملاهي ويهوى الحجاب
بلحن الأغاني وشجو الشباب
م لصوغ القوافي وجر الرباب
همومك واجعل عليها التراب
فذلك لا شك يوم الشراب
ويطوي بها الهم طي الكتاب
يقول فقد قال راعي اللباب
فيشهر في ذاك سيف العتاب

مشافهة لو أنها تتكلم
فكل وإن طال المدى ينصرم
فرب غد يأتي بما ليس تعلم
صروف الليالي والحوادث نوم
ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن

(٢) في ب [والأصل في ذلك].

(١) في ب [خالق].

إذا أمكنت مع عفة النفس لذة
ولله در القائل :

عليك بساعات السرور فلإنها
وخذ ما أتى مما ترى من مسرة
فلإن صحيح الرأي من كان همه
ومن محاسن جفاف، أم عشرة، واد في قبلي جفاف، تبقى فيه غدران من الأمطار
ومن سيل أبي جيدة، وتجري منه جداول إلى مرارع وحدائق :الك منها، فتجد به
النفوس راحة ومسرة ويسعى إلى التنزه فيه من من الله تعالى عليه بسعة من الرزق والمبرة
وبالجملة فإنه من المواضع الشهية الرائقة والمرايع البهية الفائقة لا سيما إذا اخضرت
أكنافه وتزينت بالزهور أطرافه وسلم قاصده من مشاغبة الديون ومراقبة العيون، وهيئات
وهيئات أن تمر إلا بمقتضى أحوالها الأوقات وعلى ذكر الجداول .

فما ألطف قول ابن تميم :

يا حسنة من جدول متدفق
ما زلت انذره عيوئًا حوله
فأبى وزاد تماديًا في جريه
وقال آخر :

كأن المياه خلال الرياض
سماء تقطع فيها الغمام
ومن الزهريات :

انظر إلى الأشجار تلق غصونها
وعببرها قد ضاع من أكمائها
وقال آخر :

أنظر إلى الأغصان كيف تمايلت
كالصب حاول قبلةً من إلفه
وقال آخر :

أقول وطرف الرجس الغض شاخص
أيا رب حتى في الحداثق أعين
إلي وللبنام حولي المام
علينا وحتى في الرياحين نام

وأما قربان فهو اسم رجل كانت له بثر عليها حديقة، وعندها عمارة في شرقي مسجد الشمس إلى جانب الشمال يفصل بينهما سيل أبي جيدة سمي باسمه ذلك الموضع وصار علمًا بالغلبة على تلك الناحية وكثرت فيه العمارات، وسكانه أهل خير ومعروف.

قال الشاعر:

من سره رطب وماء بارد فليأت أهل الخير من قربان
وما أحسن ما قال (ظل بارد، ورطب طيب وماء بارد)^(١).

نحن جيران أحمد قد أقمنا في رياض قد طاب فيها المقيـل
ماؤنا بارد وأضحى لديـنا رطب طيب وظل ظليـل
وعنه عليه الصلاة والسلام ثلاث لا يسأل الله تعالى عنها العبد يوم القيامة، ما يوراي به عورته، وما يقيم به صلبه، وما يكنه من الحسر والقدر وهو مسؤول بعد ذلك عن كل نعمة^(٢)، وروي عن الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال «ما أنعم الله على العبد من نعمة صغيرة وكبيرة فيقول عليها الحمد لله إلا أعطاه الله خيرًا مما أخذه»^(٣) وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال، عن السؤال عن النعيم وإنما ذلك للكفار ثم تلا وهل يجازي إلا الكفور^(٤)، وعن الباقر رضي الله تعالى عنه، أن النعيم العافية وعنه أن الله تعالى أكرم من أن يطعم عبدًا أو يسقيه ثم يسأله عنه وإنما النعيم الذي يسأل عنه هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أما سمعت قوله تعالى ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته﴾ حكاه^(٥) النيسابوري في تفسيره وأما مسجد الشمس ويعرف بمسجد الفضيخ وهو على نحو نصف ميل من مسجد قباء من الجهة الشرقية وهو مبني بأحجار على نشر من الأرض وعند بثر لها درج إلى الماء، وقد صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليه في هذا المسجد^(٦) قال في الجوهر المنظم مسجد

(١) جاءت قبل مكانها بسطر في أ.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور ٣٩١/٦ وعزاه لعبدالله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد عن الحسن ص ٢٨ الحديث ٦٤٠.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ٥٠٧/١، ٥٠٨، وقال صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقال الذهبي ليس بصحيح. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٩٨/١٠ وعزاه للطبراني، وقال فيه: سويد بن عبد العزيز وهو متروك.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور ٣٩٠/٦ ٣٩١ وعزاه لابن مردويه عن الكلبي.

(٥) سقط من ب.

(٦) لم أجده.

الفضيخ شرقي قباء على شفير الوادي أحد عشر ذراعاً في مثلها سمي بذلك، لأن أبا أيوب ومن معه كانوا يشربون به الفضيف، فجاءهم الخبر بتحريمها قبل العلم بنجاستها انتهى وقيل غير ذلك. باب في ذكر القبلتين ومحاسن الجرف والبركتين.

مخيم لذاتي وشوقي^(١) مأربي وقبلة آمالي وموطن صبوتي
رعى الله أياماً بظل جنابها سرقت بها في غفلة البين لذتي
مسجد القبلتين لبني سواد بن سلمة، والأرجح أن تحويل القبلة كان وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى به الظهر بعدما صلى ركعتين، وكان جاء لزيارة امرأة من بني سلمة، فصنعت له طعاماً^(٢)، وقيل لم يكن معهم، بل أخبروا فاستداروا وتورع بأن مسجد قباء كان أولى بهذه التسمية لوقوع ذلك فيه وقال كثير من أهل العلم مسجد القبلتين حولت فيه القبلتين من بيت المقدس إلى الكعبة وقد صلى فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليه ركعتين من الظهر فأمر أن يتوجه^(٣) إلى الكعبة فاستداروا، واستقبل الميزاب^(٤) وذلك لسته أشهر من الهجرة في نصف رجب وقال بن النجار في الدرر الثمينة وصلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليه في مسجده متوجهاً إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ثم أمر بالتحويل إلى الكعبة فأقام^(٥) رهطاً على زوايا المسجد ليعدل القبلة فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة ثم قال بيده هكذا فأماط كل جبل بينه وبين القبلة^(٦) فوضع القبلة وهو ينظر إلى الكعبة لا يحول دون نظره شيء وصارت قبلته إلى الميزاب^(٧) وعن سعيد بن المسيب قال حولت القبلة بعد الهجرة بستة عشر شهراً قبل بدر بشهرين في مسجد بن سلمة الذي يقال له مسجد القبلتين وكان فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليه إذ ذاك في صلاة الظهر عند دار أم بشير^(٨) وقيل كان ذلك في مسجده في صلاة العصر يوم الإثنين في النصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً من الهجرة انتهى وتعرف جهة هذا^(٩) المسجد بالقاع وهو طرف وادي العقيق وإلى جانب المسجد من شرقيه حديقة غناء مشتملة على عمارات بديعة رينعت في أرجائها الأشجار وتغنت على أغصانها الأطياف فما أحلاها وقد حفت بها الأزهار، وهبت عليها نسائم الأشجار وهي من^(١٠) أوقاف يوسف الرومي وإلى جانبها حديقة لطيفة يقال لها عقاب وحول هذا المسجد آبار، ومزارع يعرف بالعنابس

-
- | | |
|------------------|-----------------|
| (١) في ب [سوقي]. | (٦) سقط من ب. |
| (٢) لم أجده. | (٧) لم أجده. |
| (٣) في ب [يوجه]. | (٨) لم أجده. |
| (٤) لم أجده. | (٩) سقط من أ. |
| (٥) في ب [فأمر]. | (١٠) في ب [في]. |

من أحسنها وزيرة وسلطانة وأما الجرف بضمّتين وتسكين الراء فهو على ثلاثة أميال من المدينة وهو قاع فسيح ومنتهز مريح ويشتمل على آبار ومزارع، وحدائق من أحسنها حديقة الحاكم، وحديقة الأمير والنائبية^(١) وما حولها وفي الجانب الغربي من الجرف مزارع تسمى العرض بالكسر أو هي الجرف أو كل واد فيه شجر فهو عرض، قال يحيى بن أبي طالب:

ولست أرى عيشًا يطيب مع النوى ولكنه بالعرض كان يطيب
وأنشدوا:

انظر إلى الجرف البديع رياضةً والشمس كادت بالحجاب توارا
صبغ الأصيل حباله فكأنها أطواد بشر تخطف الأبصارا
ومن محاسن الجرف سيل العقيق، وفي الصحيح لا يدخلها الطاعون ولا الدجال
«يأتي سبخة الجرف فيخرج إليه كل كافر ومنافق ولها يومئذ سبعة أبواب، وفيه أن سبخة
الجرف ليست من المدينة وفيه نظر وتأمل وأما البركتين بالياء في الأحوال الثلاث والأكثر
الأفراد فهي نخيل ومزارع تنتهي إليها العين الزرقا، في وادي إبراهيم بين غربي أحد
والجرف وتسقى بالساعات من ماء العين ويقال لأولها البركة الغربية ولآخرها البركة
البعيدة».

وأنشدوا:

أرأيت وادي البركتين وماؤه يبدي لناظرك العجيب الأعجبا
يتكسر الماء الزلال على الحصا فإذا غدا بين الرياض تشعبا
ومن محاسنها البطحاء وهي مجمع السيول:

فإن النفس تجد إليها ارتياحًا وتكسب من فضائها أفراحًا
وما أحسن ما قال:

وبطحاء في واد يروكك لونها ولا سيما إن جاد غيث مبكر
تلاحظها عين تفيض بأدمع يفرقها منه هنالك محجر
إذا فاخرته الريح ولت عليلة بأذيال كشبان الريا تتعشر
وقال آخر:

(١) في ب [النابيه].

كم للنسيم على الربا من نعمة
ما زارها وشكت إليه فاقّة
فوائد وفرائد في كتاب الفلاحة، النخل أول شجر استقر على وجه الأرض وعنه
عليه الصلاة والسلام، «أكرموا عماتكم النخل»^(١) وفي رواية «أكرموا النخلة فإنها
عمتكم» وقال الشاعر:

وعماتك النخل كن مثلها
برامي الحجارة ترمى الرطب
وإنما سميت عمة لأنها خلقت من فضل طينة آدم عليه الصلاة والسلام أو لأنها
تشبه الإنسان في أشياء كثيرة وجاء أن الكرم والرمّان خلقا أيضًا من فضل الطينة وعنه
عليه الصلاة والسلام أن من الشجر لما بركته بركة المسلم^(٢) يعني النخلة وقال نعم
المال النخل، الراسخات في الوحل، الطعمات في المخل^(٣) كذا في كتاب البركة
مسألة إذا دام شرب النخلة للماء العذب، وتسقى الماء المالح أو يطرح الملح في
أصولها، فتحسن ثمرتها، وربما لا تقبل القاح بالطلع فتلقح بروث الحمير، ويعرض لها
أمراض كالإنسان، منها الفم وعلاجه ايقاد النار حولها نهارًا ومنها العشق وعلامته ميلها
إلى أخرى، وخفة حملها وهزالها وعلاجه أن يشد بينها وبين المعشوقة جبل أو يعلق
عليها سعة من المعشوقة أو يجعل فيها من طلوعها ومنها منع الحمل وعلاجه أن يأخذ
فأسًا ويدنوا منها ويقول لآخر، أنا أريد أن أقطع هذه النخلة، لأنها لم تحمل فيقول له
الآخر لا تفعل فإنها تحمل هذه السنة، فيقول لا بد من قطعها ويضربها ثلاث ضربات
فيمسكه الآخر ويقول لا تفعل فإنها تثمر هذه السنة فاصبر عليها ولا تعجل فإن لم تثمر
فاقطعها، فإنها في ذلك العام تثمر ثمرة كثيرة ومنها سقوط الثمرة وعلاجه أن يأخذ لها
منطقة من الاسرب فتكثر ثمرتها ولا تسقط أو يتخذ لها أوتاد، من خشب البلوط
ويدقونهم حولها في الأرض ومن عجيب أمرها أنك إذا أخذت، نوى نخلة وغرست
منها ألف نخلة، جاءت كل واحدة لا تشبه الأخرى، وإذا نقع النوى في بول بغل
وغرس جاء فحولاً وإذا نقع في الماء ثمانية أيام وغرس جاء بسرّه كله أحمر وإن نقع في

(١) ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٦/٢٤٢٤. وذكره العقيلي في الضعفاء ٤/٢٥٦. وذكره ابن
الجوزي في الموضوعات ١/١٨٤. وقال المجلوني في كشف الخفاء ١/١٩٥ الحديث ٥١١
رواه الرامهرمزي في الأمثال عن علي مرفوعاً، وأخرجه أبو يعلى في مسنده عن ابن عباس،
وأخرجه عثمان الأرمي ورواه السخاوي في المقاصد الحسنة (١٥٦/٩٨).
(٢) أخرجه البخاري في الأطعمة ٩/٤٨١ الحديث ٥٤٤٤. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥٧/٢
الحديث ٥٩٩٩.
(٣) لم أجده.

بول البقر وجفف ثلاث مرات، وغرس حملت كل نخلة منه مقدار نخلتين وإذا أخذ البسر الأحمر وحشي في التمر الأصفر وغرس جاء بسره أصفر وبالعكس وكذا النوى المتناول المدور وكيفية غرسه أن تجعل أغلاظ أطراف النوى مما يلي الأرض وموضع النقيير إلى القبلة.

فائدة: إذا ظهر بعض عروق النخلة، وقطعت من دونها وغرست فإنها تنبت كأنها ودية والتي لم يظهر عروقها تضرب أوتاد في جوانبها وتشبك ويجعل، عليها التراب والماء إلى أن تضرب عروقها فتقطع من دونها وتغرس فتنبت وتثبت حكي في كتاب المباحج أنه أهدي لبعض الرؤساء عذق واحد بسرة حمراء وبسرة صفراء وذكر أن بعض النخل تخرج الطلع في السنة مرتين وحكي أن بقرية من أعمال بغداد نخلة تخرج في كل شهر طلعة واحدة على ممر الأيام^(١) حكي أنه كان في بستان ابن الخشاب بساحل القاهرة نخلة تحمل أعذاقاً نصف البسرة الأعلى أحمر ونصفها الأسفل أصفر وبالعكس من العذق الآخر^(٢) لطيفة وحكي أن بعض ملوك الروم كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بلغني أن ببلدك شجرة تخرج ثمرة كاذان الحمر ثم تنشق على أحسن من اللؤلؤ المنضد ثم تخضر فتكون كقطع الزمرد ثم تحمر وتصفّر فتكون كشذور الذهب، وقطع الياقوت ثم تينع فتكون كالطيب الفالوج^(٣) ثم تبيس فتكون قوتاً للحاضر وزاداً للمسافر فإن صدقت رسلي فلا شك من أنها من شجر الجنة فكتب إليه نعم صدقت رسلك وأنها الشجرة التي ولد تحتها المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام، فلا تدع مع الله إلهاً آخر وعلى ذكر الشجرة فما أصدق ما قال:

المرء في زمن الاقبال كالشجرة والناس من حوله ما دامت الثمرة
وإذا تساقط عنها حملها رحلوا وخلفوها تقاسي الريح والغبرة
ومن خواص النخل، أن خوصه إن مضغ قطع رائحة الثوم والكراث ومن خواص
النوى أنه إذا غلي في ماء إلى أن يذهب نصفه نفع شربه من حرقة القضيب، قال بعضهم
يصف النخل:

كأن النخيل الباسقات وقد بدت لناظرها حسناً قباب زبرجد
وقد علقت من حولها زينة لها قناديل ياقوت بأخراس عسجد
وقال النميري:

(١)(٢) هذه الفقرة من ب مؤخرة مكان الفقرة رقم ٢ من أ.

(٣) في ب [الفالوج].

ضربن العذق^(١) في ينبوع^(٢) عين
كأن فروعهن بكل ريح

وقال السري الرفا:

وكان ظل النخل حول قبابها
من كل خضراء الذوائب زينت
حرقّت أسافلهن أعماق الثرى
شجر إذا ما الصبح أسفر لم يتح
وقال آخر:

أنظر إلى البسر إذ تبدى
كأنما خوصه عليه
وقال في البلح الأحمر:

أما ترى النخل حاملات
كأنه من عقود تبر
وقال في البلح الأخضر:

أما ترى النخل طلعت بلحا
مكاحل من زمرد مرطت
وقال آخر:

أما ترى الرطب المجنى لأكله
ما باشرتها بذى^(٣) العقد في عمل
وقال ابن شرف القيرواني:

ومطبوخ بغير عقيد نار
آبانيذ تبدت من عقيق
وترى لصفاء جواهرها نواها
وقال آخر:

طلبن معنيه حتى رويناه
عذارى بالذوائب ينتضينا

ظل الغمام إذا الهجير توقدا
بثمارها جيداً لها ومقلدا
حتى اتخذت البحر فيه موردا
للأس طائره ولكن غردا

ولونه قد حكى الشقيقا
زبرجد مثمر عقيقاً

بسرّاً حكى حمرة الشقيق
منظّمات من العقيق

جاء بشيراً بدولة الرطب
مقمعات الروس بالذهب

حلوى أعدت لنا من صنعة الباري
في الدست يوماً ولا حطت على النار

عزمت على جناه بابتكار
مقمة بمسبوك النظار
كألسنة العصافير الصغار

(٣) في ب [الليل].

(٢) في ب [ينبع].

(١) في ب [العرق].

كأنما النخلة معشوقة تزينت^(١) آذانها بالحلي
والقنو مثل القرط في حسنه تبارك الله العظيم العلي^(٢)
وقال في النخل المجدود:
أنظر إلى النخل وأعناقها قد جردت من غصنها الزاهي
مثل عروس تم أسبوعها فجردت من حليها الباهي
ما زينها إلا عراجينها وكلها من حكمة الله
ومن الأغاز في النخل والنخل:
وما اسمان ذا تصحيف ذا وكلاهما لدى العام منه يجنى^(٣) طيب الأكل
وبينهما في الخط أدنى تفاوت ولكن افراط التفوات في الشكل
وكل إذا صحفته وعرفته فمجموعة شطر من الحدق البخل
مسألة يقال من سعادة المرء أن يرى ولد ولده وأن يأكل من غرسه وأن يسمع
إنشاد شعره.
وأنشدوا:

لسنا وإن أنسابنا كرمتم يومًا على الأنساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا تبني وتفعل مثلما^(٤) فعلوا
روى الجاحظ في كتاب المدح والذم بإسناد له عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه
لا تدع غرس أرضك، وإن سمعت بخروج الدجال، وعن بعض أهل البيت إعمل للدنيا
حتى كأنك لا تموت أبدًا، وإعمل للآخرة حتى كأنك لا تعيش غدًا وكأنه ينظر إلى قوله
تعالى ﴿إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً﴾^(٥) وإلى قوله عليه السلام «إن الله كتب
الإحسان على كل شيء»^(٦) وعنه عليه السلام «البناء من يوم»^(٧) ابتدائه في نقصان

(١) في أ [زينت].
(٢) في ب [العلي العظيم].
(٣) في ب [يجتنى].
(٤) في ب [كما].
(٥) مكان هذه الآية في ب [إن الله لا يضيع أجر المحسنين].
(٦) أخرجه مسلم في الصيد ١٥٤٨/٣ الحديث ١٩٥٥/٥٧. وأبو داود في الضحايا ١٠٠/٣
الحديث ٢٨/٥. والترمذي في الذيات ٢٣/٤ الحديث ١٤٠٩. والنسائي في الضحايا ١٩٩/٧.
والدارمي في الضحايا ١١٢/٢ الحديث ١٩٧٠.
(٧) في ب [بعد].

والغرس من يوم ابتدائه في زيادة»^(١) وجاء في تفسير قوله تعالى كلوا من طيبات ما كسبتم أن المراد به التجارة وفي قوله ﴿مما أخرجنا لكم من الأرض﴾ أنه الزرع والغرس وكان يقال إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر.

وكان يقال فلاح المعيشة في الفلاحة عسى تجد في العيش راحة^(٢) وكان يقال لا ضيقة على من له ضيعة وإنما تصلح بقوة ساعده وجاه مساعد وكان يقال هي المال إلا أن فيها مذلة فمن ذل قاساها ومن مل باعها وعنه عليه الصلاة والسلام «التمسوا الرزق في خبايا الأرض»^(٣). قال في المواهب المراد الزرع وأنشدوا:

تتبع خبايا الأرض وادع مليكها لعلك يوماً أن تجاب فترزقا
وفي كتاب البركة عنه عليه الصلاة والسلام، أنه قال عند قوله تعالى ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله﴾ البركة في التجارة وصاحبها لا يفتقر إلا خلاف مهين^(٤)، وعنه عليه الصلاة والسلام «من استطاع أن يشتري دابة فليشتريها فإنها تأتيه برزقها وتعينه على رزقه»^(٥)، وكان يقال الحمار قليل المونة كثير المعونة، وعنه عليه الصلاة والسلام «إن الله يحب المؤمن المحترف»^(٦). «إن الله لا يحب الفارغ الصحيح، لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة» وفي كتاب البركة الزرع أفضل الطيبات، وهو من أهم فروض الكفاية، وقال أصول المكاسب الزراعة والصناعة والتجارة والزراعة أطيبها «وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً يخرج منه حباً متراكباً» [قيل كالعنب والبطيخ مما يعرش وغير معروشات] وهو الذي أنشأ جنات معروشات فما قام على ساق كالشجر والنخل «والنخل والزرع مختلفاً أكله» وفي الأرض قطع متجاورات أي متقاربات متدانيات يقرب بعضها من بعض ويختلف بالتفاضل وجنات أي بساتين من أعناب وزروع^(٧) ونخيل صنوان وغير صنوان الصنوان

(١) لم أجده.

(٢) سقط من أ.

(٣) أورده العجلوني في كشف الخفاء ١٥٤/١ برقم ٣٩٦، وقال رواه أبو يعلي والطبراني والبيهقي بسند ضعيف عن عائشة.

(٤) لم أجده.

(٥) لم أجده.

(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط ٣٨٠/٨ الحديث ٨٩٣٤. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/٦٥، وقال فيه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف.

(٧) في ب [زرع].

النخلات مجموعهن^(١) أصل واحد وتشعب فتكون نخلاً، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» وعنه عليه الصلاة والسلام «ما أكل العبد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده^(٢)» وعنه عليه السلام «لو قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة^(٣) فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل^(٤)»، الفسيلة^(٥) الودية الصغيرة قاله الجوهري، وفي كتاب البركة عند قوله تعالى «أو ما ملكتكم مفاتيحه» وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته، لا بأس أن يأكل من ثمرة حائطة ويشرب من لبن ماشيته، أو صديقكم ولو في غيبته من غير تحمل لطيفة حكى في شرح المقامات للشربشي أن كسرى مر على شيخ يغرس الزيتون فقال ليس هذا أوان غرسك الزيتون لأنه شجر بطيء الثمر وأنت شيخ هرم فقال أيها الملك غرس من قبلنا فأكلنا ونغرس ليأكل من بعدنا فقال زه أي أحسنت، وكان إذا قالها يعطى من قيلت له أربعة آلاف درهم فدفعت له فقال أيها الملك السعيد فكيف رأيت غرسي فما أسرع ما أثمره فقال زه فزيد أربعة آلاف فقال أيها الملك السعيد كل شجرة تثمر في العام مرة وشجري أثمر في ساعة مرتين فقال زه فزيد مثلها فمضى كسرى وقال انصرفوا فلئن وقفنا لم يكفه ما في خزينتنا.

وما أحسن ما قال :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك مضمونه عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبي
الجمار هو قلب النخلة، وموضع الطلع منها أجوده الأبيض الغض الحلو وهو بارد يابس في الأولى^(٦)، ينفع من أوجاع الصدر والسعال والحرارة وهزال الكلى خصوصاً بالسكر وينفع من الإسهال والمرة الصفراء ومن لسع الزنبور ضماداً وينفتح ويولد الرياح لشدة حبه ويصلحه السكنجيين وقال بعضهم يصفه :

(١) في ب [يجمعهن].

(٢) أخرجه البخاري في البيوع ٣٥٥/٤ الحديث ٢٠٧٢. وأخرجه البيهقي في الكبرى ٢٠٩/٦ الحديث ١١٦٩١. والبخاري في شرح السنة ٦/٨ الحديث ٢٠٢٦.

(٣) في ب [غيلة].

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٢٥/٣ الحديث ١٢٩٠٧. وأورده الهيثمي في المجمع ٦٦/٤ وعزه للبزار وقال رجاله أثبات ثقات.

(٥) في ب [الغيلة].

(٦) في ب [الأول].

جمارة كالماء تحكي لنا ما بين أطمار^(١) من الليف
 جمار لطيف اللمس لكنه قد لف في ثوب من الصوف
 الطلع لقاح النخل، يتكون في ظروف كالمسك تسمى كيزانة فيصير داخله كصغار
 اللؤلؤ المنضمة^(٢)، فإذا تفتحت عنه خرج كالدقيق الأبيض، دسماً كرائحة المني، يلقي به
 إناث النخل فتصح وهو بارد في الأولى أو الثانية^(٣) يابس في الثانية بطيء الهضم مولد
 لأوجاع الصدر ويرد المعدة وعسر البول يصلحه الحلوى وأما الناعم منه البالغ فلا نظير
 له في تهيج ولا كرائحته في تهيج النساء وفي كتاب تحفة الملوك إذا [أخذت مثقالاً من
 بذر اللفت]^(٤) ومثله من السكر ومضغته وبلعته حصل لك ألفاظ في الوقت ولم يزل
 كذلك إلى أن تشرب الخل وترش منه على القضيب فحينئذ يسكن قال وهو من
 المجربات [ومن منافع الطلع انه يقوي الأحشاء ويمنع انصباب المواد ومن شعر كشاجم
 فيه^(٥)]:

قد أتانا الذي بعثت إلينا وهو شيء من وقتنا معدوم
 طلعه غضة أتتنا تحاكي سفتاً فيه لؤلؤ منظوم^(٦)
 [قال بن المعتز]:

أفدي الذي أهدى إلينا طلعه أهدى إلى قلبي المشوق بلا بلاً
 فكأنما هي زورق من فضة قد أودعته من اللجين سلاسلأ
 ولقد أحسن التشبيه من قال:

أما ترى الطلع يحكي لناظري حين أقيـل
 سلاسل من لجين يضمها تحت صندل
 البلح الأخضر. بارد يابس، والحلو منه يميل إلى الحرارة وفيه قبض يصدع وكثير
 ما يوقع في الناقض قال محمد بن يسار:

جاء بها رامحة كالعبر المستنشق وقال سهالنا^(٧) فقلت غير مطوق
 مكحلة مخروطة من دهيج مؤنق سدادها من ذهب وميلها من ورق
 وقال ابن الرومي في البسر الأصفر!!

(١) سقط من ب.
 (٢) في ب [مفطوم].
 (٣) سقط من ب.
 (٤) في ب [شهنا لنا].

(١) في ب [اضمار].
 (٢) في أ [المنضمة].
 (٣) سقط من ب.
 (٤) في ب [سقى إلا من يزر اللفت].

بعثت ببرني جنى كأنه
مقمة الأطراف^(١) تنقد قمصها^(٢)
تنقل من خضر الثياب وصفرها
وكم لبثت في شاهق لا ترى به
وقال:

أما ترى البسر الذي
كيف عدى في لونه
ترى^(٤) كأنه من فضة
الرطب:

قال الحكيم داود في تذكرته هو سادس مرتبة من تمر النخل أجوده الأصفر الكثير اللحم الرقيق القشر الصغير النواة الصادق الحلاوة وأرداه الأسود وأعدله الأحمر وهو حار في الثانية يابس في الأولى.

وفي الأزرق^(٥) والمحيط حار رطب وكلما اشتدت حلاوته كان أشد حرارة. خواصه يحرق البلغم ويذيبه ويقطع البرد ويسمن باللوز إذا لوزم^(٦)، ويصلح الهزال العارض في الكلى وبرد الظهر ويحرك الشهوة في البرودين^(٧) خصوصاً المربى وفي المحيط، يلين الطبع ويزيد في^(٨) المنى مع الخيار والخس وليس للنفساء دواء كالرطب وكان السلف يستحبون اطعامه للنفساء ولأن مريم عليها السلام أكلته في نفاسها وكانت نخلتها العجوة وما أحسن ما قال:

إذا أبطأ الرزق الذي أنت طالبه
ألم تر أن الله قال لمريم
ولو شاء أحنى الجزع من غير هزه
وفي كتاب البركة: إذا ولدت المرأة فليكن أول ما تأكل الرطب فإنه إن لم يكن فتمر فإنه لو كان شيء أفضل منه أطعمه الله تعالى مريم حين ولدت عيسى عليهما السلام

(١) في ب [باللون إذ لازم].

(٢) في ب [البرودين].

(٣) سقط من ب.

(٤) هذا البيت سقط من ب.

(١) في ب [الاطلاق].

(٢) في ب [قمعها].

(٣) سقط من ب.

(٤) سقط من أ.

(٥) في ب [الأزرق].

وكان النبي ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل من التمر وتراً^(١). ويحكى أن ملوك الفرس كانت في أيام الرطب ترفع عن سماتهم الحلوى وإذا كان أوان الورد يرفعون به سائر المسموم مضاره.

قال في التذكرة: يولد السودا والسدد والفضول الغليظة ويضعف الكبد واللثة ومزاج المحرور وتصلحه الحوامض والخيار وينبغي لمن ولد في غير بلاده التي ينبت بها تقليل أكله ما أمكن وكذا ضعيف الدماغ.

مسألة: أجمع الحكماء على أنه ما من دواء يزيل علة إلا ويحدث أخرى أو يزيد فيها ولذلك قال بعضهم ليس في الدنيا لذة على الحقيقة^(٢) ما استكمل المرء من لذاته طرقةً إلا وأدركه النقصان من طرف التمر قال في التذكرة هو في المرتبة السابعة من تمر النخل وهو كالعنب كثير الأنواع أجوده الأبيض العراقي، الرقيق القشر الكثير الشحم الحلو النضيج الذي إذا مضغ كان كالعلك وأكثر ما ينشأ بالبلاد الحارة اليابسة التي^(٣)

(١) أخرجه البخاري في العيدين ٥١٧/٢ الحديث ٩٥٣. وأخرجه الترمذي في الصلاة ٤٢٧/٢ الحديث ٥٤٣ وقال حسن غريب صحيح. وأخرجه ابن ماجه في الصيام ٥٥٨/١ الحديث ١٧٥٤. وأورده البغوي في شرح السنة ٣٠٦/٤ الحديث ١١٠٥.

(٢) قال الحافظ: قال المهلب: الحكمة في الأكل قبل الصلاة ان لا يظن ظان لزوم الصوم حتى يصلي العيد فكانه أراد هذه الذريعة، قال الحافظ وقال غيره لما وقع وجوب الفطر عقب وجوب الصوم، استحبت تعجيل الفطر مبادرة إلى امتثال أمر الله تعالى ويشعر بذلك اقتضاه على القليل من ذلك ولو كان لغير الامتثال لأكل قدر الشبع، وأشار إلى ذلك ابن أبي جمرة. وقال بعض المالكية لما كان المعتكف لا يتم اعتكافه حتى يغدو إلى المصلى قبل انصرافه إلى بيته خشي ان يعتمد في هذا الجزء من النهار باعتبار استصحاب الصائم ما يعتمد من استصحاب الاعتكاف ففرق بينهما بمشروعية الأكل قبل الغدو. وقيل: لأن الشيطان الذي يحبس في رمضان لا يطلق إلا بعد صلاة العيد. فاستحب تعجيل الفطر بداراً إلى السلامة من وسوسته. قال الحافظ: والحكمة في استحباب التمر لما في الحلو منه تقوية البصر الذي يضعفه الصوم، ولأن الحلو مما يوافق الإيمان ويعبر به المنام ويرق به القلب وهو أيسر من غيره، ومن ثم استحبت بعض التابعين انه يفطر على الحلو مطلقاً كالعسل رواه ابن أبي شيبه عن معاوية بن قرة وابن سيرين وغيرهما. وروى فيه معنى آخر عن ابن عون انه سئل عن ذلك فقال: إنه يحبس البول. هذا كله في صدر من يقدر على ذلك، وإلا فينبغي أن يفطر ولو على ماء ليحصل له شبه ما من الاتباع رواه ابن أبي جمرة. وأما جعلهن وتراً: فقال المهلب: فللإشارة إلى وحدانية الله تعالى وكذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم يفعله في جميع أموره تبركاً بذلك. انظر فتح الباري (١١/٥١٨ - ٥١٩).

(٣) في ب [حقيقة].

(٤) في ب [الذي].

يغلب عليها الرمل كالمدينة المنورة والعراق وأطراف مصر وهو حار في آخر الثانية، يابس في أولها وقيل في الأولى وفي المحيط حار رطب خواصه يقطع السعال المزمن وأوجاع الصدر ويستأصل شاقة البلغم خصوصاً إذا أكل على الريق وينفع من الفالج ووجع المفاصل عن برد ويولد الدم ويصلح أوجاع الظهر ويقوي الكلى المهزولة وبالحليب يقوي الباه وفي الأزرقى يقتل الدود المتولد من العفونة في البطن وفي المحيط يقوي الصداع وإذا حرق نوى التمر وسحق مع الكحل أنبت هدب العين واحد البصر، وسود ومنع الجرب وحسن قال في التذكرة ولا يجوز تعاطي التمر لمن لم يولد في بلاده إلا بقسطاس مستقيم ولا المحرور ولا زمن الصيف ويكره أكله عند النوم ويصلحه السكنجيين والقثا.

وقال بعضهم يصفه: أما ترى التمر يحكي، في الحسن للنظار، فحازنا من عقيق [قد جمعت بنظار^(١)] كأنما زعفران، فيه مع الشهد جاري^(٢)، يشق مثل كوس، مملوء من غفار وفي كتاب البركة عنه عليه الصلاة والسلام لا يجوع أهل البيت وعندهم التمر^(٣)، وقال بيت لا تمر فيه جياح أهله مرتين أو ثلاثاً^(٤)، وقال إذا فطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة، فإن لم يجد فليفطر على الماء فإنه طهور^(٥) وقال الشاعر!

فطور التمر سنة قال رسول الله سنه
من البرني المربي يحلى المرء^(٦) سنة

وعنه عليه الصلاة والسلام التمر البرني فيه شفاء من كل داء وقال خير تمركم

(١) جاءت هذه العبارة مكان العبارة رقم ٢ في ب وبالعكس.

(٢) أخرجه مسلم في الأشربة ١٦١٨/٣ الحديث ٥٢ (٢٠٤٦). والدارمي في الأطعمة ١٤١/٢ الحديث ٢٠٦١. والبغوي في شرح السنة ٣٢٢/١١ الحديث ٢٨٨٤.

(٣) في الحديث فضيلة التمر وجواز الادخار للعيال، والحث عليه. انظر شرح صحيح مسلم للنووي (٢٣٠/١٢).

(٤) أخرجه مسلم في الأشربة ١٦١٨/٣ الحديث ١٥٣ (٢٠٤٦). وأبو داود في الأطعمة ٣٦١/٣ الحديث ٣٨٣١. والترمذي في الأطعمة ٢٦٤/٤، ٢٦٥ الحديث ١٨١٥. والدارمي في الأطعمة ١٤١/٢ الحديث ٢٠٦٠. والبغوي في شرح السنة ٣٢٢/١١ الحديث ٢٨٨٥.

(٥) أخرجه أبو داود في الصوم ٣١٥/٢، ٣١٦ الحديث ٢٣٥٥. والترمذي في الصوم ٦٩/٣، ٧٠ الحديث ٦٩٥. وابن ماجه في الصيام ٥٤٢/١، الحديث ١٦٩٩. والدارمي في الصيام ١٣/٢ الحديث ١٧٠١.

(٦) في ب [للمر].

البرني، يذهب الداء ولا داء فيه^(١) وقال من تصب^(٢) بسبع تمرات عجوة^(٣) لم يضره

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٠٤/٤ وقال الذهبي أخرجه شاهداً والطبراني في الأوسط ٧/٢٤٧ الحديث ٧٤٠٦. والهيتمي في المجمع ٤٣/٥ وقال فيه سعيد بن سويد وهو ضعيف كلهم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ خير تمراتكم البرني يذهب الداء ولا داء فيه.

(٢) أخرجه البخاري في الطب ٢٤٩/١٠ الحديث ٥٧٦٩. ومسلم في الأشربة ٣/١٦١٨ الحديث ١٥٥ (٢٠٤٧). وأبو داود في الطب ٧/٤ الحديث ٣٨٧٦. والإمام أحمد في المسند ١/٢٢٩ الحديث ١٥٧٦.

(٣) قال الخطابي: كون العجوة تنفع من السم والسحر إنما هو ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتمر المدينة لا لخاصية في التمر. وقال ابن التين: يحتمل أن يكون المراد نخلًا خاصاً بالمدينة لا يعرف الآن. وقال بعض شراح المصابيح نحوه وأن ذلك لخاصية فيه. قال: ويحتمل أن يكون ذلك خاصاً بذهابه - صلى الله عليه وآله وسلم - وهذا يبعده وصف السيدة عائشة رضي الله عنها. قال بعض شراح المشارق: أما تخصيص تمر المدينة بذلك فواضح من ألفاظ المتن، وأما تخصيص زمانه بذلك فبعيد، وأما خصوصية السبع فالظاهر أنه لسر فيها، وإلا فيستحب أن يكون ذلك وترأ. وقال المازري: هذا مما لا يعقل معناه في طريقة علم الطب. لو صح أن يخرج لمنفعة التمر في السم وجه من جهة الطب لم يقدر على إظهار وجه الاقتصار على هذا العدد الذي هو السبع ولا على الاقتصار على هذا الجنس الذي هو العجوة ولعل ذلك كان لأهل زمانه صلى الله عليه وآله وسلم خاصة أو لأكثرهم إذا لم يثبت استمرار وقوع الشفاء في زماننا غالباً وإن وجد ذلك في الأكثر حمل على أنه أداء وصف غالب الحال. وقال عياض: تخصيصه ذلك بعجوة التالية وبما بين لا يتي المدينة يرفع هذا الإشكال ويكون خصوصاً لها كما وجد الشفاء لبعض الأدوية التي تكون في بعض تلك البلاد دون ذلك الجنس في غيره، لتأثير يكون في ذلك من الأرض أو الهواء. قال: وأما تخصيص هذا العدد فلجمعه بين الأفراد والإشفاق، لأنه زاد على نصف العشرة، وفيه أشفاق ثلاثة وأوتار أربعة وهي من نمط غسل الإناء من ولوغ الكلب سبعاً وقوله تعالى «سبع سنابل» وكما أن السبعين مبالغة في كثرة العشرات والسبعمئة مبالغة في كثرة المئين. انظر فتح الباري (١٠/٢٥٠ - ٢٥١). قال الشيخ النووي: وفي الحديث فضيلة تمر المدينة وعجوتها فضيلة التصب^(٤) بسبع تمرات منه وتخصيص عجوة المدينة دون غيرها وعدد السبع من الأمور التي علمها الشارع ولا نعلم نحن حكمتها فيجب الإيمان بهم واعتقاد فضلهم والحكمة فيهما، وهذا كأعداد الصلوات ونصب الزكاة وغيرها. وهذا هو الصواب في هذا الحديث قال: وأما ما ذكره الإمام أبو عبد الله المازري والقاضي عياض فيه فكلام باطل فلا تلتفت إليه ولا تعرج عليه وقصدت بهذا التنبيه والتحذير من الاغترار به. انظر شرح صحيح مسلم النووي (٣/١٤). وقال القرطبي: ظاهر الأحاديث خصوصية عجوة المدينة بدفع السم وإبطال السحر، والمطلق فيها محمول على المقيد وهو من باب الخواص التي لا تدرك بقياس طين. ومن أئمتنا من تكلف لذلك فقال: إن السموم إنما تقتل لإفراط برودتها فإذا دام على التصب^(٥) بالعجوة تحكمت فيه الحرارة، وأعانتها الحرارة الغريزية فقاوم ذلك برودة السم ما لم يستحكم قال: وهذا يلزم منه رفع خصوصية عجوة المدينة بل خصوصية العجوة مطلقاً بل خصوصية التمر فإنه من =

ذلك اليوم سم ولا سحر وفي الصحيحين «إن في عجوة العالية شفاء، وإنها ترياق أول البكرة»^(١) قال في المحيط العجوة تمر كريم - صلب ملرز، متين القوة ينفع من السموم الباردة وينفع من لسعة العقرب.

قال الأزهري: والصيحاني منها وعنه عليه الصلاة والسلام «كلوا البلح بالتمر فإن الشيطان يجري إذا رأى ابن آدم يأكله»^(٢)، يقول عاش ابن آدم حتى أكل الجديد بالخلق فائدة قال الشيخ أبو محمد الجوني في كتابه الفرق والجمع وفي أبواب الزكاة [كنت^(٣)] بالمدينة فدخل علي بعض أصحابي فقال كنا عند الأمير فتذاكروا أنواع التمر بالمدينة فبلغت أنواع الأسود ستين ثم قالوا وأنواع الأحمر فبلغت هذا المبلغ وفي زهر الرياض بلغت أنواع التمر بالمدينة مائة وبضعاً وثلاثين^(٤)، منها الصيحاني وهو نخل يعرف إلى الآن بهذا الاسم وهو بيد أولاد صفوي بن سليمان الطفيلي الحسيني قلت هو من أم عشر، مجرى السيل بالحرّة الغربية بعضه لبني السفر وبعضه لبعض بني حسين وأخرج ابن المؤيد الحموي عن جابر رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله تعالى وسلم عليه في بعض حيطان المدينة ويد علي في يده فمررنا بنخل فصاح النخل هذا محمد

= الأدوية الحارة ما هو أولى بذلك من التمر، والأولى أن ذلك خاص بعجوة المدينة، ثم هل هو خاص بزمان نطقه أو في كل زمان أهذا محتمل ويرفع هذا الاحتمال التجربة المتكررة نحن جرب ذلك فصيح منه عرف أنه مستمر وإلا فهو مخصوص بذلك الزمان. قال: وأما خصوصية هذا العدد فقد جاء في مواطن كثيرة من الطب كحديث «صبوا على من سبع قرب» وقوله للمفوذ الذي وجهه للحارث بن كلدة أن يلبه بسبع تمرات، وجاء تعويذه سبع مرات إلى غير ذلك. وأما في غير الطب فكثير فما جاء من هذا العدد في معرض التداوي فذلك لخاصية لا يعلمها إلا الله أو من أطلعه على ذلك وما جاء منه في غير معرض التداوي فإن العرب تضع هذا العدد موضع الكثرة وإن لم ترد عدداً بعينه. وقال ابن القيم: عجوة المدينة من أنفع تمر الحجاز وهو صنف كريم ملزمتين الجسم والقوة وهو من ألين التمر وألذه قال: والتمر في الأصل من أكثر الثمار تغذية لما فيه من الجوهر الحار الرطب، وأكله على الريق يقتل الديدان لما فيه من القوة الترياقية فإذا أديم أكله على الريق خفف مادة الدود وأضعفه أو قتله جبراً. قال الحافظ: وفي كلامه إشارة إلى أن المراد نوع خاص من السم وهو ما ينشأ عن الديدان التي في البطن لا كل السموم لكن سياق الخبر يقتضي التعميم لأنه نكرة في سياق النفي وعلى تقديم التسليم في السم فماذا يصنع في السحر. انظر فتح الباري (٢٥١/١٠).

(١) مسلم في الأشربة (١٦١٩/٣) - الحديث (٢٠٤/١٥٦) والإمام أحمد في مسنده (١٧١/٦) - الحديث (٢٤٧٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه في الأطعمه ١١٠٥/٢ الحديث ٣٣٣٠. وأخرجه الحاكم في المستدرک ٤/ ١٢١ قال الذهبي حديث منكر، ولم يصححه المؤلف.

(٣) سقط من ب.

(٤) في ب [ثمانين].

سيد الأنبياء وهذا علي سيد الأولياء أبو الأئمة الطاهرين ثم مررنا بنخل فصاح هذا محمد رسول الله وهذا علي سيف الله فقال النبي صلى الله تعالى وسلم عليه يا علي سمه الصيحاني^(١) فذلك هو السبب فيه قال ابن حجر في حاشيته الايضاح لكن رد بأنه موضوع، وحكى القصة السيد علي في الوفا ولم ينكرها والله تعالى أعلم. قلت ورأيت مؤلفاً في أنواع التمر مرتباً على حروف المعجم زاحمت الأنواع فيه المائتين، قال في زهر الرياض وصاحب الدرادي ذكر^(٢) محاسن في محاسن التمر اثني عشر سيدها البرني وغرس أهل المدينة له أكثر وعنايتهم به أتم وإذا غرس في غير المدينة لا تحسن حسنه فيها وثمره أعلى من غيره بل ولا يذكر في سلمهم غالباً غيره، يحمل إلى الأقطار تبركاً به ومدته في الرخاء بثمانية كبار وفي الفلا بعشرين فأكثر وهو مع ذلك واحد^(٣) الودى قليل القيمة وهو أزهر الزهر أحمر الرطب طوال شبيه بأصابع العذارى يلذ أكله زهواً ورطباً وتمراً والبردى أعلى قيمة من البرني لقلة وديه لعل جميع ما في المدينة لا يصل إلى خمسين نخلة وهو أصفر الزهر أحمر إلى الكدرة مكبكب مسلوب من أسفله يحمل إلى الروم وغيرها في الرباب والمراطيين، يقاربه الشقري والجعفري والطبرجلي، والغريس متقاربة في الشكل والسكر والبيض والعذق كذلك والبربر، والجادي متقاربان والحلي، أحمر البسر^(٤) زتوني لون الرطب وقال بعضهم أحسن أنواع الرطب وأطيبه الحلو ثم الطبرجلي، ثم الغريس ثم السكر ثم البرني ثم الحلي - وأنشد عليه -

في العوالي من أرض طيبة حقاً رطب فاق من سواد فذرني
هو حلو وسكر وغريس وحلي طبرجلي وبرني
وأشرف أنواع التمر البرني والسليبي والبردي والخضري والجعفري والجادي
واللبانة وهي القسب وقال:

خير ثمر في أرض طيبة يبدر من نخيل أسنى المحاسن تبدى
شلبسي وجعفري وقسب ثم جادي من بعد برني وبردي
قال في المحيط ومن النبات الذي يشبه النخل المقل^(٥) وهو الدوم وهو نخل بري
علا عليه اليبس والعنصر الشديد فقصر سعفه وصار الغالب على ثمرته الخشبية وعلى
نواه الحجرية وشجر النارجيل وهو الجوز الهندي وزعم أهل الحجاز أن شجرة النارجيل
هي شجرة المقل لكنها أثمرت نارجيلاً لطباع النوبة وأجوده الطري الأبيض وهو حار

(٤) في ب [البر].

(٥) سقط من ب.

(١) لم أجده.

(٢) سقط من أ.

(٣) في ب [وأخذ].

يابس يغذى غذاءً كثيرًا ويزيد في الباه وينفع من تقطير البول ودهنه جيد للبواسير ولبنه
لذيذ كثير الحلاوة ويجعل من قشره حبال للسفن فلا يعفن.

قال كشاحم:

وذا قشر أسود حشوها كافورة مرموقة المنظر
قد نشرت في رأسها وفرة تسترها عن ناظر المبصر
كأنها جمجمة البست دوائيًا من خالص العنبر
وشجرة الفوقل فإنها تشبه النخل وشجرة الكادي مثلها.

فائدة الكادي بالدال المهملة على ما يستفاد من كلام السيوطي قال^(١) في كتابه
بغية الوعاة في ترجمة البدر الدمايني وله ملغزًا في كاري!

وما شيء له نشر ذكي لعاطره إلى الطيب انتساب
تروح له على رجلك تمشي وتقلبه يداك فما الجواب
أنشدتها قال:

وقد نظمت جوانبها يديها بثغر الاسكندرية في رحلي إليها فقلت
وقد سمعت بهذا اللغز أدنى لم يأت من تفضله الجواب
فلذا طيب إذا صحفت منه أخيديه له في الخبث باب
والمراد منه أخيديه الدال المهملة، تصحف بالمعجمة والياء المثناة من تحت
تصحف بالباء الموحدة فيكون منه كاذب ولا شك أن له في الخبث باب (ب) كما قيل:

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقـ ول فحيلتي فيه قليله
وفي القاموس كذا كناية عن الشيء، الكاف حرف التشبيه وذا للإشارة والكادي
دهن، ونبت طيب الرائحة وفي التذكرة كادي كالنخل في ذاته وصفاته لكن لا يطول
يحسن بالميزان وهو حار يابس في الثانية إذا وضع طلعه قيل أن يشق في دهن سر النفس
وقوى الحواس وفرج وشد البدن ومنع الاعياء والخفقان وشربه يقطع الجذام انتهى،
وهو يوجد بالمدينة إلا أن سلطته بأمر القرى.

وعنه^(٢) في الصحاح وفلان صديقي وإنما يصغر على جهة المدح كقول حباب بن

(١) سقط من ب.

(٢) في ب [تمة].

المنذر أنا جديلهما المحكك وعذيقها المرجب انتهى عذيق تصغير عذق وهي النخلة
الكريمة على أهلها ويثر عذق حديقة بجزع قبلاً لشدقم وفيها بئر عليها قبة محكمة
جددت عمارتها سنة ست وأربعين وألف وهي من آبار العين الواصلة إلى المدينة المنورة
والرجبه البناء حول النخلة تحفظها^(١) إذا مالت أو المسوكة لحفظ ثمرتها والجدل واحد
الأجدال وهي أصول الحطب العظام والجدل المحكك الذي ينصب في العطن لتحتك به
الإبل الجربي كذا في الصحاح والله تعالى أعلم بالصواب^(٢).

(١) في ب [لحفظها].

(٢) سقط من أ.

باب في ذكر أحد ومساجده ومشهده الشريف ومعاহده

مواطن أفراحي ومريبي ما أربي وأطوراً^(١) وطاري وما من خيفتي
وثم وراء القول سر كتمته فلو قيل صرح قلت يا نفس اصمت
روى من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال^(٢) أحد
جبل يحبنا ونحبه فإذا جثتموه فكلوا من شجرة ولو من عضاة^(٣) يعني مرة^(٤).

قال ابن الهمام: ومزور جبل أحد نفسه لقوله عليه الصلاة والسلام أحد جبل يحبنا
ونحبه ويروى أحد على ترعة من ترع الجنة^(٥) ويروى أحد على ركن من أركان الجنة،
وعير على ركن من أركان النار وعن أنس مرفوعاً لما تجلى الله تعالى للجبل تشظى
وطارت منه لعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة وقع بمكة حراء وتيسير
ونور ووقع بالمدينة وورقان ورضوى.

وفي الدرة اليتيمة: مكان رضوى وعير. وعن بعضهم: إني لا أستبعد أن يكون
بالمدينة جبل من جبال النار بعد أن بدأها الله من الشرك وعير في مقابلة أحد وبينهما
المدينة عند شعب علي كرم الله وجهه وسمي أحداً لتوحده وانقطاعه عن غيره من الجبال
ولما وقع لأهله من نصرة التوحيد ولا مانع من وضع الحب فيه كما وقع التسبيح من
الجبال وقد خاطبه النبي صلى الله تعالى وسلم عليه مخاطبة من يعقل وقال له لما

(١) في ب [وأوطان].

(٢) سقط من أ.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ١٥١/٦ الحديث ٥٨/٣. وفي الأوسط ٣١٥/٦ الحديث ٦٥٠٥.
وقال الهيثمي في المجمع ١٦/٤ رواه البزار وفيه عبد المجيد بن أبي عيسى لينة أبو حاتم وفيه
من لم أعرفه.

(٤) سقط من أ.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط ١٥٨/٨ الحديث ٨٢٦٣ قال لم يرو هذا الحديث عن عطاء إلا
طلحة بن عمرو. وأورده السيوطي في الدر المنثور ١١٩/٣ وعزاه للطبراني.

اضطرب اسكن أحد^(١) وبقمته سقيفة وعندها صهرج يصعد إليه بعض الزوار بجهد جهيد.

وأنشد أبو عبد الله الفيومي لنفسه في ذلك :

هام بأشجانته إلى أحد حتى إذا ما رأى به عجزه
صار إذا قيل هل تعود له يقول وبينني وبينه حمزه
وعنه عليه الصلاة والسلام أنه صعد أحدًا فأقبل على المدينة وقال ويل أمها^(٢)
قرية تدعها أهلها كأنع ما تكون^(٣) وفي أحد غار زعموا أن النبي صلى الله تعالى وسلم
عليه اختفى فيه^(٤) وعن جابر مرفوعًا أقبل موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام حاجين
فمرا بالمدينة فخافا من يهود وكان بها^(٥) فخرجا مستخفيين فنزلا أحدًا فغشى هارون
الموت فقام موسى فحفر له ولحد ثم قال يا أخي إنك تموت فقام هارون فدخل في
لحده فقبض عليه فحشا عليه موسى بالتراب ويعرف قبره بشعب هارون^(٦).

وما المرء إلا راكب ظهر عمره على سفر يغنيه باليوم والشهر
يبيت ويمسي كل يوم وليلة بعيدًا عن الدنيا قريبًا من القبر
والشهداء بأحد سبعون رجلًا وكان عليه الصلاة والسلام يقول إذا زارهم سلام
عليك بما صبرتم فنعمى عقبى الدار^(٧) وأما الوقوف على أحوالهم وسماع كلامهم وهو
بحسب الاستعداد وكثير من سمع رد سلامهم وأما المشهد الشريف فيروى أن أم الخليفة
الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء هي التي بنته^(٨) في سنة سبعين
 وخمسمائة وجعلت عليه قبة متقنة وبابه كله مصفح بالحديد والقبر مجصص وعليه
تابوت عليه ثوب من الحرير من خليع كسوة الضريح النبوي ثم زاد فيه الأشرف قايتباي
زيادة أدخل فيها البئر^(٩) من الجانب الغربي وذلك في سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة
 واحتفر خارج البناء بئرًا بدرج تصل إلى^(١٠) الماء وذلك على يد شيخ الخدام بالحرم

-
- (١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة ٦٦/٧ الحديث ٩٩. والإمام أحمد في المسند ٣/ ١٣٨ الحديث (١٢١١٣).
- (٢) في ب [لها].
- (٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ٤٢٧/٤ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦٠/٦. وذكره الهيثمي في المجمع ٩/ ٣٦٢ وعزاه للطبراني وقال: رجاله رجالا
- لصحيح غير رجاء بن أبي رجاء، وقد وثقه ابن حبان.
- (٤) لم أجده.
- (٥) زائدة في ب.
- (٦) لم أجده.
- (٧) لم أجده.
- (٨) في ب [جنته].
- (٩) في ب [القبر].
- (١٠) سقط من ب.

النبي شاهين الشجاعى وقد أشرفت على الدمار لهجرها وكانت فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها تزور قبر حمزة رضى الله عنه وترمه وتصلحه وقد علمته بحجر. وليحيى: أنها كانت تختلف بين اليومين والثلاثة إلى قبور الشهداء بأحد فتصلي هناك وتدعوا وتبكي حتى ماتت.

مسألة: قال في الجوهر المنظم: زيارة مشهد السيد حمزة عم الرسول في يوم الخميس لأن الموتى يزيد عليهم بزوارهم يوم الجمعة ويوماً قبله ويوماً بعده ولما كان يوم السبت لزيارة مسجد قباء ويوم الجمعة يوم التذكير تعين لزيارة المشهد يوم الخميس وينبغي أن يسلم على علي ابن أخيه عبد الله بن جحش ومصعب بن عمير لأنهما عل قول هنالك.

فائدة: قال الزركشي: ينبغي أن يتثنى من منع نقل تراب الحرم تربة السيد حمزة المأخوذ من السيل^(١) الذي به مصرعه لاطباق السلف والخلف على نقله للتداوي من الصداق كذا في الجوهر المنظم وهذا مبني على أن المدينة حرم كما هو مذهبه وحمزة رضى الله عنه أحد أعمام سيد المرسلين وأخوه من الرضاعة وأسن منه بسنتين قيل وأفضلهم لحديث سيد الشهداء يوم القيامة حمزة وفي رواية سيد الشهداء عند الله يوم القيامة^(٢) حمزة بن عبد المطلب والحديث «خير أعمامي حمزة»^(٣) وعن السدي في قوله تعالى ﴿أفمن وعدناه وعدًا حسنًا فهو لاقية﴾ [القصص: ٦١] أنها نزلت في حمزة وجاء أن حمزة مكتوب في أهل السماوات السبع أسد الله وأسد رسوله وقد اختلف في عدة أعمام النبي صلى الله تعالى وسلم عليه فقيل عشرة وقيل تسعة عشر وأما عماته فست ويكنى حمزة بأبي يعلى وبأبي عمارة وهما أبناء وأولاده خمس ولم يعقب إلا من يعلى فإنه ولد له خمسة رجال لكنهم لم يعقبوا وانقطع نسل حمزة وكانت وفاته سنة ثلاث أو أربع وله سبع وخمسون ولما شهد النبي صلى الله تعالى وسلم عليه حمزة اشتد وجده عليه وقال لئن ظفرت لأمثلن بسبعين منهم فأنزل الله تعالى ﴿وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ [النمل: ١٢٦] فقال صلى الله تعالى وسلم عليه بل نصبر وكفر عن يمينه^(٤) وعنه عليه الصلاة والسلام

(١) في ب [المسيل].

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ١٢٠/٢ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وأورده الهيثمي في المجمع ٢٧١/٩ وقال فيه ضعف. وأخرجه الطبراني في الأوسط ٢٣٨/٤ الحديث ٤٠٧٩.

(٣) لم أجده.

(٤) أورده الهيثمي في المجمع ١٢٢/٦ وعزاه للبخاري والطبراني وقال فيه صالح بن بشير المزني ضعيف.

لولا أن تجد صفية لتركته حتى يحشر من بطون الطير والسباع^(١) وصفية شقيقته وهي أم الزبير بن العوام، ولما عاد إلى المدينة سمع النوح على قتلى الأنصار قال لكن حمزة لا بواكي له فسمع الأنصار فأمرؤا نساءهم أن يندبن حمزة قبل قتلاهم ففعلن ذلك قال الواقدي فلم يزلن يبدأن بالنذب لحمزة حتى الآن.

وقال كعب بن مالك يرثيه:

بكت عيني وحق لها بكاهها وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا لحمزة ذاكم الرجل القليل
أصيب المسلمون به جميعاً هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هدت وأنت الماجد البر^(٢) الوصول
عليك سلام ربك في جنان يخالطها نعيم لا يزول

وأما المساجد الذي هنالك فمنها مسجد الفسيح وهو لاصق بأحد على يمين الذاهبي في الشعب^(٣) للمهراس نزلت فيه آية ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا﴾ ومسجد جبل الرماة^(٤)، طعن فيه حمزة رضي الله عنه وهو في شرقي الجبل ومسجد الوادي على شفير الجبل قريب من الذي قبله ويسمى المصرع لأن حمزة رضي الله عنه صرع به وصلى به صلى الله تعالى وسلم عليه الصبح أو على حمزة رضي الله تعالى عنه^(٥) ومسجد السافلة في شرقي الطريق إلى مسجد السيد حمزة بين النخيل طوله ثمانية أذرع ويقال انه مسجد أبي ذر الغفاري صلى فيه النبي صلى الله تعالى وسلم عليه^(٦) ويعرف هذا الوادي بالشظاء^(٧) بفتح الشين المعجمة وفي الوفا الشظاء اسم لوادي قباء أو لما يلي السد من الوادي وسيل وادي قناة يأتي من وج الطائف ومصبه بحر القلزم من ناحية^(٨) اكرا وبالجملية فإن هذا الوادي من أطيب الأودية وأعذبها وفيه يحصل لمن حله كمال المسرة وصفاء الخاطر وسيلة من أعظم السيول وأصفافها وإذا انقطع بقيت منه غدران من أحسنه الغدير الكبير وهو شمالي المصرع ربما أقام فيه الماء الغزير نحو الشهرين صافياً مفرحاً وإذا صادف أيام الزيارة كان السرور أتم والانتفاع أعم وما أحسن ما قال:

(١) أورده الهيثمي في المجمع ١٢١/٦ وعزاه (٤) زائدة في ب.
للزار والطبراني وقال فيه يزيد بن أبي زياد (٥) لم أجده.
وهو ضعيف. (٦) لم أجده.
(٢) في ب [البر الماجد]. (٧) في ب [بالشظاء].
(٣) سقط من أ. (٨) في أ [نايحة].

لله يوم في الشظا قضيته خلف الزمان بمثله لا يغلط
الطير يقرأ والغدير صحيفة والريح تكتب والسحاب ينقط
وقال آخر:

غدير كالحسام له صقال ولكن فيه للرائي^(١) مسرة
رأيت به البدور تجيد عومًا كأنهم الكواكب في المجرة
وقال آخر:

يا حبذا زمن الشطآ وحيداً بغضائه عيش لنا ملذوذ
ولسيد الشهداء حمزة مشهد حكم السرور به له تنفيذ
ومن محاسن هذا الوادي، الصهريج الذي ابتناه^(٢) الوزير سنان باشا ومساحته
ثمانية عشر ذراعًا، في عشرين بذراع الكرياس وهو يمتلىء من السيل إذا كان قويًا وإلا
فمن شرائع^(٣) الجبل فيحصل به مدد كبير للزوار والبادية^(٤) وعلى ظهر الصهريج سقف
من عقود وطواحن بحيث يحصل به كمال المنفعة للزائرين والواردين.

لله آثار بطيبة إن بدت لاح السرور وفاح نشر عاطر
ما زرتها إلا وزالت كربتي وهما على جذبي سحب ماطر

(١) في ب [المرائي].

(٢) في ب [سرائع].

(٣) في أ [إبناه].

(٤) سقط من ب.

باب من ذكر الصدقة والسوافل

وآبار العريض الكثير النوافل

منازل طيبة فيها لقلبي منارة لم تزل فيها الأوانس
فمن لي أن أكون بها مقيمًا عيوي تجتلي فيها العرائس
الصدقة حدائق، ونخيل خارج المدينة في الجهة الشمالية منها أملاك ومنها أوقاف
وهو جزع متسع الأرجاء والرحاب.

جزع فسيح الرحاب منتزه يروق بالأنس والبها الحديقة
لا تنكروا رغبتني إليه فقد أمسيت أهوى محاسن الصدقة
والجزع الذي يتصل بمسجد الإجابة يقال له ملحّة^(١).

وعليه أنشد لنفسه السراج عمر الأشهر الأنصاري:

يا محنة إلا وفي طيها لكل عبد مؤمن منحة
الحمد لله وشكرًا له المنبت السكر في ملح
والجزع الذي يلي الصدقة من جانب الشمال والمغرب بين قناة والجرف يقال
يشرب بالثاء المثلثة وكسر الراء وإطلاقه على المدينة المنورة من قبيل إطلاق الجزء على
الكل.

وقال آخر:

وهذا رسول الله فارق مكة على حفوة لم ترضها فيه يشرب
وليس هذا المذكور في قوله: مواعيد عرقوب أخاه يشرب
وعدت وكان الخلف منك سجية

(١) في ب [مليحة].

لأن المجد قال اجمعوا فيه على تثنية التاء وفتح الراء وهي مدينة بحضرموت وقيل قرية باليمامة وقيل غير ذلك وأنشدوا:

يا ابن الكرام اعد في الدهر فكر فتى له بشطر به تحويل وتقليب
لا تعتبن على عرقوب واحدة وكل من فوقها في الوعد عرقوب
وحكى ابن حجر في الجوهر حديث أريت^(١) دار هجرتكم بسبخة بين ظهراي
حرتين اما أن تكون هجرًا ويشرب وفي الصحيحين انه عليه الصلاة والسلام قال هي
يشرب^(٢).

قال أبو عبيدة: يشرب اسم أرض، ومدينة النبي صلى الله تعالى وسلم عليه في ناحية منها. وقال ابن زبالة: كانت يشرب أم قرى المدينة وهي ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف وبين المال الذي يقال له البرني إلى زبالة.

فائدة: قيل: إن تبعًا لما قدم المدينة بعث رائده ينظر إلى مراعي المدينة فأتاه فقال: أما قناة فحب ولا تبين وأما الجرار فلا حب ولا تبين وأما الجرف فالحب والتبين والمختار اليوم للزرع عند أهل المدينة أرض العريض.

قصة: قيل: إن العماليق سكنت مكة والمدينة وكانت الحجاز أشجر بلاد الله وأطهر ماء ثم إنها عثت فبعث [الله]^(٣) موسى عليه السلام إليهم [بعث موسى]^(٤) جنودًا من بني إسرائيل فقتلوهم بالحجاز ويروى ان ضبعًا رؤيت مع أولادها رابضة في عجاج عين رجل من العماليق وفي تاريخ المقرئ يحكى أن سبعة عشر رجلاً استظل في قحف رجل من بني إسرائيل وكان يمضي في ذلك الزمان أربعمئة سنة ولم يسمع بجنابة كذا في الدرة اليتيمة^(٥) وأما مسجد الإجابة فهو لبني معاوية في شمالي البقيع على يسار السالك إلى العريض وسط تلؤل وفي مسلم انه صلى الله تعالى وسلم عليه ركع فيه ركعتين وصلينا معه فدعى ربه طويلاً ثم انصرف^(٦) إلينا فقال سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك أمتي بالسنة* فأعطانيها وسألته أن لا يهلك أمتي

(١) في ب [أريت].

(١) في ب [أريت].

(٢) لم أجده.

(٣) سقط من أ.

(٤) سقط من أ.

(٥) في ب [اليتيمة].

* أي لا أهلكهم بقحط يعمهم بل ان وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام فله الحق والشكر على جميع نعمه. انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٤/١٨).

بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها^(١) انتهى وقد علمت أنهم مخاطبون في حال هبوطهم بقوله تعالى ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ [البقرة: ٢٦] وفي بعض الأخبار لا سلامة من الناس ولا غنى عنهم ولا شفاة من الموت^(٢) وأما العريض بضم أوله وكسر ثانيه مصغر العرض بالكسر فهي قرية على أربعة أميال من المدينة كذا في العقد النبوي وهي في الجهة الشرقية وتشتمل على آبار ومزارع شتى [وكان بها نخل ولم يبق اليوم منه شيء]^(٣) من أحسنها البحيرة الكبرى وبحيرة ابن سعد وذات الحصن وفي شرقيه بئر مطوية قطرها ذراعان والهندية وهي معدود لزراع الحنطة والشعير فإذا كانت أيام الخريف فهي الزمردة الخضراء لاتصال مزارعها وحولها آبار قديمة لم يبق منها إلا الرسوم ومزارع صارت منابت الحمص لهجرها ولكمال الضعف في أهلها^(٤) وهناك أطام قديمة زعم بعضهم انها تشتمل على كنوز ومطالب وما أغرب ما يحكى في هذا الباب أن رجل من القبط جاء إلى عبد العزيز بن مروان عامل مصر فقال إن في مكان كذا كنزًا ومصدق ذلك أن توجد بلاطة من مرمر خلفها باب من نحاس خلفه عمود من ذهب فوقه ديك من ذهب له عينان من الياقوت الأحمر وجناحان من المرجان والزمرد فلما سمع ذلك منه عبد العزيز بعث معه ألف رجل فلما حفروا وظهر لهم الديك ظهرت قناطر معقودة ولاحت منها تماثيل وأشخاص من ذهب فأخبر بذلك فحضر ونزل بعض الرجال فلما وضع قدمه داخل الباب نزل عليه سيفان تركاه قطعًا وصفر ذلك الديك فسمعت أصوات بحفرة^(٥) مزعجة فهلك بالرجفة ممن حضر ثلاثة آلاف فطموهم بالرمال في تلك الحفرة فكانت قبرًا لهم ورجع من بقي مقطوع الرجاء وقال لسان الحال:

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
ولا يغركم مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي

(١) أخرجه مسلم في الفتن ٢٢١٦/٤ الحديث ٢٠ (٢٨٩٠). وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٢٣٠ الحديث ١٥٧٩. وأخرجه الطبراني في الكبير ١٠٧/١ الحديث ١٧٩.

(٢) سقط من ب.

(٣) سقط من ب.

(٤) زائدة من أ.

(٥) سقط من ب.

باب في ذكر بقيع الفرقد ومعاهده، ومزاراته ومشاهده

تعجبت من أمر البقيع وقد غدا
فألفيته مأوى الأحبة كلهم
على وحشة الموتى له مهجتي تصبو
ومستوطن الأحباب يصبو له القلب
بقيع الفرقد بالغين المعجمة كبار العوسج كان نابئاً به فقطع واتخذ مقبرة ومن كلام
عمر بن النعمان يرثي من قتل من قومه الذين اغلقوا عليهم حديقه واقتتلوا حتى لم يبق
منهم أحد.

خلت الديار فسدت غير مسود^(١)
أين الذين عهدتهم في غبطة
ومن العناء تفردى بالسؤدد
بين العقيق إلى بقيعه الفرقد
قوم هم سفكوا دماء سراتهم
بعض لبعض فعل من لم يرشد

فائدة: اشتهر على السنة كثيرين فتح سين السؤدد وليس إلا الضم مع فتح الدال أو
ضمها مع الهمز وعدمه والبقيع بالياء الموحدة كل موضع فيه أروم الشجر من ضروب
شتى روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من دفن في مقبرتنا هذه شفّعنا له أو شهدنا
له^(٢) وقال من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنني أشفع لمن يموت بها^(٣) وقال
من مات بأحد الحرمين بعث من الأمنين يوم القيامة^(٤) وعنه عليه الصلاة والسلام، اللهم
لا تحرمنا أجرهم ولا تفتننا بعدهم^(٥) وعن الحسن أتى النبي صلى الله تعالى وسلم عليه

(١) في ب [سود].

(٢) لم أجده.

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب ٧١٩/٥ الحديث ٣٩١٧. قال: هذا حديث حسن غريب من
حديث أيوب السخيتاني. وأخرجه ابن حبان في موارد الظمان ص ٢٢٥ الحديث ١٠٣١.

(٤) أخرجه الدارقطني في السنن ٢٧٨/٢ الحديث ١٩٣. وأورده العجلوني في كشف الخفاء ومزيل
الإلباس ٣٦٨/٢ برقم ٦١٩.

(٥) وأخرجه ابن ماجه في الجنائز ١/٤٩٣ الحديث ١٥٤٦ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/
١٢٤ الحديث ٢٤٨٥٥.

على بقيق الفرقد فقال السلام عليكم يا أهل القبور ثلاثاً لو تعلمون ما الذي نجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم ثم التفت فقال هؤلاء خير منكم قالوا يا رسول الله إنما هم اخواننا آمنّا كما آمنوا وأنفقنا كما أنفقوا وجاهدنا كما جاهدوا وأتوا على أجلهم ونحن ننتظر فقال إن هؤلاء قد مضوا لم يأكلوا من أجورهم شيئاً وقد أكلتم من أجوركم ولا أدري كيف تصنعون بعدي^(١) وعنه عليه الصلاة والسلام أنه خرج إلى المقبرة فقال وددت أني قد رأيت اخواننا قالوا يا رسول الله ألسنا إخوانك قال أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد وأنا فرطهم على الحوص قالوا يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك قال أرأيت لو كان لرجل خيل غر محجلة من خيل دهم، بهم ألا يعرف خيله قالوا بلى قال إنهم يأتون يوم القيامة غراً محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوص رجال عن حوص كما يزداد والبيعير الضال فأناديهم ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا* فأقول فسحقاً فسحقاً فسحقاً^(٢).

وعنه عليه الصلاة والسلام «يحشر من هذه المقبرة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب كان وجوههم القمر ليلة البدر فقام رجل فقال يا رسول الله وأنا منهم فقال وأنت

(١) لم أجده.

(٢) أخرجه مسلم في الطهارة ٢١٨/١ الحديث ٣٩ (٢٤٩). والنسائي في الطهارة ٧٩/١. وابن ماجه في الزهد ١٤٣٩/٢ الحديث ٤٣٠٦.

* قال الشيخ النووي: هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال: أحدها: أن المراد به المنافقون والمرتدون فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل فيناديهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم للسيما التي عليهم. فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم إن هؤلاء بدلوا بعدك. أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم. الثاني: أن المراد من كابد في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم ارتد بعده فيناديهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء لما كان يعرفه صلى الله عليه وآله وسلم في حيات من إسلامهم فيقال: ارتدوا بعدك. والثالث: أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام وعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء الذين يزدادون بالنار بل يجوز أن يزدادوا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب. قال أصحاب هذا القول: ولا يمتنع أن يكون لهم غرة وتحجيل، ويحتمل أن يكون، كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعده ولكن عرفهم بالسيما. وقال الإمام الحافظ ابن عبد البر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء. قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور طمس الحق والمعلنون بالكبائر قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا مما عنوا بهذا الخبر. نلر شرح صحيح مسلم للنووي (١٣٦/٣ - ١٣٧).

منهم فقام آخر فقال يا رسول الله وأنا منهم فقال سبقك بها عكاشة^{(١)(٢)}.

قيل وكأنه كان منافقاً فلم يقل وأنت وفيه أدب كبير.

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ٤١٣/١١ الحديث ٦٥٤٢. ومسلم في الإيمان ١٩٧/١ الحديث ٣٦٧ (٢١٦). والإمام أحمد في المسند ٤٠٥/٢ الحديث ٨٠٣٦. والدارمي في الرقاق ٢/٤٢٢ و٤٢٣ الحديث ٢٨٠٧.

(٢) قد اختلفت أجوبة العلماء في الحكمة في قوله: [سبقك بها عكاشة]: فأخرج ابن الجوزي. في [كشف المشكل] من طريق ابن عمر الزاهد انه سأل أبا العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب عن ذلك فقال: كان منافقاً، وكذا نقله الدارقطني عن القاضي أبي العباس البرتي بكسر الموحدة وسكون الراء بعدها مثناة فقال: كان الثاني منافقاً وكان صلى الله عليه وآله وسلم فلا يسأل في شيء، إلا أعطاه فأجابه بذلك ونقل ابن عبد البر عن بعض أهل العلم نحو قول ثعلب وقال ابن ناصر: قول ثعلب أولى من رواية مجاهد لأن سندها واه واستبعد السهيلي قول ثعلب بما وقع في مسند البزار من وجه آخر عن أبي هريرة... فقام رجل من خيار المهاجرين، وسنده ضعيف جداً مع كونه مخالفاً لرواية الصحيح أنه من الأنصار. وقال ابن بصال: معنى قوله [سبقك]، أي إلى إحراز هذه الصفات وهي التوكل وعدم التطير وما ذكر معه وعمل عن قوله [لست منهم أو لست على أخلاقهم] تطفأ بأصحابه صلى الله عليه وآله وسلم وحسن أدبه معهم. وقال ابن الجوزي: يظهر لي أن الأول سأل عن سبق علمه فأجيب. وأما الثاني: فيحتمل أن يكون أريد به جسم المادة، فلو قال للثاني نعم لأوشك أن يقوم ثالث ورابع إلى ما لا نهاية له وليس كل الناس يصلح لذلك. قال القرطبي: لم يكن عند الثاني من تلك الأحوال ما كان عند عكاشة. فلذلك لم يجب إذا لو أجابه لجاز أن يطلب ذلك كل من كان حاضراً فيتسلسل فسد الباب بقوله ذلك، وهذا أولى من قول من قال كان منافقاً لوجهين: أحدهما: إن الأصل في الصحابة عدم النفاق فلا يثبت ما يخالف ذلك إلا بنقل صحيح. والثاني: أنه قل أن يصدر مثل هذا السؤال إلا عن قصد صحيح ويقين بتصديق الرسول وكيف يصدر ذلك من منافق. قال الحافظ ابن حجر: وإلى هنا جنح ابن تيمية. وصحح النووي: أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - علم بالوصي انه يجاب في عكاشة ولم يقع ذلك في حق الآخر. وقال السهيلي: الذي عندي في هذا أنها كانت ساعة أجابه عليها - صلى الله عليه وآله وسلم - واتفق أن الرجل قال بعدما انقضت بينه ما وقع في حديث أبي سعيد «ثم جلسوا ساعة يتحدثون» في رواية ابن إسحاق بعد قوله سبقك بها عكاشة وبررت الدعوة أي انقضت وقتها. قال الحافظ ابن حجر: قلت: فتحصل لنا من كلام هؤلاء الأئمة على خمسة أجوبة، والعلم عند الله تعالى. قال الحافظ: ثم وجدت لقول ثعلب ومن وافقه مستنداً وهو ما أخرجه الطبراني ومحمد بن سنجر في مسنده وعمر بن شبة في أخبار المدينة من طريق نافع مولى جفنه عن أم قيس بنت محصن وهي أخت عكاشة إنما خرجت مع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى البقيع فقال: يحشر من هذه المقبرة سبعون ألفاً بغير حساب كأن وجوههم القمر ليلة البدر، فقام رجل فقال: يا رسول الله وأنا؟ قال: وأنت. فقام آخر فقال: أنا؟ قال: سبقك بها عكاشة.. قال: قلت لها: لِمَ لَمْ يقل للآخر؟ فقالت: أراه كان منافقاً كان هذا أصل ما جزم به من قال كان منافقاً فلا يدفع تأويل غيره إذ ليس فيه إلا الظن. انظر فتح الباري (١١/٤٢٠ - ٤٢١).

إذا أمسيت في قاع البقيع مجاور رحمة الباري السميع
فهنوني بما لقيت إنني أراني في حمى حرز منيع
وقال آخر:

إذا أمسى فراشي من ترابي وصرت مجاور الرب الرحيم
فهنوني أحبابي^(١) وقولوا لك البشرى قدمت على الكريم
أنشد لنفسه الشيخ جمال الدين العصامي:

يا أهل دار المصلى^(٢) والبقيع سقت ربوعكم سحب منهله الديم
لو أن روعي في كفي لزرركم سعيًا على الرأس لا سعيًا على القدم
فائدة: قال الملا على القاري في شرح لباب المناسك المعلى بفتح الميم واللام
ضد المسفلة واشتهر بين العامة بضم الميم وتشديد اللام المفتوحة وله وجه في القواعد
العربية وهي أفضل مقابر المسلمين بعد البقيع بالمدينة انتهى وعن أبي مويهبة مولى
رسول الله صلى الله تعالى وسلم عليه قال بعثني رسول الله صلى الله تعالى وسلم عليه
من جوف الليل فقال إنني أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي فانطلقت معه فلما
وقف بين أظهرهم قال السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح
الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة أشر من الأولى ثم
أقبل علي فقال يا أبا مويهبة إنني قد أوتيت خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة والخلد
فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة فقلت بأبي أنت وأمي خذ مفاتيح
خزائن الدنيا فقال لا والله لقد اخترت لقاء ربي والجنة ثم استغفر لأهل البقيع ثم انصرف
فبدأ به وجعه الذي قبض فيه^(٣) موعظة في كتاب مباهج التوسل كان عسكر سليمان عليه
الصلاة والسلام مائة فرسخ خمسة وعشرون للأنس ومثلها للجن ومثلها للطير ومثلها
للوحش وكان حرسه ستمائة ألف وكان ينام بين الفقراء في خلقان مرقعة ولقد قال رب
هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب^(٤) ففعل له ذلك ثم اضمحل
حتى كأن لم يكن قال بعضهم:

(١) في ب [أصحابي].

(٢) في ب [المصلي].

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥٩٣/٣) - الحديث (١٦٠٠٣). والحاكم في المستدرک (٣/

٥٦) وأورده الهيثمي من مجمع الزوائد (٦٢/٣) وقال: رواه أحمد والبرار وكلاهما ضعيف.

(٤) زائدة في ب.

إذا لم تملك الدنيا جميعًا كما تختار فاتركها جميعًا
مر داود عليه السلام بمفازة، فرأى فيها حجرًا على رأس قبر، مكتوب فيه عشت
ألف سنة وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وأفضضت ألف بكر ثم صرت إلى ما
ترى من سكان الثرى:

فإن كنت لا تدري متى الموت فاعلمن بأنك لا تبقى إلى آخر الدهر
وقال آخر:

الموت بحر يهاب المرء^(١) موره وكل يوم له من كأسه جرع
لا صحة المرء في الدنيا تؤخره ولا يقدم يومًا موته الوجع
وكل يوم علينا في فجائعة طير تحوم فلا ندري بمن تقع
وقال:

إن الحبيب من الأحباب مختلس لا يمنع الموت بواب^(٢) ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه^(٣) النوم والنفس
لا يرحم الموت ذا جاء لعزته ولا الذي كان العلم منه يقتبس
وقال:

المرء يطلب والمنية تطلبه ويد الزمان تديره وتقلبه
أي امرئ إلا عليه من البلى في كل ناحية رقيب يرقبه
من لم يزل متعجبًا من حادث تأتي به الأيام طال تعجبه^(٤)
وقال آخر:

أمل يقربه الرجاء إلى المنى كم تسخر الآجال بالآمال
كذبتهم الأطماع حتى أنهم أيسوا بها إذا واعدت بمحال
أنشد لنفسه ابن المعتز:

خليلي ولي العمر منا ولم نتب وننوى فعال الصالحين ولكننا
فحتى متى نبني قصورًا مشيدةً وأعمارنا منا تهد وما بنا
نكتة: مررت في رحلتي ببعض قرى الروم، فرأيت قبرًا عليه بنيان قد أظهرت فيه
الحكمة زخارف صنعة البنا وعلى رأسه مكتوب.

(١) في ب [علينا].

(٢) هذا البيت سقط من ب.

(٣) في ب [الناس].

(٤) في ب [بواد].

وما ينفع الإنسان بنيان قبره
يمسي ويصبح والأشواق تغره
إذا كان فيه جسمه يتهدم
ولا طمع في الدنيا وليس منهدم^(١)

موعظة: نظر سليمان بن عبد الملك إلى وجهه في المرأة فقال أنا الملك الشاب
فقلت له إحدى جواريه:

ليس فيما بدا لنا منك عيب
أنت نعم المتاع لو كنت تبقى
قد علمناه غير أنك فاني
غير أن لا بقاء للإنسان
وقال ابن غانم:

أنوح على ذهاب العمر مني
واندب كلما عاينت ركبا
يعنفني العذول إذا رأي
فقلت له اتعظ بلسان حالي
وما من شاهد في الكون إلا
فكم من رائج فيه وغاد
لقد أسمعت لو ناديت حيا
وقال غيره:

إذا اشتد شوقي جئت قبرك زائرا
فيا ساكن الغبراء علمتني البكا
أنوح وأبكي لأراك مجاوبي
وبعدك انساني جميع مصابي

لطيفة: قال الشيخ محيي الدين بن عربي في كتابه المسامرة: لكل مقال مجال^(٢)
أخبرني أحمد بن مسعود بن شداد المقرئ بالموصل قال كان لي صاحب يقال له علي
الذهاب وكان يمر بي كل ليلة بعد مضي هذيع من الليل وأنا بهذه المنظرة على شاطئ
دجلة، فنادى يا زكي وأقول لبيك.

فيقول وما أحسن ما قال:

بالله يا ركب الحجاز تحملوا
وقفوا على شط الفرات وخبروا
مني تحية مغرم ومشتاق
إنسي قتيل محاجر الأحداق
فلم يلبث أن مات، فرأيته في منامي فقلت يا علي ما أحسن ما كنت تأتيني به في

(٢) في ب [ولكل حال].

(١) سقط من أ.

حياتك كل ليلة وتنشدني وأنشدته البيتين فتبسم وقال يا زكي كيف لو سمعتني أنشدهما اليوم، فقلت له كيف فأنشد:

بالله يا ركب الحجاز تحملوا
وقفوا على شط الفرات وخبروا
قد كان في موت الذين أحبهم
وما أحسن ما قال:

فاخلع محبة من يموت وخذ بنا
وقال غيره:

تنزهت عن دار تؤل إلى الفنا
وقلت لتلك الدار لما تركتها
وملت إلى دار بها جنة المأوى
سلام على الفاني فليست له أهوى
مسألة: يسن للزائر أن يزور البقيع في كل يوم متطهرًا تأسيًا صلى الله تعالى وسلم عليه ويقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون^(١) وإنا بكم إن شاء الله لآحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الفرقد، اللهم اغفر لنا ولهم أنشد لنفسه الشيخ أبو عبد الله الفيومي مقتبسًا على لسان الموتى:

تأمل ما الذي كنا عليه
وقل لما تمر بنا سلام
بأيام الحياة وما بقينا
عليكم دار قوم مؤمنينا
والمعروف المشهور بالبقيع من القبور، قبر العباس بن عبد المطلب، عم النبي ﷺ وعليه ملبن ساج.

(وسكان دار لا تزاور بينهم
كان خواتيما من الطين فوقهم
نساق بنو الدنيا إلى الحتف عنوة
وقال آخر:

وما الدهر إلا ساعة ثم تنقضي
فهون ولا تحفل بحال مساءة
وقال:

(١) سقط من أ.

ما الدهر إلا ليلة ويوم
يموت قوم ويعيش قوم
ويقظة بينهما ونوم
والدهر قاضٍ ما عليه لوم^(١)
نكتة: قال الحسن البصري: يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة فإذا ذهب يوم منها ذهب بعضك وقال آخر: ما انقضت ساعة من أمسك إلا ببضعة من نفسك. أنشد لنفسه الوزير بن مقلة:

إذا مات بعضك فابك بعضاً
أنشد لنفسه ابن الشبل البغدادي:

صحة المرء للسقام طريق
بالذي نغتذي نموت ونحي
وطريق الفناء هذا البقاء
أقتل الداء للنفوس الدواء
ما لقينا من غدر دنيا فلا كان
صلف تحت راعد وسراب
راجع جودها عليها فمهما
ليت شعري حلم تمر به الأ
من مفسد يكون في عالم الكس
وقليلاً ما تصحب المهجة الجسد
قبح الله لذة لشقاء
نحن لولا الوجود لم نألم الف
وقال آخر:

نسير إلى الآجال في كل ساعة
ولم أر^(٢) مثل الموت حقاً كأنه
وقال عمارة:

وما هذه الأيام إلا صحائف
وأعجب شيء من ذا أن دائرة المني
وقال آخر:

(وما هذه الأيام إلا مراميل

لأن بها داء المنية قاصد

(٣) من ب [الأيام].

(٢) سقط من ب.

(١) سقط من ب.

وأعجب شيء إن تأملت أنها
وقال:

نصير ترابًا كأن لم نكن
فتبًا لعيش قصير الدوام
وقال آخر:

سل الأيام ما فعلت بكسرى
أما استدعتهم للبين طراً
وقال:

سل الأيام على أمم تقضت
ولا تطلب بدار الذل عزا
وجد مكتوباً على لوح قبر:

صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا
تركوا منازل كان العز مفرشها
نكتة: قال الحكيم بطليموس: لا يهولنكم أمر الموت فإن مرارته في خوفه.
أخذه المتنبي فقال:

الأسى قبل فرقة الموت عجزاً
وقال بعضهم:

لا تنكر فضيلة الموت
ما تكره وإن كان سبباً لفراقك ما تحب من القواعد الفقهية دفع المضار مقدم على
جلب المصالح على أنه لا طريق إلى الجادة ولا مدح إلا على الإجابة:

جزى الله عنا الموت^(٢) خيراً فإنه
يعجل تخليص النفوس من الردى
وقال آخر:

قد قلت إذ مدحوا الحياة وبالغوا
منها أمان لقاءه بلقائه

(٢) في ب [الموت عنا].

(١) زائدة في أ.

قال في كتاب تنبيه الغافلين «من أكثر ذكر الموت أكرم بتعجيل التوبة والقناعة بالقوت والنشاط إلى العبادة ومن نسي الموت عوقب بتسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل في العبادة.

تنبيه: قال حاتم الأصم: أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة الشباب لا يعرف قدره إلا الشيوخ والعافية لا يعرف قدرها إلا أهل البلاء والصحة لا يعرف قدرها إلا المرضى والحياة لا يعرف قدرها إلا الموتى. وقال شقيق بن إبراهيم: وافقني الناس في أربعة قولاً وخالفوني فيها فعلاً قالوا إن الله تعالى كفيلاً بأرزاقنا ولا تطمئن قلوبهم إلا مع شيء من الدنيا وقالوا نحن عبيد الله ويعملون عمل الأحرار وقالوا الآخرة خير من الأولى وهم يجمعون للدنيا وقالوا لا بد من الموت وهم يعملون أعمال قوم لا يموتون وعنه عليه الصلاة والسلام «القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر وإن لم ينج منه فما بعده أشد وأعسر»^(١). وقال سعيد بن المسيب: ليس شيء قبل الموت إلا والموت أشد منه وليس شيء بعد الموت إلا والموت أهون منه وقال آخر من أراد أن يعلم حال الدنيا بعده فلينظر إليها بعد غيره.

من فاتته من عقله وعظ
ما تنفع العين إذا لم يكن
هيهات أن ينفعه اللفظ
لقلب من يرنو بها^(٢) لحظ
وما أصدق ما قال:

لو لم يكن موت لكانت هموم
قد أنذر السوعظ وأسماعنا
الدهر تنفي رغبة^(٣) الراغب
عن كل ما يذكر في جانب
قال الأرجالي:

أسف على ماضي الزمان وحسرة
ما أن وصلت إلى زمان آخر
وفي الحال منه وحشة في المقل
إلا بكيت على الزمان الأول
وقال غيره:

طول حياة ما بها طائل
عدمته فيها كل ما يشتها

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٧٩/١) - الحديث (٤٥٦). وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣٣٠/٤، ٣٣١) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) في ب [يدنو].

(٣) في أ [رغبت].

أصبحت مثل الطفل في ضعفه
ولم أَلَمْ سمعي إذا خانني
وقال آخر:

حملت العصا لا الضعف أوجب حملها
ولكنني ألزمت نفسي حملها
وقال:

قد عصيت الهوى طفلاً صغيراً فعندما
أطعت الهوى عكس القضية ليتني^(٢)
وقال بن المعتز:

ترحل من الدنيا بزداد من التقى
وما أقبح التفريط في زمن^(٣) الصبا
وقال غيره:

كم ذا يرينا الدهر من أحداثه
ننسى الممات وليس نجري ذكره
وقال ابن أخيه علي بن الحسين زين العابدين، وأبو جعفر محمد بن علي الباقر
وابنه جعفر الصادق وفي الجوهر المنظم لابن حجر مشهد الحسن بجانب أمه فاطمة
رضي الله تعالى عنها على الأرجح وقيل دفنت في بيتها خلف الحجرة داخل مقصورتها
وذكر ابن سعد أن يزيد بعث برأس الحسين رضي الله تعالى عنه إلى عامله بالمدينة فكفنه
ودفنه عند قبر أمه فاطمة رضي الله عنهما وعن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي أنه
قال ادفنوني إلى جنب أمي فاطمة بالمقبرة فدفن إلى جنبها.

وقال المسعودي في مروج الذهب: إن أبا عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن
الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم توفي سنة ثمان وأربعين ومائة
ودفن بالبقيع مع أبيه وجده.

قال: وعلى قبورهم في هذا الموضع [من البقيع]^(٤) رخامة مكتوب عليها بسم الله
الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرمم، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله ﷺ

(٣) في ب [أيام].

(٤) زائدة في أ.

(١) في ب [المبدى].

(٢) سقط من ب.

سيدة نساء العالمين، وقبر الحسن بن علي، وعلي بن الحسين بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام، حكاه السيد علي في تاريخ الوفاء وعلى هذه القبور قبة عالية قديمة البناء في أول البقيع على يمين الخارج إليه وعليها بابان يفتحان كل ليلة جمعة وصبيحتها ويروى أن الحسن رضي الله تعالى عنه، نقل أباه إلى هذه القبور^(١) والله سبحانه وتعالى أعلم.

عظام بأكناف البقيع زكية
ولآل رسول الله صلت عليهم
وقال بعضهم:

حب آل النبي حشو حشائي
أنا والله مغرم بهواهم
وقال أبو فراس:

هم الغيث إذا ما أزمة أزممت
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم
يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم
من معشر حبه فرض وبغضهم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم
وقال آخر:

ولأي لآل المصطفى عقد مذهبي
وما أنا ممن يستجيز بحبهم
ولكنني أعطي الفريقين حقهم
وقال الشيخ حسن البوريني:

حسن ظني يا رب فيك رجائي
أنا لله والرسول محسب
وقال الشيخ محي الدين بن العربي:

نعم حب آل البيت عندي فريضة

على غيظ أهل البعد يورثني القربا

(٣) سقط من ب.

(٤) في ب [منعم].

(١) في ب [المقبرة].

(٢) ثبت في أ [وأيدنا لندي].

وما طلب المختار منا جزاءه
على هديه إلا المودة في القربا
وقال غيره^(١):

يا آل بيت النبي مني بذلت
في حبكم روحه فما غبنا
من جاء عن بيته يحدثكم
قولوا له البيت والحديث لنا
وفيه إبراهيم بن رسول الله صلى الله تعالى وسلم عليه وعليه قبة مشيدة، وقبور
أزواج النبي صلى الله تعالى وسلم عليه وهي قبور ظاهرة ولا يعلم تحقيق من فيها منهم
إلا قبر عائشة رضي الله تعالى عنها في قول، وقبر عقيل بن أبي طالب، ومعه عبد الله
بن جعفر الطيار، وقبر صفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله تعالى وسلم عليه في
تربة أول البقيع وقبر مالك بن أنس أمام دار الهجرة وقبر نافع أحد القراء وقبر فاطمة بنت
أسد أم علي ابن أبي طالب وعليها قبة في آخر البقيع وقال ابن حجر لا أصل له وإنما
هو سعد بن معاذ وقبر عثمان بن عفان ثالث الخلفاء رضي الله تعالى عنهم وفي شرقي
البقيع، مسجد يعرف بمسجد البغلة فيها أثر يقال انه أشرف حافري بغلة النبي صلى الله
تعالى وسلم عليه قال في الجوهر مسجد البغلة شرقي البقيع بطرف الحرة الغربية لبني
ظفر من الأوس صلى فيه النبي صلى الله تعالى وسلم عليه وجلس على حجر فيه^(٢) ونقل
من جلست عليه إلا حبلت وفيه أثر على حجر كأنه مرفق يقال انه مرفقه الشريف [ذرحه
إحدى وعشرين في مثلها]^(٣)، قال بعضهم تستحب الصلاة في هذه المساجد المدنية وإن
لم تعرف أساميها لأن الوليد بن عبد الملك كتب إلى عمر بن عبد العزيز وهو واليه على
المدينة مهما صح عندك من المواضع التي صلى فيها النبي صلى الله تعالى وسلم عليه
فابن عليه مسجدًا فهذه الآثار كلها آثار عمر بن عبد العزيز وقد اندرست وجدد أكثرها
وملازمة الحجرة أولى وأفضل وما لمن ظفر بالعين يتعلل بالآثار، وكيف لمن شاهد
حمى الأحبة يستملي سواجع الأخبار وأما مسجد البقيع فقال في الجوهر هو على يمين
الخارج من دربه يقال انه مسجد ابن أبي كعب الذي كان يتخلف إليه النبي صلى الله
تعالى وسلم عليه فيصل في فيه ويقول لولا أن يميل الناس إليه لأكثر الصلاة فيه^(٤)
وبالجملة فإن البقيع سلوة الأحزان ولهوة الولهان ما أمه المكروب إلا فرج الله عليه^(٥)
ولا المغلوب إلا توجهت كتاب النصر بالرحمة إليه خلا ما اشتمل عليه من تذكارات المعاد
وأفكار أهل الرشاد وتقطيع أعناق الأطماع وشمول بركته حتى لبعيد الانطباع.

(٤) لم أجده.

(٥) في ب [عنه كرهه].

(١) سقط من ب.

(٢) لم أجده.

(٣) سقط من ب.

سقى الله أكتاف البقيع مع الهنا
ففي سفحه قلبي مقيم لأنه
المقالة الثانية :

فيما يتعلق بالزمان وتشتمل من يانع أزهارها على أبواب تنفتح أنوار أكمائها من رياض الخطاب .

تلقاك هذا العام أحسن ملتقا
ولا زلت تلقى فيه كل مسرة
ووقيت فيه ما تخاف وتبقى
ولا زلت ترقى فيه أشرف مرتقا
مسئلة : ابتداء السنة العربية أول ليلة من المحرم فلا تزال حتى تهل فتدخل السنة الثانية وتنقض الأولى وعند المغرب^(١) سادس سفر وشهور هذا التاريخ من رؤية الهلال شرعاً فلا تزيد أيام الشهر على ثلاثين ولا تنقص عن تسعة وعشرين وقد تتوالى أربعة كاملة وثلاثة ناقصة (وقد تتوالى ثلاثة أشهر ناقصة وأربعة كاملة) وأما أشهره ومبداها من الهجرة النبوية فشهر ثلاثون وشهور تسعة وعشرون دائماً أبداً ولا تتأخر الرؤية عن الحساب بأكثر من يومين البتة .

وقال الراجز :

ولا يضر اليوم واليومان
ول هذه الأشهر أيام منحوسة ، ضبطها الصفي في قوله :

توق سبعة أيام قد اطردت
فثالث الشهر مذموم وخامسه
في كل شهر هلالى مناحسها
ثم اخشى حادي عشره فخشيته
وثالث العشرة الوسطى وسادسها
وضابطه المشهور :

محبك يرعى هواك فهل
فدو^(٢) النقط يوم بدا نحسه
تعود ليال بضد الأمل
وفي غير ذي النقط خير حصل
وقال الشيخ شهاب الدين أحمد البلخي :

قلبت وقد قال لي صديقي
حسبك قد صار كل صب
صف نحس أيامنا وبأذر
على الحمى مدنقاً وساهر

(١) في ب [عند العرب] .

(٢) في ب [فزوال] .

مهملها قد حاز كل خير
ونظم بعضهم نحوس أشهر السنة فقال:

والنحس في عجمها فحاذر

خف رابع عشرين من رمضان
والثامن العشرين من ذي قعدة
واثنين مع عشرين خف لمحرّم
وربيع رابعه فحاذر يوميه
وكذا جمادى ثم ثاني عشر^(١) ما
وإذا أتى^(١) رجب فثاني عشرة
وبيانها نثرًا ثاني عشر من المحرم، عاشر صفر، رابع ربيع الأول، الثامن
والعشرين من ربيع الثاني وجمادى الأولى الثاني عشر من جمادى الآخرة ورجب
السادس والعشرون من شعبان الرابع والعشرون من رمضان ثاني شوال الثامن والعشرون
من ذي القعدة ثامن ذي الحجة فحاذر إن كان ينفع الحذر وقلد في ذلك من اختبر فلقد
رأيت بخط بعض أكابر العلماء فائدة صحيحة مجربة إذا انقضت المدة لم تنفع العدة ولا
يغني الحذر من القدر.

وإذا المنية أنشبت أظفارها
وما أصدق ما قال:

ألفيت كل تميمة لا تنفع

إذا كنت ملحوظًا بعين سعادة
فإن الذي قد قدر الله سعده
وعلى ذكر الشهر قال بعضهم:

فلا تخش يومًا من رجوع الكواكب
بعيد لعمري من صروف النوائب

لا تزر من تحب من كل شهر
إن رؤيا الهلال في الشهر يومًا
وقال غيره^(٢):

غير يوم ولا تزد عليه
ثم لا تنظر العيون إليه

إذا حققت ودا من صديق
وكن كالشمس تطلع كل يوم
وقال آخر:

فزره ولا تخف منه ملالا
ولا تك في مودته هلالا

إذا تخلفت عن صديق

ولم يعاتبك في التخلف

(١) في ب [وكذا].

(٢) في ب [زرن].

فلا تعد بعد ذلك له
وما أوقع ما قال:

(إذا ما اختلفت إلى صاحب
فلا بد من ملل واقع
وقال آخر:

إذا شئت^(٢) أن تجفأ فزر متواتراً وإن شئت^(٣) أن تزدد حباً فزره غبياً
فلا تهمل^(٤) الرأي السديد وتقتفي
ومن الأغاز اللطيفة في السنة، ما شجرة فيها اثنا عشر غصناً في كل غصن ستون
ورقة منها ثلاثون سوداً وثلاثون بيضاً في كل ورقتين خمس زهرات المراد من الشجرة
السنة وغصونها الأشهر والورق الأسود والأبيض الليالي والأيام والزهرات الصلوات
الخمس، ومن الأغاز في الليل والنهار:

ما اسود في حضنه أبيض وأبيض في حضنه أسود
ما افترقا قط ولا استجمعا كلاهما من ضده يولد
شهر المحرم وهو أول السنة القمرية، أقسم الله تعالى به في خطابه وافتتح به
سورة من كتابه فقال «والفجر وليال عشر قبل الفجر هو المحرم لأنه فجر العام وليال
عشر هي لياليه بل لآليه ومن أدعيته اللهم إنك^(٥) أنت الأبدى القديم وهذه سنة جديدة
أسألك فيها العصمة من الشيطان وأوليائه والعون على هذه النفس الأمارة بالسوء
والاشتغال بما يقربني إليك زلفى يا ذا الجلال والإكرام.

تهن فقد وافتاك شهر المحرم بكل حلال لم يكن بالمحرم
ولا زال ممن يلتقيك بكل ما تحب وحبل الوصل لم ينصرم
في اليوم الأول من هذا الشهر الشريف أو الثاني منه وصول قافلة المدينة المنورة
أعني رجوع من حج من أهلها الدعاء فيكون بين الناس من التزاور والتماس الأدعية،
والهدايا كما يكون في سائر البلدان إلا أن السيد بها يزور العبد في مثل هذا اليوم ولا
كذا لك الأكابر في غير المدينة المنورة وما أحسن ما قال:

(١) زائدة في أ.
(٢) في ب [نسيت].
(٣) في ب [نسيت].
(٤) في ب [تمهل].
(٥) سقط من ب.

لقد جئتم وتفضلتم وشرفتمونا بنقل القدم
وليس بعار ولا منكر مجيء الموالي لبعض الخدم
وقلت جوابًا عنه :

لقد جئت نحوكم سادتي لأحظى بتقبيل موطى القدم
وأسعى إليكم على أعيني على أنني من أقل الخدم
وعلى ذكر الهدية قال من اختبر وحقق الخبر :

توق وحاذر من قبول هدية وإن جانا فيه الحديث المرغب
فقد حدثت بعد الرسول حوادث تحذرنا منها وعننا ترغب
وفي اليوم الخامس منه أو يختلف باختلاف الأحوال يكون وصول الراكب
المصري إلى المدينة الشريفة وبوصوله تتصل بسكانها الصدقات السلطانية والصلاة
الخاقانية والمرتبات المصرية فيتسلمها الحكام بصفة الخدام في ملاء من الأكابر بمقتضى
الدفاتر قال مفتي الحرمين قطب الدين الحنفي إن أهل الحرمين الشريفين ما شعبوا في
دولة من الدول مثلما شعبوا في دولة آل عثمان خلد الله تعالى أيامهم إلى قيام الميزان
وتمتاز أهل المدينة بما فضل عن أهل مكة مع هذا الركب من الأمتعة والأشربة ويكون
لهم موسم لطيف ، ويكون للحجاج كمال البشارة بالسرور والهناء وبلوغ الآمال وأهمها
الزيارة .

تمام الحج أن تقف المطايا على ليلى وتقربها السلاما
فلإذا حجوا ولم يقفوا بليلى فلست أرى لحجتهم تمامًا
ومن محاسن هذا الركب أميره الذي يديره وهو مولانا الأمير رضوان بيك أعز الله
تعالى ذاته وأطال وأطاب حياته فإنه عم بعدائه وإحسانه الركب وأهل الحرمين وقصة
محاسنه إن شاء الله تعالى حالية على التنميق والمنن فالله تعالى يبقيه للمعالي ويجعله
ذخرًا للفقراء ويقبل فيه أديعتهم حتى بعناية الله تعالى غرة في جبهة الأمراء أمين أمين لا
أرض بواحدة حتى أضيف إليها ألف أميئًا ، وفي الليلة الثانية^(١) من وصوله يقر المولد
السلطاني في صحن المسجد النبوي بحضرة أمير الركب وحكام المدينة وأغنيائها وبوقد
الشمع والعنبر ويحرق الند وعود المجرم وتفرق أنواع السكر والحلوى على من حضر
ذلك المجلس الشريف والمحفل المنيف وفي اليوم الثالث غالبًا أو الرابع من دخول هذا
الركب يكون رحيله إلى وطنه بالإمدادات النبوية والصلاة المصطفوية .

(١) في ب [الثالثة] .

ويحكى أن بعض أشرف اليمن قدم المدينة المشرفة للزيارة فتوجه إلى الحضرة الشريفة وأنشد:

يا ليت شعري إلى قبول وهل إلى السؤل^(١) لي وصول
(وهل لقصدي وجد سعي قد رضى الله والرسول)
إلى أن قال:

إن قيل زرتم بما زجعتم فسمع الصوت من داخل الحجرة المعطرة يقول:

قولوا رجعنا بكل خير واجتمع الفرع والأصول
وقال آخر:

بابه للنزير غيث وغيث إن آتاه الفقير نال ثراء
فيه يلقي مراده ومرامه أو آتاه الغني نال الكرامة
وقال:

ولاح فلاحي في اطراحي ببابه وأيقت أني منه بالقصد راجع
فلا كان هذا آخر العهد بيننا ولا قطعنا عن حماه القواطع
وقال:

قف على الباب خاضعاً عند ضيق المناهج
فهو باب مجرب لقضاء الحوائج
وقال:

قفا نبك داراً شط عنا^(٢) مزارها كلما^(٣) بالوهم فكرهي لناظري
إذا أبعدت عني منازل طيبة وإن غاب عن طرفي حماها وربيعها
فلا فقدت عيني منارة بلدة
وقال:

على ساكني وادي العقيق تحية من المغرم المشتاق والواله الصب

(١) في ب [الشوق]. (٢) في ب [شططنا]. (٣) في ب [لمثلها].

أقاموا وسرنا والفؤاد لديهم
وقال:

عليك سلام الله يا خير منزل
فلا تكن الأيام فرقن بيننا
وقال رضي الله عنه:

إلهي لا تجعله آخر عهدنا
وعجل لنا حسن الآيات تفضلا
وقال:

يا دار هل يقضى لنا برجوع
يا جيرة كاد المشوق^(١) بينهم
قلبي ليوم فراقكم متوجع
فرقتم ما بين جفني والكرى
جسمي معي والقلب بين خيامكم
ومتى ذكرت ليال سلفت لنا
كادت تذوب جوئ حشاشة مهجتي
ومن فراقيات الفيومي:

استودع الله الحفيظ أحبة
فارقتهم حتى إذا ذقت النوى
يا أمري بالصبر بعد فراقهم
لا تذكر الصبر الجميل فإنه
لم يبق لي^(٢) بعد التفرق رغبة
سكنوا بقلب أنسوه وأوحشوا
هداك عندهم وذاك محجب
وقال آخر:

بكيت لفقد الأربع الخضير بعدهم
وكيف بقا إنسان عيني وقد أتى

وما حال جسم في الهوى سار عن قلب

برزنا وودعناه غير ذميم
فما أحد من ريبها بسليم

ولا تجعل اللهم رحلتنا طردا
وسهل لنا صعب الأمور إذا اشتدا

ويعود لي يا عين طيب هجوعي
يقضي أسى في حالة التوديع
وارحمته لقلبي الموجوع
وفصلتم بين الأسى وضلوعي
ما ضركم لو كان ثم جميعي
بالجزع في روض وظل^(٣) ربوعي
لولا وجود على فيض دموعي

خلفتهم بين الأبيرق والنقا
لم أدر كيف رضيت أن نتقدما
إن الصبر بعدهم لا يلتقا
ماتت محاسن وجهه ولك البقا
في العيش لولا أن من عاش التقا
لحظا جرى من بعدهم وتدفقا
سبحان من كتب السعادة والشقا

على الرملة الفيحاء بالأدمع الحمر
على ذلك الإنسان حين من الدهر

(١) في ب [التشوق]. (٢) في ب [ظل وروض]. (٣) سقط من ب.

ويتلوه الركب الشامي قافلاً إلى وطنه فيقيم بالمدينة نحو عشرة أيام وينزل بالمناخا الشامية في شرقي سلع وربما نزل بعضه بمناخا المصلى فيشرق به المراح وتعد لياليه من ليالي الأفرح ويعمر به المسجد النبوي والمعهد المصطفوي بالذكر والتلاوة وزيارة صاحب الهراوة.

ويطيب عيش ذوي المودة والصفاء بالهاشمي المصطفى المختار عاش المحرم وهو يوم الوفاء وميقات الديون ويسمى يوم الزينة جمع الله على فضله الآراء وخصه بالتكريم وختم به ميقات موسى الكليم وفي كتاب البركة في السعي والحركة.

واختلف في يوم عاشوراء فقليل: هو التاسع^(١).

وقيل: هو العاشر وهو المشهور^(٢).

(١) قيل: إنما سمي يوم التاسع عاشوراء أخذاً من أوراد الإبل كانوا إذا رعو الإبل ثمانية أيام ثم أوردوها في التاسع قالوا وردنا عشراً بكسر العين وكذلك إلى الثلاثة. وروى مسلم من طريق الحكم بن الأعرج «انتهيت إلى ابن عباس وهو متوسد رداءه فقلت: أخبرني عن يوم عاشوراء، قال: إذا رأيت هلال المحرم فاعدد وأصبح يوم التاسع صائماً قلت: أمكذا كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يصومه؟ قال: نعم» قال الحافظ: وهذا ظاهره أن يوم عاشوراء هو اليوم التاسع. لكن قال الزين بن المنير: قوله [إذا أصبحت من تاسعه] فأصبح يشعر بأنه أراد العاشر لأنه لا يصبح صائماً بعد أن أصبح من تاسعه إلا إذا نوى الصوم من الليلة المقبلة وهي الليلة العاشرة. قال الحافظ: قلت: ويقوى هذا الاحتمال ما رواه مسلم أيضاً من وجوه آخر عن ابن عباس مرفوعاً: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع فمات قبل ذلك» فإنه ظاهر في أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يصوم يوم العاشر وهم يصوم التاسع فمات قبل ذلك، ثم ما هم به من صوم التاسع يحتمل معناه أنه لا يقتصر عليه بل يضيفه إلى اليوم العاشر إما احتياطاً له وإما مخالفة لليهود والنصارى وهو الأرجح وبه يشعر بعض روايات مسلم. ثم قال الحافظ: وقال بعض أهل العلم: قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - في صحيح مسلم [لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع] يحتمل أمرين: أحدهما: أنه أراد نقل العاشر إلى التاسع. والثاني: أراد أن يضيفه إليه في الصوم فلما توفي - صلى الله عليه وآله وسلم - قبل بيان ذلك كان الاحتياط صوم يومين. وعلى هذا فصيام عاشوراء على ثلاث مراتب: أدناها: أن يصام وحده، وفوقه أن يصام التاسع معه، وفوقه أن يصام التاسع والحادي عشر. انظر/ فتح الباري (٢٨٨/٤ - ٢٨٩).

(٢) قال القرطبي: لأنه مأخوذ من العشر الذي هو اسم العقد واليوم مضاف إليها، فإذا قيل يوم عاشوراء فكأنه قيل يوم الليلة العاشرة، إلا أنهم لما عدلوا به عن الصفة غلبت عليه الاسم فاستغنوا عن الموصوف فحذفوا الليلة فصار هذا اللفظ علماً على اليوم العاشر، وذكر أبو منصور الجواليقي أنه لم يسمح فاعولاء إلا هذا وضاروراء وساروراء ودالولاء من الضار والसार والدال، وعلى هذا فيوم عاشوراء هو العاشر هذا قول الخليل وغيره. وقال الزين بن المنير: الأكثر أن عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم، وهو مقتضى الاشتقاق والتسمية. انظر/ فتح الباري (٢٨٨/٤).

وقيل هو الحادي عشر وفي الدرة اليتيمة وفي السنة الثانية من الهجرة أمر رسول الله ﷺ بصيام عاشوراء وقال أنا أحق بموسى من اليهود^(١) ثم زوج عليًا فاطمة رضي الله تعالى عنها ثم أمر بالصلاة نحو الكعبة ثم نزلت فريضة الصوم في شعبان فقاموا رمضان ثم صلى صلاة العيد وضحى بكبشين وعن بعض السلف من صام يوم الزينة أدرك ما فاته من صيام سنته ومن تصدق فيه أدرك ما فاته من صدقة السر قليل وما حكى من ورود الاغتسال فيه والاكتمال ومسح رؤوس الأيتام والأطفال، فلا أصل لذلك من شريعة سيد الأنام كما نبه عليه العلماء الأعلام وفيه يوسع أهل المدينة في معاشهم ويتهادون بالأطعمة وذلك من السنن السنية.

وما أحسن ما قال :

وسع على أهلك في رزقهم وكن لما تملكه منفقاً
فالمراء لا يرزق إلا على مقدار ما وسع أو ضيقاً
وفي غضون هذا الشهر يكون قدوم الركب العراقي (فينزل) في مراحة وهو شمال
العريض من شرقي المدينة ويكون له سوق هنالك وتعمر به هاتيك المسالك وبالجمل
فإنه من المواسم المشهودة والأيام المعدودة .

هنيت ياذا العلا بشهر صفر مظفرًا بالعد وأي ظفر
ودمت ياذا النوال في دعة يرعاك مولاك في إقامة وسفر
شهر صفر الخير في أوائله - يفرش المسجد النبوي وتخرج الربعات الشريفة
من الحجرة المعطرة إلى الروضة المطهرة ويشرع العلماء في إلقاء الدروس ومن
محاسن المدينة الشريفة أن أهلها لا يعنون^(٢) بعلوم الفلسفة والرياضة بل ولا كتب
الكلام والجدل إلا ما شذ من الأعاجم الواردة إليها من الآفاق وإنما همتهم في
الشرعيات وما يحتاج إليه من العربية وكان يقال قل ما شئت في المتحنى بالفلسفة
من الركافة والفسفة وقلما يحرس مهجته من لا يخرس لهجته وكان يقال العلوم
ثلاثة رئيسية ونفسية وخسيسة فأما الرئيسة فهي الشرعية كالفقه والحديث والتفسير وما
في معناها وأما النفسية فهي العربية وهي على ثلاثة عشر علمًا كما في المنهل

(١) أخرجه البخاري في الصوم (٢٨٧/٤) - الحديث (٢٠٠٤) . وأخرجه مسلم في الصوم (٢/٧٩٥) - الحديث (١٢٧/١١٣٠) . والإمام أحمد في مسنده (٥٠٧/٤) - الحديث (١٩٧٤٤) بنحوه .

(٢) في ب [يعتنون] .

الصافي وأما الخسيسة فهي علوم الفلسفة وقد فصلتها في كتاب النصر وأنشدوا:

يا وحشة الإسلام من فرقة مشغلة أنفسها بالسفه
قد نبذت دين الهدى خلفها وادعت الحكمة والفلسفة
وقال آخر:

اتق الله والزم هدى دينه وبعدهما فاطلب الفلسفة
ودع عنك قومًا يعيبونها ففلسفة المرء قل السفه
نكتة: في كتاب أخبار المأمون يروى أنه بعث إلى صاحب جزيرة قيرس يطلب
منه خزينة (كتب)^(١) اليونان فجمع كبار دولته واستشارهم فقال رئيسهم الرأي عندي أن
تبعث بها إليه فإن كتب الفلسفة ما دخلت على شريعة إلا أفسدتها فجهزها إليه فكان من
أمرها ما اطربت له الأفهام وزلت بسببه الأقدام وأوقع في مهاوي الكلام ﴿ولو شاء ربك
ما فعلوه وذره وما يفترون﴾^(٢).

وما أحسن ما قال:

وإذا طلبت العلم فاعلم أنه حمل ثقل فانتخب ما تحمل
وإذا علمت بأنه متفاضل فاشغل فؤادك بالذي هو أفضل
وقال آخر:

إذا ما اغتر ذو علم بعلم فعلم الفقه أولى باعتزاز
فكم^(٣) عرف يفوح ولا كمسك وكم طير يطير ولا كباز
وقال:

وإذا أردت من العلوم أجلها فعليك بالقرآن والاعراب
هذا لدينك إن أردت ديانة وهدى وذاك لمنطق وخطاب
وقال:

إذا لم يكن مر^(٤) السنين مترجما عن الفضل في الإنسان سميته طفلاً
ولا تنفع الأيام حين تعدها ولم تستنفد علماً يزين ولا فضلاً
وقال:

(١) سقط من ب.

(٣) في ب [فلم].

(٢) سقط من أ.

(٤) في ب [من].

وفي (الجاهل قبل)^(١) الموت موت لأهله
وإن أمراً لم يحيى بالعلم ميت^(٢)
وقال بعضهم اطلب العلم فلان، يذم لك الزمان خير من أن يذم بك أخذه بعضهم
فقال:

تجنيت أن تذم بك الليالي
ولا تحفل إذا كملت ذاتنا
فذم الدهر للإنسان خير
وقال آخر:

إذا رأيت حكيمًا لا تجالس
وهو الحكيم الذي في نفسه ذلك
فكن له خادمًا والزم نصيحته
وقال:

العلم في الرجل الحكيم زيادة
مثل النهار يريد ابصار الوري
وقال:

إذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى
فبشره أن الله أولاه حسرة
وقال:

فساد كبير عالم منهتك
هما فتنة من العالمين عظيمة
وقال:

ومن كان علم النفس مما يسره
ولم أر من الأشياء والحظ شاهد

(٣) في أ [مئة].

(٤) في ب [قبل القبور قبور].

(١) سقط من ب.

(٢) في ب [حتى النشور نشور].

نكتة: آخر كلام قاله الفخر الرازي فيما يروى عنه من هذا الباب:

الذي دلت عليه التجربة
ان قدر الإنسان بالعلم
وقد نظمته فقلت:

قيمة الإنسان بالعلم كما
فاسع في تحصيل كل منهما
وقال بعض الأكابر:

صرفت زماناً في فنون جمعتها
ولما تجلى الأمر وانكشف الغطا
وقال آخر:

صفاء العيش أن تلقى حكيماً
فيكشف عنك حيرة كل جهل
وقال:

إذا أنت لم ينفعك علمك لم تجد
وإن زانك العلم الذي قد حملته
لكل تربة غراس
نكتة:

ومن حوى العلم ثم أودعه
وكان كالمبتني البناء إذا
وقال:

لا تنظر جاهلاً
إنما يهد له علماً
وفي المغني:

إذا جلست مع الرجال وأشرقت
فاحذر مناظرة الجهول فربما

(١) في ب [وأستند].

وقال :

إذا لم يكن عالمًا بالسؤال
وإن أنت شككت فيما
وقال محمد بن بشر :

أما لواعي^(١) كل ما أسمع
لكن^(٢) المحقق فيما يرى
ولكن نفسي إلى كل شيء
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت و
ومن يك من علمه هكذا
إذا لم تكن حافظًا واعيًا
أتحضر بالجهل من مجلس
وقال غيره :

العلم زرع والتأمل ماؤه
والبحث فيه شمسه وسماؤه
ونموه بإفادة ونماؤه
ونفاق^(٣) هذا العلم في سوق
ثم التفكير والرياء والعجب

فترك الخطاب به أسلم
سئلت فخير جوابك لا أعلم

وأحفظ من ذاك ما أجمع
من المشكلات وما يسمع
من العلم تسمعه تنزع
لا أنا من جمعه أشبع
فذلك بالقهقري يرجع
فجمعك للكتب لا ينفع
وعلمك في الكتب مستودع

والزمن أرض والمعلم زارع
ملقى الأفاضل واختلاط نافع
عمل إلى أعلى المراتب
القبول تقى وإخلاص به وتواضع
آفات وكل للسعادة مانع

غريبة: من أخبار مصر يحكى عن بعض ملوكها ممن سلف انه عمل مدينة وعمل
فيها صورة على عمود من رخام من اعتنقه لم يحتجب عن نظره شيء من الروحانية
وسمع كلامهم ورأى عملهم وعمل على كل باب من أبواب هذه المدينة صورة راهب
وفي يده صحائف شتى كثيرة^(٤) في كل صحيفة علم من العلوم فمن أحب معرفة ذلك
العلم وضع تلك الصحيفة على صدره فيرشح ذلك العلم فيه إلى أن يموت وعمل فيهما
مرآة ترى منها^(٥) الأقاليم السبعة .

في الأرض آيات فلا تك منكرا
وعجائب الأشياء من آياته

(١) في ب [أما الداعي].

(٢) في ب [وكنت].

(٣) في ب [تعاق].

(٤) زائدة في ب .

(٥) في ب [فيها].

وفي اليوم العاشر منه غالبًا يكون قدوم المرزوقي. وهي^(١) عبارة عن تجار اليمن وهو موسم البهار والطيب.

يهنيك شهر ربيع الأول فالسعد قد وافا وقد أقبل
والله خولك السعد به فاسعد بما أعطى وما خول
شهر ربيع الأول في أول ليلة^(٢) جمعة منه يكون مولد الشيخ أحمد البدوي وله
موكب مشهود. وفي الليلة الثاني عشر منه. يكون مولد النبي صلى الله تعالى وسلم عليه
وشرف وكرم ومجد وعظم^(٣)، فيا له من نبي أشرف بظهوره فيه يوم الاثنين واستمد من
نوره نور القمرين. قال العلامة ابن حجر: ولد عليه السلام يوم الاثنين بمكة ليلة ثمان
من ربيع الأول عام الفيل عند أهل الحديث والتاريخ والذي عليه الجمهور وهو الصحيح
المشهور أنه لثنتي عشرة وعليه العمل.

فيا^(٤) شهرًا كان لياليه ليالي العقود
فسبحان من جعل حسنه حسنًا بديعًا
لنا لسان الحال منه
فوجهي والزمان وشهر وضغى
وقال:

لقد بلغت بالهاشمي حليلة
وزادت مواشيها وأخصب ريعها
فأكرم به من مولود أشرقت الأرض بساطع نوره وصدقت وعود^(٦) الأنبياء
بظهوره، وأضاءت لمولده قصور الشام، ونكست لكرامته رؤوس الأصنام وانشق ايوان
كسرى، وأذن بالانهزام^(٧) وخمدت نار فارس ولم تكن تخمد منذ^(٨) ألف عام ولم تجد
ذات الطلق به يؤسًا، ولا ولدته كغيره منكوسًا بل خرج صلى الله تعالى وسلم عليه على
يديه معتمدًا، وبالملائكة المقربين معتضدا رافعًا طرفه إلى السماء، مشيرًا بإصبعه متبسمًا
مقطوع السرة مختونًا^(٩) ومباركًا على الأمة ميمونًا^(١٠) ولم تزل العناية ترشده والحراسة

(١) في ب [وهو].
(٢) سقط من ب.
(٣) سقط من أ.
(٤) في ب [له من] زائدة.
(٥) وفي ب [له] زائدة.
(٦) في ب [دعوى].
(٧) في ب [بالإنهدام].
(٨) في أ [منه].
(٩) في ب [مختونًا مقطوع السرة].
(١٠) في ب [ميمونًا مباركًا على الأمة].

تسعه حتى جاءه الروح الأمين برسالة رب العالمين، فشمّر عن ساق الجد والاجتهاد، وجاهد في الله حق الجهاد حتى تمم مكارم الأخلاق، وبين أحكام الدين بقيتاً (وأُنزل الله عز وجل عليه الكتاب المستقيم تبياناً وتعليماً وقال فيه) ^(١) ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ فأيام هذا الشهر مبتسمة الشغور، ولياليه مشرقة بالنور والدعاء فيه مسموع والعمل الصالح فيه مقبول مرفوع.

قال ابن حجر: وإنما لم تكن الولادة في يوم جمعة أو في شهر رمضان لثلاثتهم تشرفه عليه السلام بذلك الزمن الفاضل فجعل في المفضول لتظهر به ميزته على الفاضل، ونظير ذلك دفنه بالمدينة المنورة دون مكة والقدس وما أحسن ما قال:

حباك الله رب المشرقين جميع الحسن يا جد الحسين
لهذا قلت قولاً غير ميسر وأحسن منك لم تر قط عيني
وأفضل منك لم تلد النساء
منحت فصاحة النطق العذبي وحسن الخلق من علام غيبه ^(٢)
وتملك الإله ^(٣) بغير ريب خلقت مبرء من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

وفي مثل هذا اليوم كانت وفاته عليه أفضل الصلاة والسلام وقيل في اليوم الثامن والعشرين من صفر. وفي كتاب الليث العباس في صدقات المجالس. توفي عليه الصلاة والسلام ضحى يوم الإثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة عن ثلاث وستين سنة من عمره مبلغاً رسالات الله مجاهدًا لأعداء الله، ودفن ليلة الثلاثاء، وكانت مدة مرضه اثنا عشرة يومًا، وقيل أربعة عشر.

لطيفة:

استخرج بعض أهل الأدب مدة عمره الشريف من لفظ بنيء بالهمزة فإن عدده بحساب الجمل ثلاثة وستون. كما استخرجوا عدة الرسل من اسمه الكريم محمد. وذلك بطريق البسط لأن فيه ثلاث ميمات كل ميم بتسعين جملة بمائتين وسبعين. وحا بتسعة أو عشرة باعتبار الهمزة ألفًا، ودالاً بخمسة وثلاثين، فالجملة ثلثمائة وأربعة عشر أو خمسة عشر وذلك عدد الرسل على الخلاف فيه. وفي الدرة الثمينة لما اشتد به عليه

(١) زائدة في ب.

(٢) في ب [الغيوب].

(٣) في ب [وكلمك الله].

الصلاة والسلام وجعه قال أهريقوا^(١) علي من سبع قرب^(٢) من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد^(٣) إليهم^(٤).

وقال في وجعه الذي قبض فيه: يا أيها الناس سعرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل^(٥) المظلم وإني والله ما تمسكون علي بشيء إني لم أحل إلا ما أحل القرآن، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن، وكان يقول: إن للموت لسكرات اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى^(٦).

ربيع الآخر قد أقبلنا سقيت فيه العارض المسبلا
فاهن به شهراً شريقاً أتى باليمن والإسعاد مستقبلا
شهر ربيع الثاني وفي الليلة الثانية عشر منه مولد السيدة فاطمة الزهراء - رضي الله تعالى عنها - واليوم الثاني عشر منه مولد الشيخ عبد القادر الكيلاني - قدس سره - وفي هذا الشهر والذي قبله تكون عقود الأنكحة بالمدينة الشريفة أكثر منها بغيرهما.

بجمادى الأولى تهنى ملياً لابساً من علاك فيه حلياً
دمت فيه وفي سواه ربيعاً كل يوم ترقى مكاناً علياً
شهر جمادى الأولى فيه يكون مولد الشيخ أحمد بن علوان - قدس سره - وفي اليوم الحادي والعشرين منه مولد الأقدس الأبر الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي

(١) قال ابن التين: هو بإسكان الهاء ونقل عن سيبويه أنه قال اهراق يهريق أهريقاً مثل اسطاع يسطيع اسطياً بقطع الألف وفتحها في الماضي وضم الباء في المستقبل وهي لغة في أطاع يطيع فجعلت السين والهاء عوضاً في ذهاب حركة عين الفعل ورؤى بفتح الهاء واستشكله، ويوجه بأن الهاء مبدلة في الهمزة لأنه أصل هراق أراق ثم اجتلبت الهمزة فتحريك الهاء على إبقاء البدل والمبدل منه وله نظائر وذكر له الجوهر توجيهاً آخر وأن أصله أريقوا فأبدلت الهمزة الثانية هاء للخفة. وجزم ثعلب في الفصيح بأن أهريقه بفتح الهاء. انظر/ فتح الباري (١/ ٣٦٢).

(٢) قال الخطابي: يشبه أن يكون خص السبع تبركاً بهذا العدد، لأن له دخولاً في كثير من أمور الشريعة وأصل الخلقة. انظر/ فتح الباري (١/ ٣٦٣).

(٣) في ب [وأعهد].

(٤) أخرجه البخاري في الوضوء (١/ ٣٦٢) - الحديث (١٩٨). والبغوي في شرح السنة (١٢/ ١٥٢) مختصراً. وقوله [من آبار شتى] رواية الطبراني.

(٥) في ب [كالليل].

(٦) أخرجه البخاري في الرقاق (١١/ ٣٦٩) - الحديث (٦٥١٠) بنحوه. والترمذي في الجنائز (٣/ ٢٩٩) - الحديث (٩٧٨) وقال: حديث حسن غريب. وابن ماجه في الجنائز (١/ ٥١٨، ٥١٩) - الحديث (١٦٢٣). والإمام أحمد في مسنده (٦/ ٧٢) - الحديث (٢٤٤١).

الحاتمي الطائي صاحب المنح والفتوحات، ويعرف هذا الشهر في المدينة بالأواء.

يهنيك يا رب الصفات الفاخرة بهلال خير جمادى الآخرة
وأراك ربك فيه ما تختاره وحباك فيه المعاني الزاخرة
شهر جمادى الآخرة:

وفي اليوم الثامن^(١) عشر منه مولد الشيخ أحمد الرفاعي وفي آخر خميس فيه
يذهب كثير من الناس إلى زيارة السيد حمزة، ويعرف ذلك اليوم بخميس الفتح، وبتمام
هذا الشهر ينحل الأواء في الغالب.

مهينا جاء فيما جاءكم رجب ومثلكم من تلقاه بما يجب
ولو سعى فوق آفاق السعود لكم هلاله لهنالك لم يكن عجب
شهر رجب الأصب. في أول جمعة منه يكون مولد الشيخ بدر الدين العادلي
ويقرأ المولد في زاويته التي هي تجاه المدرسة الرسمية شرقي منهل الحارة وفي تلك
الليلة يصلي صلاة الرغائب من يرى صحة خبرها، وفي الليلة الثانية عشر منه يكون
زيارة السيد حمزة وهي جمعية عظيمة معدودة مشهورة تطلع أهل المدينة إلى وادي قناة
بالخيام ويكون هنالك سوق لطيف وتكون عند الضريح تلاوة القرآن العظيم حتى
الصباح، ويقرأ المولد الشريف في مواضع متعددة، وبالجملة فإن هذه الجمعية لا نظير
لها في المدينة المنورة، وفي اليوم السادس عشر منه يقرأ مولد بمسجد سيدنا علي بن
أبي طالب - كرم الله وجهه -.

وفي اليوم الخامس والعشرين منه يكون قدوم قافلة الزوار من أهل مكة وأعمالها
فيكون بهم موسم لطيف. وفي الليلة السابعة والعشرين منه وهي ليلة المعراج ليلة يفرق
فيه كل أمر حكيم، وقد قال بأنها ليلة القدر رب خبير حكيم وكل الليالي ليلة القدر إن
دنت كما أن أيام اللقاء يوم جمعة ويكون بالمسجد النبوي جمعية لطيفة ومولد حافل قيل
وكان الإسراء من بين الحجر والحطيم إلى بيت المقدس الشريف ثم أتى بالبراق وعرج
به إلى السبع الطباق قال في المواهب وإنما كان الإسراء ليلاً للتخصيص بمقام المحبة
لأن الله تعالى اتخذه حبيباً وخليلاً والليل أخص زمان المحبين يجمعهما فيه، والخلة
بالحبيب متحققة بالليل. انتهى.

ركم لظلام^(٢) الليل عندي من يد تخبر أن المانوية تكذب

(١) في ب [لثاني].

(٢) في ب [الظلا].

وقد قيل أن الإسراء كان في شهر ربيع الأول، وقيل الآخر، وقيل في شهر رمضان وقيل في شوال وقال بعض الحفاظ لم يقم دليل معلوم على شهر معين وقد حصل الاتفاق على أنه كان في السنة الثانية عشر من البعثة وهل كان مرة أو أكثر منامًا أو يقظة بروحه الشريف أم بروحه وجسده فيه خلاف بين الأمة والذي عليه الجمهور أنه كان مرة يقظه بجسده الشريف والإسراء متعدد ومن أشعار المواهب.

سبحان من أسرى إليه بعبده ليرى الذي أخفاه من آياته
كحضوره في غيبه وكشكره في صحوه والمحو في إثباته
ويرى الذي عنه تكون سره في منعه إن شاء وهباته
شعر:

تهن بشهر شعبان المبارك فبالبركات والحسنات زارك
تضاعف أجرك المقبول فيه وأعلى الله منه لنا منارك
شهر شعبان المكرم:

في أول يوم منه يكون خروج قافلة الزوار من أهل مكة وأعمالها وفي الليلة الثانية عشر منه تكون بمساجد الفتح جمعية عظيمة لقراءة المولد الشريف إلى وقت الصباح وفي الليلة^(١) الخامسة عشر منه وهي ليلة البراءة يقرأ بالمسجد النبوي مولد حافل ويحيى هذه الليلة بالذكر أهل الزوايا وبأنواع العبادة من وفق إليها.

وإذا حلت الهداية قلبًا نشطت للعبادة الأعضاء
قيل وأبهة هذه الليلة تظهر بالقدس الشريف.

مسئلة: يستحب إحياء ثلاثة عشر ليلة في السنة وهي أول المحرم، وليلة عاشوراء، (وأول جمعة من رجب وليلة النصف منه)^(٢) وليلة سبع وعشرين منه وليلة النصف من شعبان، وليلتا العيدين وخمس ليال من شهر رمضان وهي أوتار ليالي العشر الأواخر حكاة ابن حجر، ولله در القائل:

إغتنم ركعتين زلفى إلى الله إذا كنت فارغًا مستريحًا
وإذا ما هممت بالنطق بالباطل فاجعل مكانه التسبيحًا
فاغتنام السكوت أفضل من لغو وإن كنت بالكلام فصيحًا
وليلة النصف من شعبان ليلة الحلوى في أكثر البلدان، فإن الناس يطبخونها في

(١) في أ [ليلة].

(٢) سقط من ب.

تلك الليلة ويتطاعمون بها، وأهل الحرمين يخصونها بالمشبك ولها ذكر في الشعر وقد كثر تشبيه المحبوب بهليل شعبان والظاهر أن ذلك لتعلق الابصار به خوف دهمه شهر رمضان، فلذلك يسمى القصير فإن الناس يغتنمون فيه الاجتماع بالأحباب والتنزهات في البساتين حتى قال بعض أهل المجون:

قل لشهر الصيام إنك لا شيك علينا من الشهور الطوال
صل علينا وطل وثقل وبألغ ستري ما يكون في شوال
وما أحسن ما قال:

شهر الصيام لقد كرمت نزيلاً ونويت من بعد المقام رحيلاً
فعليك ألف تحية منا فقد طبنا بوصلك مستمرا ومقيلاً
وقيل: لأن الله تعالى خلق النور في ثاني عشر شعبان وقيل ولم تستفد في بحثنا طول عمرنا سوى أن حفظنا منه قيل وقالوا، ويسمى هذا الشهر شهر الكرامة وفيه يذهب الناس على اختلاف طبقاتهم إلى البساتين فيقيمون بها على قدرتهم وسعتهم في الرزق وأنشدوا:

أقول لمن يمر بأرض نجد ليظفر من رباها بالديار
تزود من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار
وقل أيضاً لمغتنم صفاء على معنى يلوح لذي اعتبار
إذ العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فإن الوقت ضاق على الصغار
شعر:

نلت في ذا الصيام ما تشتهييه ووقال الإله ما تنقييه
أنت في الناس مثل شهرك في الأشهر بل مثله ليلة القدر فيه
شهر رمضان المعظم فيه يعمر المسجد بتلاوة القرآن العظيم ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاً وتكثر قراءة كتب الحديث فيه كالشمائل والمصابيح والمشارك وصحيح البخاري.

وما أحسن ما قال:

ما لذتي إلا رواية مسند قد قيدت^(١) بفصاحة الألفاظ

(١) في ب [تبدت].

(ومجالس فيها على سكيةنة ومذاكرات معاشر الحفاظ)^(١)
وقال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي - (قدس الله تعالى سره العزيز)^(٢) - .

والعلم أشرف ما أوتيت من منح والكشف أعظم منهاجاً وأوضحه
فإن سألت إله الخلق مسألة فأسأله كشفاً فإن الله يمنحه
وقال غيره:

والعلم من طي الدفاتر فاتر والعلم من نشر الدروس دريس
ما العلم إلا ما أتاك ولم يكن يدرية لا ملك ولا إبليس

وإذا كان الليل توقد الشموع وتقام صلاة التراويح بإمام حنفي وآخر شافعي في
المحاربين على سبيل التناوب، فيختم كل منهما الكتاب العزيز في صلاة التراويح
ويكون ختم الحنفي في ليلة التاسع والعشرين والشافعي في ليلة السابع والعشرين ويكون
لذلك الختم مجمع^(٣) عظيم ومهيع كريم، وكل يجد منه بحسب حاله وبالجمله فلا
يخلو أحد من إحسان هذا النبي الكريم ونواله^(٤).

على قدرك الصهباء تعطيك نشوة ولست على قدر السلاف تصاب
ولو أنها أعطتك يوماً يقدرها لضاقت بك الأكوان^(٥) وهي رحاب
وما أصدق ما قال:

كريم يهاب الدهر حرمة جاره وما أحد في المحل عن رفته رداً^(٦)
هو الشمس لكن أرمدتنا يد الهوى وكيف ترى شمس الضحى مقلة رمداً

وأما الزوايا فإن أهلها بعد صلاة الجماعة يوقدون فيها القناديل والشموع ويقرأ
حادي قافية من الوترية وهي قصائد مخمسة مرتبة على حروف المعجم تشتمل على مدح
النبي صلى الله تعالى وسلم عليه وكلما قرأ بيتاً منها بالألحان المصوغة المصنوعة قابله
الجماعة بالصلاة على النبي بنغمة شجية تهتز لها الأعطاف ثم يصنع كذلك حادي اليسار
فيقرأ بيتاً من الطرائفية وهي قصائد تعارض الوترية إلا أن بعضها غزل وبعضها مدح، فلا
يزالون كذلك إلى وقت السحر ثم إنهم ينشدون ويعملون الموشحات والأذكار اليمانية
ويختتمون فيحصل بذلك رفق بالسامعين والمنفردين الذين لا أهل لهم ولا أنيس وفي
اليوم السابع عشر من شهر رمضان يذهب المجاورون بالمدينة إلى مسجد قباء يزعمون

(١) هذا البيت سقط من ب. (٣) في ب [مجموع]. (٥) في ب [بها].

(٢) زائدة في ب. (٤) في ب [ونواله العظيم]. (٦) في ب [ربا].

أن الاتيان إليه في هذا اليوم بخصوصه والصلاة فيه سنة ويذهب كثير من أهل المدينة معهم في ذلك اليوم للزيارة بمقتضى داعية الجمعية وتوقد قناديل المنابر من دخول وقت المغرب إلى طلوع الفجر الصادق إعلاناً بالوقتتين لمن كان في أطراف المدينة-ومن لم يسمع الأذان والمنابر بها تسع منها خمس بالمسجد النبوي وأربع خارج السور.

تهن بشهر شوال وعش مسموع أقوال
ودم وابق لقصصاد ووفاد وسؤال^(١)

شهر شوال المبارك أول يوم منه عيد الفطر يجتمع الناس فيه لصلاة العيد في المسجد النبوي ثم يذهبون إلى زيارة أهل بقيق الفرقد ثم يرجعون إلى أهاليهم وأصحابهم فيتزاورون إلى تمام اليوم الثالث وعلى ذكر العيد فما أحسن ما قال:

إن عيدًا بطيبة وصلاة
نعم ضاق واسع الشكر عنها
كم تمنيتها فنلت التمني
وإذا كان في البقيق ضريحي
فاشهدوا لي بكل خير وبشر
ولله در القائل:

قالوا عدا العيد ماذا أنت لابسه
فقر وصبر هما ثوبان تحتهما
أحرى الملايس أن تلقى الحبيب بها
الدهر لي مأتى^(٢) إن غبت يا أملي

وفي اليوم الثاني عشر منه يجتمع خدام الحرم النبوي ويذهبون إلى مسجد قباء ثم يتفرقون في البساتين فيقطعون قلوب النخل ليجعلوا منها المكناس التي يكتسبون بها المسجد الشريف كما سيأتي فإذا كان وقت الأصيل نزلوا إلى المدينة مع حاشيتهم في موكب عظيم ويبرز أكثر الناس إلى وادي بطحان للتفرج على موكبهم في ذلك الميدان والتباشر بقدوم الحاج ثم إن الخدام من اليوم الثاني والعشرين منه إلى عاشر ذي القعدة الحرام يجتمعون في صفة الخدام مع المنشدين فيجعلون فصلاً من الموشحات والأذكار اليمانية والإنشادات التي أنفاسها رحمانية وصغار الخدام حول الصفة يصنعون المكناس ويقذفون الطيب على من يحضرهم من الخاصة والعامة.

(٢) في ب [الدهر مأتى لي].

(١) هذا البيت سقط من ب.

تهن بذي القعدة فقد أبدى لكم مبعده
فلا أخلفك الرحمن في إنعامه وعده
شهر ذي القعدة الحرام في اليوم السابع عشر منه يكون كنيس الحرم النبوي وهو
يوم شريف يجتمع الناس فيه في المسجد النبوي ثم يصعد القاضي وشيخ الحرم مع
الخدام والفراشين إلى سطح المسجد الشريف فيكنسونه ويرمون من دائرة في صحن
المسجد للفقراء والأطفال التمر والفتوت وهم ينادون العادة يا سادة ثم إنهم ينزلون إلى
الروضة المطهرة فيرفعون ما فيها من المصاحف والأجزاء التي داخل الحجرة المعطرة
خوفًا عليها من هجم الحجاج ثم يرفعون البسط إلى الحواصل التي بالمسجد الشريف ثم
يذهبون إلى البساتين وما في معناها وهو يوم معدود من الأعياد وعادات للسادات
سادات العادات وربما أنكر ذلك بعض الواردين إلى المدينة الشريفة من أصحاب
الأغراض بل الأمراض الباطنية بشهادة أفعالهم الدنية وكيف يجوز الطعن على جيران
سلطان الأنبياء في سنة مشى عليها الأولون ولم ينكرها عليهم علمائهم وما رآه المؤمنون
حسنًا فهو عند الله حسن ولكنها الأهواء عمت وأعمت.

ولو أنها تمشي الهويينا عذرتها ولكنها تمشي وتسرع في الوحل
وفي اليوم السابع والعشرين منه يكون قدوم الركب الشامي وهو يوم معدود
وموسم مشهود لا يبقى في المدينة كبير ولا صغير ولا جليل ولا حقير حتى تشمله بركته
وتعود عليه بخير حركته ثم إن أمين الصرة يأتي إلى المسجد النبوي بالأمانات الرومية
فيفرقها على أهاليها ويسلم الوظائف السلطانية إلى حكام المدينة السنية فتفرق على
أصحابها وهم على هذه المنن والصلوات والخيرات والهبات منهم الضالع ومنه الضليع
ومنه الناهض ومنهم المقعد ولا يزال التقدير يضحك من التدبير والله غالب على أمره
وهو الواحد في الكل المتصرف بحكمته في مملكته كما يشاء ليس لك من الأمر شيء
من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه والله من ورائهم محيط.

نكتة:

قال بعض أهل المدينة:

أيام هذا الموسم ثلاثة، اليوم الأول يظهر برقيقة من رقائق قوله تعالى ﴿يوم
تشخص فيه الأبصار﴾ واليوم الثاني يظهر بسر قوله تعالى ﴿وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى﴾ واليوم الثالث يظهر بلطفية من لطائف قوله تعالى ﴿فمنهم من قضى نحبه
ومنهم من ينتظر﴾.

وأما المجلوب إلى المدينة من فواكه الشام وكسوتها وتفاريقها فيعجز القلم عن

وصفه وبه يظهر وبتسمية المدينة المنورة أكالة القرى والحمد لله على هذه الأنعام والله تعالى يخلد هذه النعم بدوام أيام دولة آل عثمان إلى يوم القيامة .

وافاك ذو الحجة ياذا الحجا بكل ما يرجوا وما تطلب
يهفو الذي ناداك بين الملا وكل من والاك لا يغلب
شهر ذي الحجة الحرام، بكسر الحاء أفصح من فتحها .

قال الراجز :

وفتح قاف قعدة قد صححوا وكسر حاء حجة قد رجحوا
في أول يوم منه يكون خروج قاصدي الحج من سكان المدينة المنورة ممن
ساعدتهم الأيام وجنبتهم موجبات الملام .

وما أحسن ما قال :

يا قاضدين حمى ليلى وقد ضمنت لقاصديها من الأيام أفراحا
إننا أقمنا على عجز ومسكنة ومن أقام على عجز كمن راحا
وقال السراج عمر الأشهل الأنصاري :

للحج فضل وكل من عرفه يسعى على رأسه إلى عرفه
فقل لمن خيموا بسفح منى وخلفونا من بعدهم ضعفه
ليالي الصيف في مدينتنا تحكي ليالي منى ومزدلفه
ولله در القائل :

إذا زمزم الحادي بالبحان سجعهم وسابقه ركب من الدمع في خدي
صبغت مجمر من الجفن بعدهم من الرمل مبيضا لأرعى لهم عندي
مسئلة : هل تكون وقفة الجمعة بسبعين حجة ؟

قال ابن القيم الجوزية : ليس لذلك أصل ولا رأينا نقلاً في ذلك لكن ينبغي أن
تكون أفضل من غيرها كما إن يوم الجمعة أفضل من سائر الأيام كذا في مناسك ابن زيد
المالكي قاله صاحب زهر البساتين وقال الملا على القاري في شرح لباب المناسك
لوقفة الجمعة مزية على غيرها بسبعين درجة وقد ألفت في هذه المسألة رسالة سميتها
الحظ الأوفر في الحج الأكبر .

وقال الحج لا يكفر شيئاً من المظالم المتعلقة بحقوق العباد بل يبقى على ذمته
حتى يؤديها إلى أهلها أو يستحل منهم أو يكون تحت المشيئة .

وفي شرح منية المصلى للحلبي: يؤخذ في مقابلة دائق من مال الغير سبعمائة صلاة مقبولة.

وما أحسن ما قال:

كن كيف شئت فإن الله ذو كرم
الإنسين فلا تقربهما أبدًا
ويرحم الله القائل:

من نال مني أو علقت بدمته
أبرأته لله شاكر منته
أنا لا أعوق مؤمنًا يوم الجزاء
والله لا طالب عبدًا عنده
ولئن طلبت رجوت واسع رحمته
مسئلة: هل كان الحج واجبًا على من كان قبلنا أولاً فيه خلاف.

قال ابن الخليل: الصحيح أنه لم يجب إلا على هذه الأمة وأما مشروعيتها فمستمرة من آدم عليه السلام بل قبله إلى آخر الدهر فحجة الأنبياء والملائكة عليهم السلام كذا في جمع المناسك وفي اليوم التاسع من ذي الحجة يجتمع الناس بالمسجد النبوي يتعرضون لنفحات الله تعالى وكان عليه الصلاة والسلام يقف في مثل هذا اليوم بعرفات وهو موضع بقاء^(١) وقد تقدم ذكره.

وفي اليوم العاشر منه يكون العيد الأكبر فيكون فيه ما يكون في عيد الفطر من التزاور والتطاعم بزيادة الأضاحي.

وما أحسن ما قال:

تهن بعيد النحر وانحر به العدا
ولا زال ما تهواه منك مقربًا
فلا زلت مسعودًا ولا زلت مسعدًا
وكل الذي تشناه عنك مبعدا
فائدة: في كتاب البركة في السعي والحركة عن السلف.

صيام يوم من عشر ذي الحجة
يعدل صيام سنةً وليلة^(٢)
منها ليلة القدر.

وأنشدوا:

(١) لم أجده.

(٢) هذا البيت سقط من ب.

صم عشر ذي الحجة وارغب إلى رب العلا في الفوز بالجنة
فهو كما قد جاء لمن صامه في عرصات الحشر كالجنة
تتميم: رأيت بخط بعض الفضلاء أن من كانت (له إلى الله تعالى)^(١) حاجة وأتى
إلى قبر سيدنا إسماعيل بن جعفر الصادق وهو في قبلي باب البقيع من داخل السور
وذلك في اليوم العاشر من ذي الحجة فصلى ركعتين وقرأ الفاتحة وسورة الإخلاص
بالإخلاص مائة مرة وصلى على النبي صلى الله تعالى وسلم عليه - وتوسل إلى الله
تعالى في قضاء حاجته .

قضيت بعناية الله تعالى وكرمه وما زال هذا الشهر يعرف في المدينة المنورة^(٢)
بالأواء^(٣) وضيق الصدر ولم تزل فيه^(٤) النفوس تترقب الأخبار إلى العشرين منه
فيردها^(٥) بعض أهل البركات^(٦) من الحجاج ثم لا تزال تتصل القوافل وتدور أحكام
الأيام كما يريد الملك العلام إلى أن يبلغ الكتاب أجله والله سبحانه وتعالى أعلم وأما ما
يتعلق بالسنة الشمسية وهي أربعة فصول .

فصول لأوقات^(٧) الزمان جميعها بأربعة معتادة^(٨) العود والكر^(٩)
ربيع وصيف مع خريف وبعده شتاء إلى يوم القيامة والحشر
الفصل الأول وهو^(١٠) فصل الربيع وهو ثلاثة بروج الأول برج الحمل وهو أول
السنة البروجية وأول يوم منه يوم النوروز فيه يعتدل الزمان ويطيب الهواء وتنحسم مادة
الأدواء وتنسم نسمات الأسحار وتتبسم أنوار الأزهار ويسجع الطياري على الأغصان،
وتنشد بلسان حال البستان:

هذا الربيع وهذه أنواره طاب الزمان وأورقت أشجاره
فأطرب على صوت الهزار وغني هذا هواك وهذه آثاره
وقال ابن تميم:

بعث الربيع رسالةً بقدومه للروض فهو بوصله فرحان

(٦) في ب [الركاب].

(٧) في ب [أوقات].

(٨) في ب [مقادة].

(٩) في ب [والمكر].

(١٠) سقط من أ.

(١) سقط من ب.

(٢) سقط من ب.

(٣) في ب [الأدواء].

(٤) زائدة في أ.

(٥) في ب [فيرد هاب].

والطبيب ما قرأ الهزار
وقال غيره:

بشجوه مضمونها مالت^(١) به الأغصان

ضحك الروض من بكاء الغيوم
وقدوم الربيع أحى
ولسان الطيور سبح لما
وغصون الرياض مالت
فاعتنق من صفاء عيشك غصنا

وحكى زهره لزهر النجوم
الأراضي بأقاح تبسمت للقدوم
شاهدت في الحديث صنع القديم
في حلي الزهر ميل قد قويم
سوف تشنيه عنك أيدي الهموم

لطيفة: قال ابن غانم في كتابه كشف الأسرار واختلاف الهواء^(٢) في الفصول
الأربع بما هو أصلح وأنفع فيهب في الربيع شمالاً فيلقح الأشجار ويعدل الليل والنهار
ويهب في الصيف صبا فينمي الأثمار (ويزهى الأشجار ويهب في الخريف جنوباً)^(٣)
فتأخذ كل ثمرة حد طيبها وتستوفي حق تركيبها ويهب في الشتاء دبوراً فيخف عن كل
شجرة حملها ويجف ورقها ويبقى أصلها فيه تنمي الثمار وتزهى الأشجار وتسلسل
الأنهار وتستروح الأسرار.

ألم تر أن نسيم الصبا
فطوراً ينفوح وطوراً
وسكب الغمام وندب الحمام^(٥)
ونور الصباح ونور الأقاح^(٦)
ووافى الربيع بمعنئ بديع
وكل لأجلك^(٧) مستنبط لما
وفي كل شيء له آية
وكل لآلائه ذاكر
وقال:

له نفس نشره صاعد
يسبق^(٤) كما يفعل الراجد الفاقد
إذا ما انثنى الغصن المايد
إذا هزه البارق الراعد
يترحمه ورده الوارد
فيه نفعمك يا جاحد
تدل على أنه الواحد
مقر له شاكر حامد

يا طيب ما نقل النسيم
هب النسيم صبا ليبرد لوعتي

لمسمعي عن نشر ذياك المحل الأرفع
فأثار نار تحرقني وتوجعي

(٥) في ب [الغمام].

(٦) في ب [ولاح].

(٧) في ب [من].

(١) في ب [سالت].

(٢) في ب [الأهواء].

(٣) سقط من ب.

(٤) في ب [يروح].

ما ذاك إلا أنها لما سرت
وأنت بوصف أحبتي في
وافقت تبشرني بليلى أنها
وجللت على عشاقها في
وقال:

هبّت لنا ريح شمالية
أدت رسالات الهوى
وقال:

مرت على تلك الربا والأربع
طيبها فسكرت حتى لا أفيق ولا أعي
في حسنها سفرت ولم تتبرقي
حانها وجهاً تمنع في حمى متمنع

أتت إلى القلب بأسباب
بيتاً عرفت من بين أصحابي

ويقريني عن الشيخ السلاما
فيوقظني وقد هجع النداما
كأنني قد ترشفت المداما
فيبيدي البرق من طربي ابتساما
نجد فتتعطف الفصول له احتشاما
ويذكرني بالمنازل والخياما
وفيها يبلغ القلب المراما
بحسن نوره يجلو الظلاما

يحدثني النسيم عن الخداما
ويسري تحت جناح الليل سراً
وأسكر من شذاه حين يسري
أهيم بنشره طرباً وسكراً
تمر على الرياض، رياض
ويقلقن حمام الأيك نوحاً
خيماً تجمع الأحباب فيها
تجلى وجه من أهواه فيها

في العشرين من الحمل يكون طلوع الفرغ المؤخذ مع الفجر وفي^(١) الرابع عشر
منه^(٢) يتوسط مع الفجر أول الشولة وفي اليوم الحادي والعشرين منه يدخل نيسان وفي
اليوم الحادي عشر من نيسان وهو أول الثور يكون عيد النصرى وأول الخماسين يوم
الاثنين بعده وهي أثقل أيام السنة على الأجساد.

والثاني: برج الثور في اليوم الثاني منه يتوسط مع الفجر رابع الواردة ويتوسط
راعي النعائم في الرابع عشر ونير البلدة في السابع عشر الثالث برج الجوزاء وينتهي طول
النهار وقصر الليل في آخره ويتوسط شمالي سعد الذابح في ثامنه وتطلع الثريا في عاشره
ونير بلغ في سادس عشرة ونير سعد السعود حتى السابع والعشرين منه.

الفصل الثاني: فصل الصيف وهو ثلاثة بروج: الأول: برج السلطان وهو برج
الانقلاب الصيفي وأبان الفواكه والثمار ويتوسط في عاشره وسط الأخبية وفي ثامن عشرة
شمالي الفرغ المقدم.

(٢) سقط من أ.

(١) سقط من ب.

الثاني: برج الأسد وفيه يشتد الحر وفي أوله يتوسط شمالي الفرغ المؤخر وفي ثالث عشرة الرشا وفي الثاني والعشرين منه شمالي الشرطين الثالث برج السنبلة يتوسط نير البطين في خامسها وفي ثامنها تطلع الجبهة وسهيل وإذا ناث سقطت الجمرة الأولى في الهواء قال الصفدي في تذكرته الجمار ثلاثة كواكب زاهرة تطلع في آن واحدًا بعد واحد فيكون بطلوعها أول البرد ثم تنحط في سباط فيكون بسقوطها زواله وفي سابع عشر السنبلة يتوسط نير الثريا وفي الخامس والعشرين منها يتوسط نير الدبران وفيها تكثر السحب الفارغة وتجد النخيل.

الفصل الثالث: فصل الخريف وهو ثلاثة بروج برزج الميزان وفيه يعتدل الزمان ويأخذ النهار في النقصان ويسمى المهرجان وهو زمان زرع الحنطة والشعير وطيب الهواء في الروض النضير.

قال ابن الوكيل:

وكما جلا وجه الخريف محاسنًا وصفق ماء النهر إذ غرد القمري
أتاه النسيم الرطب رقص دوحه فنقط وجه الروض بالذهب المصري
وقال الحكيم:

إحذر أمن هذا الخريف فإنه مستعذب متلطف خطاف
يسري إلى الأجساد^(١) في عنق الدجى بلطافة ومن اللطيف يخاف
في الحادي عشر^(٢) من الميزان تتوسط الهقعة مع ثاني النجوم وفي الخامس والعشرين منه يتوسط نير الهقعة الثاني برج العقرب يتوسط في عاشره أجر الزراع وفي الثالث والعشرين منه تتوسط النشرة الثالث برج القوس وهي نهاية الليل وغاية قصر النهار.

وفي ذلك يقول القائل:

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها وهجره النار يصليني بها النارا
فالشمس بالقواس أضحت وهي نازلة إن لم يزرني وبالجوزاء أن زارا
في ثالثة يتوسط شمال الطرف وفي ثاني عشرة قلب الأسد
جنوني جبهة^(٣) الأسد وفي الثامن والعشرين تطلع^(٤) منه الزبره

في ب [الأحياء].

(٣) في ب [جهة].

(سقط من ب.

(٤) سقط من أ.

الفصل الرابع: فصل الشتاء وهو ثلاثة بروج الأول برج الجدي وهو أول الليالي وتسمى الأربعين وبياري طوبه بحساب الزراعين أو هي في النصف منه بحساب أهل التاريخ وفيها يشتد البرد ويحسن غرس الأشجار والكروم وفيه يبدو الطلع.

وأنشد لنفسه قطب الدين إحنفي في باب التورية:

توق من الشتاء ولا تخاطر بنفسك قائلاً إني جليد
فرضنا أن جسمك من حديد فهل يقوى على البرد الحديد
يتوسط الطرف في سابعه وزاوية العوافي ثالث عشرة والسماك في آخره وتطلع
التوله في سادسه ومن غريب الأخبار أن المال المدفون عند طلوعها لا يوجد إلا عند
طلوعها^(١).

ثانيًا: من العام القابل الثاني برج الدلو وهو قلب الشتاء وبياري أمشيرًا وهو في السادس عشر منه وهو برج الحصاد وفيه يحسن غرس النخل والبطيخ ويتوسط العقرب ثاني عشر.

الثالث: برج الحوت فيه تكثر الأهوية وفي الحادي عشر منه يطلع سعد السعد ويجري الماء في العود ويقال غرس النخيل في الحوت من عمل أهل البخوت ويتوسط في أوله شمالي الزبانا وفي رابع عشرة نير جبهة العقرب وفي الثالث والعشرين منه قلب العقرب وعلى هذا تدور الفصول.

أدام الله عزك في سعود بها وبمجدك العالي تصول
وأفلاك السعادة دائرات بجاهك ما تعاقبت الفصول
مسئلة: إذا كان الفرقدان فوق الجدي فالمتوسط الزبانا فإذا كانا غربية في محاذاته فالمتوسط سعد بلغ فإذا كانا تحته فالمتوسط البطين فإذا كانا شرقية فالمتوسط الطرف.

مسئلة: لسقط في الماضي من أيام السنة القبطية ستة^(٢) وقيل سبعة ومن الباقي لكل منزلة من الزيدة ثلاثة عشر إلا منزلة آخر السنة فتسقط لها أربعة عشر في البسيطة وخمسة عشر في الكبيسة فالمنزلة الطالعة بالفجر حيث^(٣) تنتهي والغاربة الخامسة عشر منها^(٤).

قاعدة: يغيب القمر في كل ليلة على مضي ستة أسابيع ساعة من أول الشهر فإذا

(٣) سقط من ب.

(٤) من ب [عشرتها].

(١) سقط من ب.

(٢) سقط من ب.

كانت الليلة الخامسة عشر طلع على مضي ستة أسابيع ساعة وهكذا إلى تمام الشهر وجه آخر يغرب القمر على مضي نصف سبع الليل من أول الشهر^(١) وفي الليلة الثانية على سبع وهكذا ويطلع ليلة الخامس عشر على نصف سبع وهكذا فإذا ضربت ماضي ليالي النصف الأول من الشهر في أربعة وطرحته الخارج خمسة خمسة كانت كل خمسة ساعة مضت من الليل وقت غروب القمر إلى أربعة عشرة وهكذا تفعل بالماضية بعد ذلك وما بقي أقل من خمسة فهو من أخماس ساعة.

قاعدة: زد على الماضي من السنة القبطية مائة وخمسة وسبعين يومًا واطرح من المجموع لكل برج من الحمل ثلاثين فحيث تنتهي تكون^(٢) درجة الشمس فإن زاد المجتمع على دور فاجعل لكل برج مما زاد واحد وثلاثين وهكذا.

قاعدة: خذ للقبطي ما زاد على اثنين وتسعمائة من السنين العربية بالقبطية التي دخلت فيها وأسقط منه الازدلاف وهو أن تخرج السنة العربية ولا تدخل فيها سنة قبطية وزد على الباقي ألفًا ومائتين وثلاثة عشر فما اجتمع فهو عدد السنين القبطية زد عليها خمسمائة وتسعين يحصل عدد سنتك السريانية التي تدخل في طوبه^(٣) من تلك السنة القبطية وعدد السنة الرومية التي تدخل في طوبه من تلك السنة المفروضة وإذا أردت معرفة ما أنت فيه من الأشهر القبطية فاحسب ما مضى من السنة العربية شهرًا تامًا وشهرًا ناقصًا فما اجتمع زد عليه أس^(٤) السنة القبطية وهو عبارة عن الماضي منها قبل دخول سنتك العربية فإن كان المجتمع أقل من سنة قبطية فاطرحه ثلاثين ثلاثين وابدأ من نوت تنتهي إلى شهرك القبطي وإن كان المجتمع أكثر من سنة فاطرح سنة وافعل بالباقي كما تقدم.

قاعدة: الثالثة والرابعة من السنين العربية والقبطية كبيسة وماعدا ذلك سابط فائدة الكواكب ما عدا السمكة السيارة في الفلك الثامن ويسمى المكوكب وأصغر كوكب يرى^(٥) من الثوابت كالسها أكبر من زحل، وزحل مثل كرة الأرض إحدى وتسعين مرة وقطر الأرض سنة آلاف وخمسمائة وأربعة عشر ميلًا كذا في كتاب سر الفلك.

نكتة: قال بعضهم العالم كرة والأرض نقطة والأفلاك قسى والليالي أوتار والحوادث سهام والإنسان هدف والله الرامي فقروا إلى الله منه انتهى^(٦).

(٤) في ب [من].

(٥) زائدة في أ.

(٦) سقط من أ.

(١) في ب [من الليل].

(٢) سقط من ب.

(٣) في ب [بابه].

قال في الفتوحات المكية:

إذا قلت يا مولاي قال لما تدعو وإن^(١) أنا لا أدعو يقول ألا تدعو
لقد فاز باللذات من كان أخرساً وخصص بالراحات من لا له سمع
تتميم: لا ريب في أن أهل المدينة المنورة من أسعد هذه الأمة بجوار سلطان
الأنبياء وصدق التوسل به والانتماء^(٢) إليه صلى الله وسلم عليه وأوصاف الأشراف
أشراف الأوصاف على أن في المدينة قومًا من أهاليها كأنهم لآليها تنازعوا درة بينهم
وأوجبوا الرضيع الكأس ما يجب لا يحفظون على النشوان زلته ولا تربيك من أخلاقهم
ريب.

شعر أوهم كما قال:

قوم هم في الدجا للناس أقمار
وأين خلّوا محل الخصب حومتهم
هم العيون فإن تبصر هدئ فبهم
سلهم وسل عنهم إن كنت ذا وطر
وحل حلتهم تسعد فيهم غرب
وانعم إذا كنت تهواهم بعيشتهم
أو كما قال:

قوم بأحمد في الأنام تمسكوا
وبحبه في العالمين تهتكوا
ولا يرتجون سواه في مقصود
وبه يزيلون المشقة والعنا
لله در قلوبهم لهم الهنا
خلوا به في المنزل المسعود
الحب أبلاهم وأنحل جسمهم
قد أدغموا في حب أحمد إسمهم^(٥)
والمحق^(٤) أفنى في الحقيقة رسمهم
مذ صيروا داع المحبة رسمهم

(١) في ب [والحق].

(٢) في ب [سهمهم].

(١) في ب [وإذ].

(٢) في ب [الانتها].

(٣) في أ [بوداده].

فهم لأحمد من أقل عبيد
قد أشربوا كأس المحبة مترعاً
فلذلك قد صرعوا فيا لك^(١) مصرعا
نالوا الفخار به وطابوا منبعا
وزهت فروعهم لغصن أينعا
فهم بأحمد في علا وصعود
متحققين بنوره في قدسهم
أحياء قد عاشوا به في رمسهم
متطلعين لحسنه في أنسهم
مبتشرعين بفعله في حسهم
خلفاؤه في عزه وسعود
وليهم^(٢) الرحمن عنه نيابة
نالوا بأحمد في الأنام مهابة
نور تلبيه القلوب إجابة
مهما دعا للعشق ود ودود
وأشد لنفس العفيف التلمساني قدس سره العزيز:

عندي بكم يا أهيل كاظمة
أرى بكم خاطري يلاحظني
أسرار وجد حديثها عجب
من أين هذا الإخاء والنسب
وقال آخر:

ألا إن لي في أرض طيبة جيرة
كرام إذا ألقى الزمان صروفه
وما أحدثت أبدى الزمان اساءة
إذا كان عمر المرء طيب حياته
شددت بهم مهما ضرا حادث أدرى
جعلتهم في كل نايبة ذخري
ووافيتهم إلا انتقمت من الدهر
فإن طريف المال كالواو في عمرو
من أهل المدينة من رضي بالمقيل في خمائل الخمول وجسم إلا عن الضروريات
مادة المأمول فلا تراه إلا مجموعاً في ذاته ممتعاً في وجوده بلذاته فقد أثر الوحدة على
الاجتماع وضيق المعاش على الاتساع متمثلاً في هذا الحال بقول من قال:

إذا قنعت بقوت
ولم يكن لي عيال
ولا بنون صغار
ولا صديق صدوق
وكان لله نسكي
ولبس ثوب مرقع
نفسي لهم تتفجع
قلبي بهم يتقطع
فراقه أتوقع
فما بي الدهر يصنع

(١) في ب [فيا له].

(٢) في ب [ولاهم].

وقال آخر:

لله تحت قباب العزّ طائفة
هم السلاطين في أطمار مسكنة
غير ملابسهم شم معاطهم
هذي المناقب لا ثوبان من عدن
يروى أن الرشيد ظفر من خزائن بني أمية برقعة من الحرير الأخضر مكتوب فيها
بالذهب الأحمر هذان البيتان:

إذا سد باب عنك من دون حاجة
فإن قراب البطن يكفيك ملؤه
فقال:

ولا تك مبذلاً لعرضك واجتنب
وسم بجميل العبر نفسك واغتنم
تعش سالمًا والقول فيك مهذب
وتندرج الأيام والكل ذاهب
وما الدهر إلا من يوم وليلة
وقال آخر:

أخص الناس بالايमान عبد
له بالليل حظ من قيام
وفيه عفة^(٢) وله خمول
تقل الباكيات عليه إن ما
فذاك قد نجا من كل هم
ومنهم المحسن والمؤثر على^(٣) نفسه على ضيق الحال وشدة البأس وكان يقال:
ليس العطاء من الفضول^(٤) سماحة
وما أوقع ما قال:

الناس اثنان في زمانك ذا

(٣) من ب [الموسر].

(٤) في ب [فضول].

(١) من ب [الحاف].

(٢) في ب [خفه].

هذا بخيل وعنده جده وإذا جواد بغير ذات يسد
وكان يقال: الكريم من إذا وهب لم يهب وكان يقال أجدني أشتهي ما لا أجد
وأجد ما لا أشتهي. وكان يقال جد بما تجد. وقال الحكيم:

إذا جاد عليك الزمان فجد فيه للناس وابسط يداك
وإن أمسك الدهر عنك الغنى فنفسك دنها ودع من عداك
وقال:

الجود وجد فإن لم يأت عن سعة فذاك ضرب من التبذير والكلف
فإن وجدت فلا تبخل وإن عدمت يداك فاحذر من الإملاق والتلف
وقال آخر:

إذا وصل الدهر أيدينا لمكرمة ثم امتنعنا فلا نلنا آمالينا
أو عاند الدهر إذ بالفجر خصصنا فالذنب للدهر كف الفجر أيدينا
وقال:

رب حي لميت ليس فيه أمل يرتجي لنفع وضر^(١)
وعظام تحت التراب وهي^(٢) في الأرض منها آثار حمد^(٣) وشكر
وقال لسان الحال:

قوم مضوا كانت الدنيا تزان بهم والدهر كالعيد والأوقات أقوات
ماتوا وعشنا فعاشوا بعد موتهم ونحن في صور الأحياء أموات
ومنهم من يكتسب وتكون به الخصاصة التامة والفاقة العامة، فلا تراه يشكو
مضرته ولا يقبل من أحد منته بل ينتظر الفرج من رفيع الدرج ويستدين على آماله في
رحمة الله ونواله وكان يقال سعف النخيل خير من اسعاف الخليل.
وكان يقال:

لا تظهري لعاذل أو عاذر حاليك في السراء والضراء*
فلرحمة المتوجعين حرارة في القلب مثل شماتة الأعداء
وكان يقال من الخطوب المدلهمة، عزة النفس وبعد الهمة ولا يصلح للإخاء غير
أهل السخاء وكان يقال حسبك كسبك ولا يخلق الديباجة كال الحاجة.

(١) في ب [ولا].

(٢) في ب [وفوق].

(٣) في ب [ولا].

توكل ولا تتكل واحتسب فما ذاك صد عن الإتكال
وإن اكتسابك في نفسه بمحض اتكال على كل حال

قال بعضهم مضغ القيصوم والشيخ خير من النظر إلى الشحيح، وإنما الشهد من وراء الجهد، والحر المحتاج إذا وقع في اللجاج يتجزى بالقل ويقنع به وإن قل.

الملح والكرات أشهى عندنا من أكل مامولية^(١) بالسكر
ومشاهد الحرميين أعلى رتبة من أن نقيم بدار ملك أكبر
وقال:

كسرة خبز وكف ملح وفرد ثوب مع السلامة
خير من العيش في نعيم تكون من بعده ندامة
وقال:

نصف رغيف مشبع لمن أكل فالذل من أي الوجوه يحتمل
هون على نفسك فالدهر دول والغاية الموت وإن طال الأمل
وقال:

مطيتنا للمنزل الرحب صبرنا على الضيم إن النفع في ذلك الصبر
ومن يقتبس نار الكليم فشرطه ولا بد ترك الأهل بالطوع وبالجبر
وقال أبو حيان:

إذا المرء أضحى للمراد مطلقاً وحاز عنان النفس فهو موفق
وإن دام محجوباً بأهل وموطن فلا شك في بحر التسايف يغرق
على أن المطلوب من الدنيا سلامة الديباجة، ومفارقة ذل الحاجة، وإلا فقد جاء أن آدم عليه السلام كان زراعاً، وصح أن سبعين نبياً ماتوا جوعاً^(٢). والحمد لله الذي كرم بني آدم بمزيتي العقل والتبيين، وخلق الإنسان من نقطة، فإذا هو خصيم مبین ومن دعاء أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه اللهم صن وجهي باليسار، ولا تبذر جاهي بالاعتذار فاسترزق طالبي برزقك، واستعطف شرار خلقك، فامتحن بحمد من أعطاني، وافتنن بدم من منعني، وأنت من وراء ذلك كله ولي الاعطاء والمنع إنك على كل شيء قدير يا نعم المولى يا نعم النصير.

(١) في ب [ماموتية].

(٢) في ب [جوعاً].

يا رب لا تحيني إلى زمن
خذ بيدي قبل أن أقول لمن
ومن حسن التوسل:

أكون فيه كلاً على أحد
أراه عند القيام خذ بيدي

إلهي قد مننت بكل خير
وقد عودتنا لطفًا جميلاً
ومنه:

علينا من مواهبك الجزيلة
فلا تقطع عوائدك الجميلة

إلهي أنت تعلم أن ضعفي
وإني يا غنيًا عن عذابي
ومنهم المبتلي بأسنه الأسنة^(١)، والله أعلم بالسرائر، وكان يقال: لا سلامة من
الناس ولا غنى عنهم؛ فاصحبهم على قدر الحاجة.

بعفوك من عذابك يستجير
إلى أن لا تعذبني فقير
ومنهم المبتلي بأسنه الأسنة^(١)، والله أعلم بالسرائر، وكان يقال: لا سلامة من
الناس ولا غنى عنهم؛ فاصحبهم على قدر الحاجة.

وما أوقع ما قال الأمير علي بن المغربي:

تجاف عن العتبي فما الذنب واحد
إذا خانك الأدنى الذي أنت حزيه
فلا تشك أحداث الليالي إلى امرء
إذا وطن ساءتلك أخلاق أهله
وبث حبال الوصل فمن توده
وقل للليالي كيفما شئتني فاصنعي
ولا ترهب الخطب الجليل لهوله
(فإذا النهى كم ذا المقام على القذى)^(٣)
فقم نحصد الأعمار أو نبليح المنى
فليس بصعاد إلى ذروة العلى
وفي السعي عذر للفتى لو^(٥) تعذرت
خليلي كم لهوى^(٧) الليالي وهمتي

وهب لصروف الدهر ما أنت واجد
فلا عجبك^(٢) إن أسلمتك الأبعاد
فما الناس إلا حاسد ومعاند
فدعه فما يغنى على الضيم ماجد
إذا لم يرد كل الذي أنت وارد
فإن على الأقدار تأتي المكائد
فطعم المنيا كيف ما ذقت واحد
وفي العزم حاد للمطايا وقائد
نجد فللأعمار^(٤) لا بد حاصد
نؤم تناديه العلى وهو راقد
عليه المساعي أو جفته^(٦) المقاصد
تناولني الجوزاء والجعد قاعد

(١) في ب [الأسنة].

(٢) في ب [فلا عجب].

(٣) في ب [فإذا النهى كيف ما شئت المقام
على القذا].

(٤) في ب [فلا بد للأعمار].

(٥) في ب [أو].

(٦) في ب [على وصفته].

(٧) في ب [أطوى].

وكم ذا أناجي همه دون همها
وقال آخر:

لأجلك يا من شرف الله قدره
ولولا غرام لي بطيبة لم أكن
تجرعت كأس المر من معشر البلوى
ومن أهل المدينة من ساعدته الأقدار، ولحظة الطالع السعيد، فجمع له بين
أذل لمن يسوى ومن لم يكن يسوى
الحسنتين وادخل في حيلة لا يسمعون حسيها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وكان
يقال:

إذا حلت العناية بقطر من الأقطار
إذا عرضت فالأهل^(١) مني أجنب
سكبت اللآلئ فيه الأمطار
وإن أقبلت فالأجنبي نسيب
وما أصدق ما قال:

وإذا السعادة لاحظت عيونها
واصطد^(٢) بها العنقاء فهي خبائل
نم فالمخاوف كلهن أمان
واقصد بها الجوزاء فهي عنان
والغالب على طباع أهل المدينة، محبة التنزه، والاجتماع الخالي عن الكلف
بحسب ما يقتضيه الحال، وربما افصحوا عن حالهم بقول من قال:

إذا ما اجتمعنا طاب بالأنس وقتنا
وما القصد إلا أن يكون اجتماعنا
وطبنا بجمع بالأحبة سالم
وما الأكل إلا من صفات البهائم
وقال آخر:

روح الروح براحات الأمل
ما تناهى الشيء إلا وانتهى
وتعلل بعشي ثم لعل
وبدا النقص به حيث كمل
وقال:

وعنوان شأني ما أبثك بعضه
ويحسن إظهار التجلد للعدى
وما تحته إظهاره فوق قدرتي
ويقبح غير العجز عند الأحبة
وقال:

إذا كنت في حالي صلاحك والهوى
فما الرأي إلا أن تكون بحالة
رحيم ظنون الناس بالقييل والقال
ترى النفس فيما تشتهي ذات إقبال
ومن أهل المدينة من يرى ركوب البريد في طلب الثريد^(٣) وفيهم من هو أثبت في

(١) في ب [فالأفضل].

(٢) في أ [واصطه].

(٣) في ب [البريد].

الدار من الجدار وأطفل من الليل على النهار، وفيهم من هو حرف جاء لمعنى في غيره، وفيهم من هو من أفراد عموم لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرازا، وفيهم والله واسع عليهم.

لنا عتب على سلمان سلع وحاشى المازنية من عتاب
أنشد لنفسه السيد حسن بن شذقم الحسيني:

وليس غريبًا من نأى عن دياره إذا كان ذا مال وينسب للفضل
ولاني غريب بين سكان طيبة وإن كنت ذا مال وعلم في أهلي
وليس ذهاب الروح يومًا منية ولكن ذهاب الروح في عدم الشكل
قال ابن فرحون في تاريخ المدينة: وكان رؤساء المدينة يوالون المجاورين
ويخدمونهم ويتقربون إلى خواطرمهم بقضاء الحوائج، والهدايا والطرف مع حسن
الاعتقاد فيهم، والتماس أديعتهم وبركتهم.

قلت: الموجب لذلك عفة من كان يرد عليهم، وما اشتملوا عليه من حسن
السيرة، وصفاء السريرة، لا كأيامنا التي لا يرد علينا إلا المنهوم الذي لقطته أفاقه،
وتجافته رفاقه، فلا يلبث بها حتى ينازع أهلها فيما بأيديهم، ويطنن في أعراضهم، وهو
في ناديتهم، لا يعرف بهم حق التقدم والجوار، ومتى ما أمكنه الغدر أغار.

ولست على غيب أحيلك لا ولا على مستحيل موجب سلب حيلتي
وقال بعض العقلاء:

وما عبر الإنسان عن فضل نفسه بمثل اعتراف الفضل في كل فاضل
وما أخس أن يرمي^(١) الفتن قذى^(٢) النقص عنه بانتقاص الأفاضل
فترى الوداد اليوم، لا يزال في لباس التلبس، يجتذب مطالبه بمغناطيس التدلّيس
إلا ما شد ممن رحم ربك وقليل ما هم (والمثل في ذلك تغيير الشكل لأجل الأكل)^(٣)
وفي الغالب إنما تكون إساءات الغريب الوارد على المورد الذي ينهل منه (والله سبحانه
وتعالى أعلم)^(٤).

وما ضرنني إلا الذين عرفتهم
وكان يقال: المصائب أثمار^(٥) التجارب.

(٥) في ب [أثمان].

(٣) زائدة في أ.

(١) في ب [يرمل].

(٤) ساقطة من أ.

(٢) في ب [قذير].

(فيا ليتني كالزند يكتسب أمره وإن كان في أحشائه النار تضرم)^(١)
 نكتة: جرت سنة الفعال لما يريد في خلقه، إن كل بلدة في الغالب تكون عوناً
 لغريبها حتى على سكانها، وعلى الخصوص المدينة المنورة، وكان المرحوم العلامة
 الشيخ إبراهيم بن أبي الحرم المدني يقول: ليس من الرأي تعظيم الوارد إلى هذه الديار
 إلا بحسب ما يقتضيه الحال، فإنه بتعظيمه يظاً غيره، ثم يتمرد على معظمه فيطأه
 كذلك، وتكون إساءته عليه أكثر، وعلى الخصوص من لفظته القرى، وألف النوال
 والقرى. وقد اتفق لي شيء من ذلك، فكتبت لبعض أصحابي في خصوص هذا
 المعنى:

يا أهل طيبة لا زالت شمائلكم بلطفها في الورى مأمونة العتب^(٢)
 لكن رعايتكم للغرب تحملهم على تجاوزهم للحد في الأدب^(٣)
 فكان الجواب عن ذلك بلسان الحال:

مولاي إن صروف الدهر قد حكمت وأعوزت إن بذل الرأس للذنب
 كم من مقبل كف^(٤) لو تمكن من تقطيعها ما كان ممن فاز بالارب
 واختصر المعنى بعضهم قال:
 كم من يد قبلتها فلو استطعت قطعها وقال آخر:

وإني لمغرى بالتواضع مغرم وأنت ترى أن المعالي ديدني
 ومن مذهبي أني أذل لمطلبي ولا أتحامى قبله من يدي دنى
 لبعضهم ولقد أجاد في المعنى:

ذريني ونفسي في عفافي جعلت عفافي في حياتي ديدني
 وأقطع من قطع اليدين على الفتى ضيعة برنا لها من يدي دنى
 وبالجمله فإن أهل المدينة المنورة بعد الحاقهم الأسية هم أقرب الأمة إلى التجاوز
 والسماح، وأقرب الخلق إلى النجاة والنجاح، كيف وقد قال الصادق الذي لا ينطق عن
 الهوى: (جار الدار أحق بالشفعة) - وقال: (جار الدار أحق بدار الجار)، وقال: (جار

(١) في ب [الأدب].

(٢) في ب [كن].

(١) زائدة في أ.

(٢) في ب [العتيا].

الدار أحق من غيره)، وللعوم في الأقوال مجال عند الرجال، فتبا لمن ثلب لهم عرضًا وبعد المن أضمر لهم بغضًا.

كيف والجحيم الغفير منهم سلافة النداما، وإذا مروا باللغو مروا كرامًا، قال بعضهم ينبغي لمن أراد المجاورة بالمدينة المنورة أن يكون لين الأعطاف، هين الانعطاف، حافظًا لحرمة مكانها. محافظًا على مراعات سكانها^(١)، يشاركهم في أنديتهم لا في أغذيتهم ويزاحمهم في أوقاتهم، لا في أوقاتهم، ويكتسب من أخلاقهم ولا من أرزاقهم ويقتبس من برهم، لا من برهم ويرغب في حبهم، لا في حبهم، مقتديًا في هذا المقياس، وازهد^(٢) فيما عند الناس، وقال بعض العلماء، ينبغي لطالب سكنى المدينة، ألا يضيق على المحتاجين بسكنى الأريطة والمزاحمة على الصدقات ولا يسعى في منع معروف وكان يقال:

يا ليت من يمنع المعروف يمنعه
وليت رزق رجال مثل نايلهم
وقال آخر:

غدا توفى النفوس ما كسبت
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم
وقال آخر:

إذا كنت مع ما في يديك من الغنى
فكيف تلوم الطالبين وربما
وقال:

لا تقطعن يد المعروف عن أحد
واشكر فضيلة لطف الله إذ جعلت
خاتمة قال: في المواهب اللدنية، روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» أي ينضم ويلتجئ مع أنها أصل في انتشاره فكل مؤمن له من نفسه سائق إليها في جميع الأزمان لحبه ﷺ في ساكنها فأكرم بسكانها ولو قيل فيهم ما قيل فقد حظوا بشرف المجاورة، وثبت لهم حق الجوار، وإن عظمت إساءتهم فلا

(٣) في ب [مثل ما].

(٢) في ب [ويزهد].

(١) في ب [أهلها].

يسلب عنهم اسم الجار^(١) وقد عم عليه الصلاة والسلام بقوله: «ما زال جبريل يوصيني بالجار» ولم يخص^(٢) جار دون جار وكل ما احتج به محتج من رمى بعض عوامهم بالابتداع وترك الاتباع فإنه إذا ثبت ذلك في شخص منهم لا يترك إكرامه، ولا ينتقص احترامه، فإنه لا يخرج عن حكم الجار ولو جار، ولا يزول عنه شرف مساكنته في الدار كيف ما دار^(٣)، بل يرجى أن يختم له بالحسنى، ويمنح بهذا القرب الصوري قرب المعنى.

فيا ساكني أكناف طيبة كلكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب قلت: وأنت ترى أن الملل والنحل على اختلافها، وتباين ائلافها، لا يخلوا منها قطر من الأقطار ولا مصر من الأمصار ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم، فمن فهم علة^(٤) الخلق تنزه في رياض الأفكار من وهم في سنة الحق وقع في مشاغب الانكار، ولأهل المظاهر مجال في حكم الظاهر، والله أعلم بالسرائر. ومن محاسن المدينة أن حديث أهلها وذكر شمائلهم المعطرة.

مما يرقص رؤس الحكماء طرباً ويحرك نفوس العلماء عجباً
أوصافهم تسري أحاديثها مسرى النجوم الزهر في الأفق
كما أحاديث الندى عنهم يسندها الركبان من الطرف
قال العلامة ابن حجر: ينبغي أن ينظر إلى أهل المدينة بعين التعظيم، ورعاية التكريم ولا يبحث عن بواطنهم ولا عن طواهم لقوله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾ ويكل سرائرهم إلى الله تعالى، لأن الذنوب ما عدا الشرك تحت مشيئته يعذب من يشاء ويرحم من يشاء، ولا يطلع أحد على تعلق إرادته عز وجل فيحهم بجواره كيف ما كانوا أي على ارتكاب الذنوب الصغائر والكبائر، فإن عظم الإساءة ولو في الدار لا يسلب حرمة الجوار.

وأحبها وأحب منزلها الذي نزلت به وأحب أهل المنزلي وقال في الجوهر المنظم، وصرف ما يتصدق به إلى أهل المدينة أولى على أي حالة كانوا وذلك لأن شرف الجوار الثابت لهم أوجب الأعراض عن مساوئهم، والنظر إلى حرمتهم وما تشرفوا به من ذلك الجوار الأعظم، ولذلك كثر في الأحاديث الصحيحة الدعاء منه ﷺ لهم بالبركة، وعلى من قصدهم بسوء بأفبح النكال، ثم قال

(٣) في ب [ما دار].

(٤) سقط من ب.

(١) زائدة في أ.

(٢) في ب [يخصص].

ولقد استوفيت طرقاً من ذلك في كتابي الزواجر عن اقتراف الكبائر، ومهما يكن للمرء في القول فسحه فنسبته للذنب من أعظم الذنب، وما أوقع ما قال القاضي الفاضل:

أعجب ما في العيون عندي	أظهر ما تضرر القلوب
تأبى نفوس نفوس قوم	ومالها عندها ذنوب
وتشتهي نفس نفوساً	ومالها عندها نصيب
ومن علي آخر ينجني	فحسنه عنده معيب
ما ذاك إلا لحكمة ما	قدرها القادر الرقيب

ومن مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله تعالى قال: كان له جار مسرف على نفسه، مدمن للخمر وكان كثيراً ما يسمعه ينشد قول الشاعر:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهه وسداد ثغر
فاتفق أن الحرس صادفوه ليلاً في بعض الطرق فأخذوه وذهبوا به إلى السجن فلما كان الصباح بلغته القصة، فركب إلى الأمير ولم يكن يركب إليه من قبل ثم أنه تشفع فيه، فأطلقه الأمير له، فلما أقبل عليه قال له: كيف رأيت هل أضعناك فكان سبباً لهدايته، ومن أحسن ما يحكى أن رجلاً كانا مع بعض الصالحين فمرا على جماعة يشربون ويغنون فقال الرجل يا سيدي ادع على هؤلاء المجاهرين بالمنكر فقال الشيخ نعم؛ ثم استقبل القبلة وقال اللهم كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة، فبهت الرجل، فلم يمض مدة حتى اهتدى كل منهم وحسن حاله وكان إلى طريق الخير مآلة، وعار على راعي الحمى وهو في الحي^(١) إذا ضاع في البیداء عقل بعير وليكن ذلك آخر ما جرى به القلم من ذكر بعض محاسن المدينة المنورة ونشر لطائف هاتيك الأماكن الأمانة^(٢) المعمرة وهي وإن كثر لقليل في جانب شرفها الشامخ، ويسير مما كرمها الله تعالى (من جزيل فضله الراسخ، ولو تتبعنا ما شرفها الله تعالى به)^(٣) من جليل المناقب، ومنحها من جميل المواهب، لكنت دونه الأقالم وجفت المحابر ولما وسعت بعضه الدفاتر والحمد لله الذي شرف طابه وشوق القلوب لسماع أخبارها المستطابة، فهي الأرض التي هي في الحقيقة السماء، وهي الروض التي من دونها المقام الاسما، أرض مشى جبريل في عرصاتها، والله شرف أرضها وسماها أرض سمت بمحمد وبآله، والله رب العرش قد أسماها، اللهم اغننا في التمسك بأهداب الآداب عن خيط باطل يعتمد حبها^(٤) الوهى، وول أوجه قلوبنا شطرك ينطبع في مرآتها صور الأشياء كما هي،

(١) في ب [الحما].

(٣) سقط من ب.

(٢) زائدة في ب.

(٤) في ب [نعمتد حبله].

ولا تخزنا بمقال لا تقال فيه العثار، ومجال يتمحل^(١) له الأعذار وصل وسلم على رسولك الذي ألزمت ريقه دينه الرقاب، وقرنت بطاعته ومعصيته الثواب والعقاب، وجاره بقبول الشفاعة وبالوسيلة والمقام المحمود يوم الجزاء. وزد شمل أمته اجتماعاً ما اجتمع الكل من الأجزاء، يا من وجب لذاته وجوده، وعم جميع خلقه إنشاء انعامه وجوده فصل وسلم على من أكرمتنا بجواره وأسكتتنا بفضلك في ظلال^(٢) سعة دياره مما بين روضه غناً وغيضه^(٣) حسناً ومنازل باهية باهرة ومنازه زاهية زاهرة، وجيرة قد شقوا عصا الشقاق وتراضعوا فوائق الوفاق من ألف منهم أقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري وعم بكرمك جميع آله وأصحابه ومؤازريه وأحزابه ثم والحمد لله الذي بأمره جرى القلم على منوال ما اقتضته الحكم، وسلام على عباده الذي اصطفى، وحسبنا الله وكفى.

تم الكتاب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تم تم، تمت مقابله على حسب الطاقة من نسخة المؤلف في ضحى يوم الثلاثاء لثمان بقين من شهر شوال المبارك من شهور سنة ١٠٥٧.

استكتبها لنفسه الفقير محمد نعمة الله التمتام نقلاً عن نسخة المؤلف.

وقال مؤلفه العالم العلامة والحبر الفهامة مولانا وسيدنا السيد محمد كبريت الحسيني المدني فرع من تنميق هذا المسطر مؤلف في الأوائل شهر ربيع الآخر وتمت كتابة هذه النسخة يعني نسخته في أواخر شوال المبارك من تمام تاريخه سنة ثمان وأربعين وألف.

(٣) في ب [وفيضه].

(١) في ب [تتمحل].

(٢) ثبت في الأصل [ضلال].

الفهرس

٣	ترجمة المؤلف
٤	وصف المخطوط
١١	مقدمة المؤلف
٢٩	المقالة الأولى
٥٢	باب فيما يتعلق بالحجرة المعطرة
٩٧	ذكر نسب سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ
١١٨	باب في ذكر المصلى والنقا والعقيق المؤذن بطيب اللقا
١٣٢	باب في ذكر سلع ومساجد الفتح وما اشتمل عليه ذلك الفتح
١٣٦	باب في ذكر قبا ومحاسن هاتيك الربا
١٥٨	باب في ذكر العالية
١٨٥	باب في ذكر أحد ومساجده ومشهده الشريف ومعاهده
١٩٠	باب في ذكر الصدقة والسوافل وآبار العريض الكثير النوافل
١٩٣	باب في ذكر بقيق الغرقد ومعاهده، وقراراته ومشاهده